

رواية هندية
"ملايالم"

سَمِين

(السمكات الصغيرة)

تکازي شيوا شنكارا بلاي

مجلس الهند للروابط الثقافية
نيو دلهي (الهند)
١٩٧٠م

حقوق الطبع محفوظة
للمؤلف: تكازي شيوا شنكارا بلاي

الطبعة الأولى للترجمة العربية: ١٩٧٠م

تعريب: محي الدين الألوائي

مراجعة: الدكتور طه عبد الحمد طه

طبع الترجمة العربية في الهند في المطبعة القيمة، بهيوندى، بومباي (الهند)
ونشرها انعام الرحمن سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافية، آزاد بهون،
دلهي الجديدة - الهند.

تقديم

إن مجلس الهند للروابط الثقافية يشعر بكبير الفرح والسرور حين يقدم الى القارئ العربي الترجمة العربية لكتاب "شمين"، إحدى الروايات الهندية الحديثة من المستوى العالي لمؤلفه تكازى شيوا شنكارا بلائي. وهي قصة من اللغة الملايالية إحدى لغات الهند الرئيسية، نالت جائزة "أكاديمية آداب الهندية" في عام ١٩٦٧، وانتخبها فيما بعد منظمة اليونسكو لترجمتها تحت مشروعها الرامي إلى تقديم مجموعة من الآداب الممثلة.

وترجمت الرواية إلى الإنكليزية وإلى ستة عشرة لغة أخرى، ويعترف بها على وجه العموم كأحدى أحسن الأعمال الادبية العالمية المعاصرة.

والترجمة الحاضرة نتيجة جهد اديب هندي، الأستاذ محي الدين الالواي، الذي نقلها إلى العربية من النص الملايالي الأصلي. وكان من المصادفة الحسنة إن ورد إلى الهند الدكتور طه عبد الحميد من جامعة عين شمس بالقاهرة، حينما كنا نستعد لطباعة هذه الترجمة، ونحن ندين له بان تفضل بمراجعة الترجمة تلبية لرغبتنا. وللمجلس كبير الأمل في أن الجهود المشتركة للمترجم والمراجع ستجد من القراء تقديرا كبيرا وإنهم سيجدون في هذه القصة للسماكين البسطاء العائشين في الساحل الغربي من اقصى جنوب الهند متعة عالمية.

ويصدر المجلس هذه الترجمة تحت برنامجه لترجمة أهم الآداب الهندية - الكلاسيكية والحديثة - إلى اللغات الأخرى، التي من بينها اللغة العربية، والأعمال التي صدرت إلى الآن بالعربية من هذه السلسلة (١) "شكنتلا" وهي مسرحية بديعة للشاعر الكلاسيكي السنسكريتي الشهير، "كاليداس" عربها الفقيه الكريم وديع البستاني من لبنان. (٢) التراث الهندي للراحل الكريم البروفيسور همايون كبير، وهو كتاب يستعرض بانسجام منسق الثقافة الهندية من عصورها القديمة إلى الآونة الحاضرة. وبجانب ذلك يصدر المجلس عما قريب قصة

غرامية خالدة أخرى "نل دامينتي"، وهي الأخرى تعريب الفقيه اللبناني الكريم وديع البستاني.

والجدير بي في هذه المناسبة أن أشير إلى المجلس أيضا إشارة موجزة. أسس المجلس في عام ١٩٥٠م، وما زال منذئذ عاكفا على ترقية الروابط الثقافية والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان الأخرى، وبالطبع يكون تعزيز الروابط التاريخية بين الهند والشعوب العربية ناحية هامة من برنامج المجلس. ويقدم المجلس، مدفوعا بهذه الروح الودية، إلى أصدقاءنا في العالم العربي هذه الرواية، والكتب الأخرى ومجلتها العربية "ثقافة الهند" (الصادرة اربع مرات في السنة). وسنعتبر جهودنا موفقة ومثمرة خير الاثمار إذا وجدناها تساعد على خلق تفاهم أحسن بين شعوب البلدين .

انعام رحمان

نيو دلهي

أغسطس ١٩٧٠م

كلمة المعرب

أما رواية "شمين" فصورة رائعة لأحسن الروايات المؤلفة في لغة "ملايالم" في الأدب الهندي. وقصتها وفصولها مستمدة من الواقع الحي، وتزخر بالعواطف وتفويض بصور الآلام البشرية لمجتمع الصيادين في أحد سواحل ولاية "كيرالا" في أقصى جنوب القارة الهندية.

ويعرض فيها المؤلف الحالات الاجتماعية لهؤلاء الصيادين ومعتقداتهم وعاداتهم وطقوسهم بأسلوب متدفق بالحيوية والحساسية، ويصورها بأدق الانفعالات وخلجات النفس حتى صارت في مصاف الروايات العالمية الكبرى في دقة التصوير وحسن العرض.

وقد نالت هذه الرواية جائزة "أكاديمية الآداب الهندية" لأحسن الروايات في عام ١٩٥٧م. وهي من أحسن الروايات الهندية التي اختارتها منظمة "اليونسكو" لترجمتها إلى اللغات الأجنبية ، وقد نشرت ترجمتها الإنجليزية في كل من أمريكا وإنجلترا تحت إشراف "اليونسكو".

وقد أتاح لي مجلس الهند للروابط الثقافية، مشكورا، الفرصة لنقل هذه الرواية الرائعة من لغتها الأصلية - ملايالم - التي هي "لغة مولدي" إلى اللغة العربية الحديثة. وحاولت قدر المستطاع أن تكون الترجمة طبقا للأصل والواقع.

وأرجو مخلصا أن تقدم هذه الرواية للقارئ العربي لمحة عن تعبير الأدب الهندي المعاصر.

القاهرة ٢٨ / ١٢ / ١٩٦٥

محي الدين الألواني

الفصل الأول

قالت كروتما: — أنت تعلم أن أبي سيشتري عما قريب قارب صيد وشبكة.

فقال فريكوتي: — يا بختك يا كروتما!

ولم تحر كروتما جوابا، ولكنها تجاوزت فورا لحظة المفاجأة وقالت:

— لكن ليس عندنا ما يكفي من النقود، فهل تعطينا بعض الربيات قرضا؟

فأجاب فريكوتي باسطا يديه:

— ومن أين لي بالمال؟

وضحكت كروتما، وقالت:

— فلماذا تدعى بنفسك أنك (كوشومودالالي) (١)؟

— لماذا تخاطبيني (كوشومودالالي) يا كروتما؟

— فماذا أخاطبك إذن؟

— فريكوتي.

ونطقت كروتما (فري.....) ثم قهقهت، فطلب منها فريكوتي أن تكمل اسمه، ولكنها تغلبت على الضحك و تظاهرت بالجد، وهزت رأسها ثم قالت:

— لا- لا أكمل الاسم.

—فإذن أنا أيضا لا أخاطبك “كروتما”

١- لفظ يطلق على شاب مسلم تاجر في منطقة “كيرالا”

— ثم بماذا تخاطبني؟

— أخاطبك “والياماراتي”^(١)

فضحكت كروتما، وضحك فريكوتى أيضا واستغرق كل منهما فى الضحك فترة طويلة!
فلماذا هذا الضحك الطويل؟ وما هو السر الكامن وراء هذا الضحك المستمر، وبدون انقطاع؟

— طيب. عند ما يأتى القارب والشبكة، فهل توصي أنت يا “والياماراتي” والدك ليبيع
لنا حصيلة شباكة من الأسماك؟

فأجابت كروتما!

— إذا دفعت الثمن المناسب نبيع لك الأسماك.

فضحكا مرة أخرى!. فما الذى يدعو إلى الضحك فى هذا الكلام؟ هل فيه نكتة
مضحكة.....؟ هل يستطيع الإنسان أن يفهمه عند كل كلام؟

وامتلأت عينا كروتما بالدموع من كثرة الضحك. وقالت فى صعوبة خانقة!

— لا تضحكني كثيرا يا كوشومودالالي.

وطلب منها كذلك فريكوتنى ألا تضحكه.

— يا للعجب! ماذا حدث لكوشومودالالي؟!

واستغرقا فى الضحك. كأنهما يتبادلان المداعبات. وبعد هنيهة أحمر وجه كروتما،

وبدا عليها الجد، لا بل الغضب.

— لا تنظر إلى هكذا!

^١ يطلق على امرأة كبيرة السن من نساء صيادي الأسماك.

وغاب ضحكها، وارتكب فريكوتي خطأ لا يعرفه، وقال فريكوتي!

— بعد أن أضحكيني أولاً يا كروتما.

— ما هذا؟

ومسحت بيدها على صدرها، كأنها ترسم علامة الضرب في الحساب، ثم حولت ظهرها، وانكشفت مرة أخرى، وما كانت تلبس إلا إزاراً قصيراً.

— ما هذا، يا كوشومودالالي؟!!

وسمعت كروتما نداء من بيتها، وعادت (جكى)، أم كروتما من السوق، ونادت على كروتما فهرولت إلى بيتها، وظن فريكوتي أنها عادت غاضبة منه، وأصبح خائباً خجلاً.

وشعرت كروتما أيضاً أنها كانت قاسية في كلامها معه ولعل قلبه يتألم، ولم تضحك مثل ذلك من قبل أمامه، بل ولا أمام أحد غيره. وكانت هذه هي التجربة الأولى بالنسبة لها، وكان الضحك، يكاد يخنقهما، وخيل إلى كروتما أنها كانت تقوم عارية أمامه، وتمنت أن تغيب عن أنظاره. ولم يسبق لها هذا الشعور قبل ذلك. وربما بدرت منها كلمة طاعنة في قلبه في غمرة هذا الحوار! وكيف تصور فريكوتي صدرها؟ حيث يأخذ الثديان في النمو والتدور! وهل خيل إليه لما نظر إليها أن عروقها تحركت وانتفخت— ألهذا كان يضحك؟ أم لأنها كانت تلبس رداء خفيفاً بدون ملابس داخلية؟

وخاف فريكوتي عما إذا كانت غاضبة منه لسوء معاملته!.... وهل تعود إليه كروتما مرة أخرى؟ وقال في نفسه:

— لا بد أن أعتذر لكروتما عما بدر مني. ولن أكرر أبداً مثل هذه المعاملة التي تسئ إليها.

وعزم كل منهما على تبادل الاعتذار.

بينما كانت كروتما وهي طفلة صغيرة يتراوح عمرها فيما بين الرابع والخامس تجمع الأصداف والأسماك المتناثرة من شباك الصيادين على الساحل، كان لها في تلك الأيام صديق صغير يلعب معها، وهو فريكوتي.

والآن تتذكر كروتما جيدا أنها رأت فريكوتي لأول مرة وهو طفل صغير أتى مع أبيه الى الساحل لابساً قميصاً مزر كمشاً أصفر اللون، وفي عنقه منديل حريري، وعلى رأسه طربوش. وأنشأ أبوه دكاناً صغيراً بجوار بيتها، وما زال هذا الدكان موجوداً، وأن فريكوتي الشاب هو الذي يشرف الآن على الدكان.

وهكذا شب في ذلك الساحل هذان الصديقان الجاران. وكانت كروتما التي كانت توقد النار لإعداد الطعام مستغرقة في التفكير، فاندلعت النار الى خارج الموقد. ولما دخلت أمها الى المطبخ استغربت مما رآته فيها من ذهول. والنار تشتعل في خارج الأثافي وهي لا تدري. ودكلتها جكى لا يقاظها من ذهولها، فتيقظت كروتما من أحلامها، وسألته جكى غاضبة:

— فيمن تفكرين؟

وهذا سؤال يتبادر الى ذهن كل من يرى حالتها حينذاك، وليس فيه أى لوم على جكى، ولم تكن كروتما فى هذا العالم، بل فى عالم آخر. وقالت "بنجامي" الأخت الصغيرة لكروتما لأمها:

— أمي — كانت أختي تضحك مع كوشومودالالي وراء القارب المكون فى الساحل.

فاندهشت كروتما من إفشاء هذا السر الخطير الذي لم يعلمه أحد.

ولكن بنجامي لم تكتف بذلك، بل استمرت قائلة:

— هل تتصورين يا أمي كيف كانا مستغرقين في الضحك ! ؟

ثم خرجت بنجامي من المطبخ مشيرة بيدها إلى كروتما كأنها تنتقم منها.

ولم تصطحب كروتما معها بنحامي إلى الساحل، بل تركتها في البيت و حدها. ولهذا لم تستطع بنجامي اللعب مع الأطفال من الجيران، وأصر والدهما “جنيان كنجي” على ألا يخلو البيت من أحد، وكان يجمع هناك بعض النقود لشراء قارب الصيد والشبكة. ولهذا لم تغادر بنجامي البيت، وكانت تنتقم من أختها. هل تستطيع أم أن تسكت عن مثل هذا الكلام؟ فسألت كروتما:

— ما هذا الذي سمعته الآن؟

ولم تنطق كروتما بشيء.

—ماذا تظنين يا بنت؟

وأما كروتما فمستولمة عن الجواب، فلا مناص لها عنه. وعثرت عليه بعد تفكير عميق:

—عند ما ذهبت إلى الساحل.....

—عند ما ذهبت إلى الساحل ماذا حصل؟

—كان كوشومودالالي جالسا على القارب.

—إذن لماذا كنت تضحكين أنت؟

واصطنعت كروتما جوابا على ذلك فقالت:

—كنت أطلب منه بعض الروبيات الناقصة لشراء القارب والشبكة على سبيل القرض.

—ما شأنك أنت لتطلبين منه الروبيات؟

ولكن كروتما تمسكت بهذا الجواب:

—ألم يتحدث أبي معك يا أمي منذ أيام لاقتراض الروبيات الناقصة من كوشومودالالي لشراء القارب والشبكة؟

ولكن كل هذا لم يكن جوابا مقنعا. وما كان إلا جوابا اصطنعته لنفسها. ونظرت جكى إلى كروتما من رأسها إلى قدمها.

وقد اجتازت جكى أيضا هذه المرحلة من العمر، ولعل الشبان التجار الذين كانوا يلهون بين القوارب المركونة في الساحل قد نظروا إلى جكى حينما كانت في سن كروتما، من وراء القوارب ليضحكوها. ومهما يكن الأمر فإن جكى امرأة ولدت وترعرعت في الساحل بين الصيادين. وهي وارثة فلسفة تقليدية عميقة.

فلما ذهب أول صياد إلى عرض البحر فوق قطعة من الخشب وتغيب في الأفق بعيدا عن الأنظار مقاوما الأمواج الزاخرة والتيارات الجارفة، كانت زوجته الوفية العفيفة تدعو وتتعبد في الساحل مستقبلة إلى الغرب. وهاج البحر، وقربت منه أسماك ضخمة كادت تلتهمه، وبدأت أذيالها تضرب القارب من جميع النواحي، وجرفه التيار إلى دوامة كبيرة، ونجا بأعجوبة من هذه المهالك كلها، بل ووصل إلى الساحل غانما بسمكة كبيرة صادها من أعماق البحر.

وكيف نجا من تلك العاصفة الهوجاء؟

ولماذا لم تلتهمه السمكة الضخمة، ولم يصب القارب بسوء لضربات أذيالها؟ وكيف تفادي الدوامة المهلكة؟ كل هذا وذاك بفضل تلك المرأة العفيفة التي كانت تدعو له في الساحل!

وانتشرت قصة تلك الزوجة العفيفة في أوساط سيدات الساحل، وتمكنت في قلوبهن. وأما جكى فقد تعلمتها منذ صغرها. وربما حدث معها في عنفوان شبابها ما حدث مع ابنتها كروتما. ولعل أمها أيضا قد قالت لها قصة الزوجات العفيفات، وأسدت إليها نصائحها.

وقبل أن تحقق كثيرافي أخطاء كروتما قالت لها جكى:

—يا بنتي أنت الآن لست بطفلة صغيرة، وقد أصبحت فتاة بالغة.

فتذكرت كروتما حينئذ لحظة أن ناداها فريكوتي “والياماراتي”؛ وأضافت جكى قولها:

—هل تعرفين يا بنتي كيف يعود الرجال الذين يذهبون إلى أعماق البحر ويتعرضون لأنواع من المخاطر في عرضه الواسع سالمين غانمين؟ إنما هو بسبب عفة النساء اللاتي في السواحل، وحسن سلوكهن وإلا ابتلعتهم الأمواج الزاخرة مع قواربهم وشباكهم، وإن أرواح الصيادين في عرض البحر أمانة في أيدي نسائهم في البر.

وما كانت كروتما تسمع هذه القصة لأول مرة، فإنها قصة متداولة بين نساء الصيادين في كل حين. ولكن ما هو الذنب الذي ارتكبه بالضحك مع فريكوتي؟ ولم تودع بعد في يدها حياة أحد من الرجال الذاهبين إلى البحر، إذا أودعت في يدها حياة أحد فستحفظها بكل أمانة وإخلاص. وتعرف جيدا طريقة حفظها وصيانتها. ولا تحتاج أية امرأة من زوجات الصيادين إلى أن يلقنها أحد هذه القصة. وأردفت جكى قائلة:

—هل تعرفين يا بنتي لماذا يزرخ هذا البحر أحيانا؟ وإذا غضب من أبنائه فسيهلك الجميع، وإلا سيمنح أبنائه كل ما يحتاجون إليه، وفيه كل شيء من النعم والثروات!

ثم أسدت جكى لابنتها نصيحة قيمة :

—العفة هي كل شيء يا بنتي وأن رأس مال الصياد هو عفة زوجته.

ويقوم بعض الشباب من صغار التجار الذين لا أدب لهم ولا خلق بتدنيس نظافة الساحل، وتأتى نساء من القرى المجاورة لشراء الأسماك المجففة، أو ليعملن في محلات التجفيف والتعبئة. وهل يعرفن شيئا عن قداسة الساحل؟ ولسن من بنات البحر، ولا تهمن طهارته. ولكن الصيادين من أبناء الساحل هم الذين يواجهون نتائج هذه الأعمال الشنيعة. ثم قالت جكى:

—إن هذه الأماكن التي وراء القوارب المركونة في الساحل ، وهذه الأعشاب وتلك الآكام، وكلها أما كن خطرة ، ينبغي الاحتراس منها.

ثم وجهت جكى إنذارا شديدا الى ابنتها:

—إنك يا بنتى قد أصبحت في دور النمو الجسماني ، وأن التجار الصغار والشباب الذين لا خلاق لهم ينظرون إلى صدرك وجسمك بإمعان .

واندهشت كروتما _ لأنه في الواقع حدث ذلك فعلا معها وراء القارب المركون ، وأن الاعتراض الذي صدر من كروتما حينئذ كان ناتجا من العقيدة المتمكنة التي توارثتها جيلا بعد جيل. فإن نظرة الرجل إلى صدورهن أو أجسامهن تعتبرها بنات البحر إهانة في حقهن، وخرقا لحرماتهن. وقالت أمها:

—يا بنتي! لا تعملين شيئا يهين كرامة البحر، فتجلب المصائب على أبناء الساحل. وتسرب الخوف والوجل إلى قلب كروتما ، وأضافت جكى:

—إنه من المسلمين. وهو لا يؤمن بمثل هذه العقائد، ولا يهتم بمثل هذه الأمور.

وكانت جكى تتكلم كأنها علمت كل شئ..... ولم تتم كروتما تلك الليلة مطلقا، ولم تضر أي عداء نحو بنجامي التي أفتت سرها ، ولم تفكر فى ذلك. وهل تعتقد أنها أخطأت فعلا؟ وهي تعلم تلك الفلسفة التي توارثها أبناء البحر جيلا بعد جيل، وتمكنت في قلبها. وربما كانت تخشى أن تنحرف عن الطريق السليم، فلا داعى لأن تشعر بأى كراهية أو حقد تجاه بنجامي.

وبينما كانت كروتما سارحة في تفكيرها سمعت من ناحية الساحل صدى نغمة شنفت أسماعها بحيث تقلعها من مكانها ، وأنصتت إليها كروتما ، وكان فريكوتى يردد هناك احدى الأناشيد المعروفة بين الصيادين، وهو ليس بمطرب ولا مغن ، ولكنه كان يردده من فوق القارب المركون في الساحل ، وكيف يستطيع أن يخبر من يريد اخباره بوجوده هناك إلا بهذه الوسيلة ؟ وقد عرف فعلا من كان يريده! وأصاب حيثما أراد.

وأصبحت كروتما في قلق و حيرة ، فاذا نزلت إليه خلسة فينظر إلى صدرها وجسمها. وتذكرت كروتما كلام أمها. وأن المكان وراء القارب حيث يحيط بالمخاطر. وكما أنه من المسلمين الذين لا يؤمنون بمثل هذه المعتقدات التقليدية. وخافت كروتما أنها إذا استمرت في سماعها فتنزل إليه خلسة، وأن نظرتة إلى صدرها النافذة إلى قلبها لذة.

وأدخلت كروتما أصابعها في أذنيها ونامت متكئة على صدرها، ولكن تلك الأغنية مازال يردد صداها في أذنيها. وانفجرت كروتما باكية.

ويمكن فتح باب غرفتها المصنوع من الخوص بكل سهولة ، أو ينشق بنفسه ويتناثر، ولكنها تعيش في داخل الحيطان الأربعة لحصن متين البنيان قوى الأركان، وهي حيطان الفلسفة التقليدية المتمكنة في قلوب أبناء البحر منذ قرون عديدة، وليس لها باب ولا منفذ. ولكن هلا يستطيع الجسم الإنساني بدمه ولحمه أن يكسر هذه الحيطان؟ أو لم تنهار فعلا حيطان من هذا القبيل؟

وانتشر صدى أغنية فريكوتي في الساحل المهجور. ولم تكن هذه أغنية موضوعة لتخرج نساء الساحل من بيوتهن في ظلام الليل خلسة. وليس لها تلحين ولا سجع. وما كان صوت صاحبها جميلا ، ولكن لها روح نافذة ، أما كان عليه أن يخبرها بأنه ينتظرها هناك؟ ويريد أن يعتذر إليها ، كما أنها تريد أن تعتذر إليه، وكاد حلقوم فريكوتي يتفجر لكثرة ترديد الأغنية.

وأخرجت كروتما أصابعها من أذنيها ، وسمعت أبويها يتحدثان في الغرفة المجاورة في أمرها، حتى بلغ الحديث حد الخصام ، وقال جنيان كندی:

_ انى أعرف كل شئ. ولا اريد أن تتكلمى معى, فأنا إنسان أشعر بذلك جيدا. فأجابت جكى:

—يا انسان! معرفتك تكفي! ولكن البننت ستفسد.

—أسكتي أنت فأننى سأزوجها قريباً.

—وكيف ذلك؟ وهل يتزوجها أحد وليس عندنا مال؟

وبداً جنيان كنجي يشرح لزوجته برامجه في حياته ، ولكنها سمعت منه مثل هذه البرامج
مئات المرات.

وقال جكى فى سخط وألم:

—سنتظّل طول عمرك تجمع الفلوس لشراء القارب والشبكة.

وأجاب جنيان كنجي بحزم:

—مهما كان الأمر، لا أصرف مليماً من هذا المبلغ ، ولا تفكري فيه أبداً. وقالت جكى
غاضبة:

—فسوف يفسد بنتك أحد من الشباب المسلمين. هذا هو الذى سيحدث نتيجة لا همالك
وسكت جنيان كنجي، كأن مغزى كلامها قد نفذ الى أعماق نفسه، وقال بعد قليل:

—إنى سأبحث عن عريس لها.

—بدون مال؟

وأوماً جنيان كنجي رأسه، فسألته جكى:

—لعله يكون أحد من الأغنياء أو من السوقة.

—انتظري فسوف ترين بعينيك!

ولم تقتنع جكى بشئ من هذا الكلام. فقالت:

—وإلا فألق بنتك في البحر.

فسبها جنيان كنجى وقال: "أف لك"

وسألته جنيان كنجى فورا:

—فإذن لأجل من تشتري القارب والشبكة؟

والترم جنيان كنجى الصمت. وأن القارب والشبكة من أهداف حياته. ولم يفكر مطلقا لأجل من يشتريهما.

ثم قدمت إليه جكى اقتراحا:

—ما رأيك في "ويلا ماناليل ويلا يودهان" عريسا للبنيت؟

—لا، وهو غير مناسب.

—لماذا؟ وما هو عيب؟

—هو مجرد سماك.....سماك من طبقة سفلى.

—ثم من تختاره زوجا لبنتك من غير السماكين؟

ولم يجب على ذلك بشئ.

وأما قول جكى بأن أحدا من الشباب المسلمين قد يفسدها فقد نفذ إلى أسمع كروتما، ولم يفهم أبوها مغزى هذا الكلام على حقيقته. وارتجف قلبها ارتجافا عنيفا. ألم يفسدها فعلا شاب مسلم؟

وما زال صوت فريكوته يدوي في الساحل.

الفصل الثاني

وفي اليوم التالي لم تخرج كروتما من بيتها قط. ووصلت عاملات من النحية الشرقية للساحل ليشتغلن مع فريكوتي في اعداد الأسماك الجافة وتعبئتها.

وخطر ببال كروتما في أوقات فراغها. هل فريكوتي ينظر بامعان إلى صدورهن أيضا؟

وأقبل المساء وعادت قوارب الصيد من أعماق البحار إلى الساحل، وتوجهت جكى مع السلال إلى الشاطئ لإحضار السمك. وقالت لابنتها قبل أن تغادر البيت، باهتمام بالغ:

— يا بنتي ، اذكري دائما كلام أمك.

وتعرف كروتما جيدا ماذا ستذكره.

وعاد جنيان كنجي بعد قليل، وأحضرت له كروتما الطعام. ونظر إليها باهتمام على غير عادته. ولماذا كان هذا النظر الغير مألوف؟ وخافت كروتما هل أبوها أيضا عرف خطأها؟ فإذن لكان نظره إليها قاسيا. ولكنه لم يكن كذلك.

وذكرته جكى الليلة البارحة، أن في البيت بنتا بالغة. وكان منذ بدء حياته يسعى لشراء قارب وشبكة. فما هي الآن تذكره بمسئولية كبرى أخرى. بنت بالغة فى البيت! وتقول جكى، بأن أحدا من الشباب المسلمين قد يفسدها. ولهذا فقط ألقى إليها نظرة عادية.

والى اليوم يشتغل جنيان كنجي في قوارب الآخرين، ويحصل على أجر محدود، وكان أولا يشتغل في مجاديف القوارب، والآن قد أصبح ربانها. وكان جنيان كنجي الذي وضع نصب عينه هدفا منشودا، يقوم بجمع كل مليم يحصل عليه، وتجمع لديه الآن مبلغ من الروبيات ولكنه لا يكفي لشراء القارب والشبكة.

وبلغت البنت سن الرشد. وحيثما توجد البنات البالغات، تخاف مغبة الفساد.

وهل يفضل شراء القارب والشبكة؟ أو تزويج البنت؟

هذا هو محور تفكيره الآن. وأراد جنيان كنجي أن يوجه كلمة الى ابنته:

—يا بنتي ، حافظي على نفسك!

وقال الأب هذا الكلام ، ولم ترد عليه كروتما. وما كان جنيان كنجي ينتظر منها الجواب.

وبعد انصراف العمال ذهب فريكوتي كالمعتاد إلى القوارب المركونة وجلس على درجاتها. وربما كان ينتظر كروتما اليوم أيضا.

وذهب جنيان كنجي إلى فريكوتي. ورأتها كروتما يتحدثان لمدة طويلة، وفكرت في أي موضوع كانا يتحدثان؟ ولعل الأب كان يستلف منه الفلوس.

وجرى كلام طويل بين الأب والأم في تلك الليلة، وأرادت كروتما أن تقف على سر هذا الكلام.

وفي هذا اليوم أيضا ردد فريكوتي أغنية. واستمعت إليها كروتما من قاع كوخها. وإنما كانت تريد أن تقول لفريكوتي بالألا ينظر إلى صدرها بإمعان، والآن عليها أن تقول له أمرا آخر: ألا يغنى!

وكانت يومين سابقين تلهو وتمرح مثل الفراشة الحرة. وما هو التغيير الذي طرأ عليها منذ يومين؟ وجعلها تفكر بجد واهتمام. وبدأت تفهم نفسها بنفسها. وأليس هذا تغير في مجرى الحياة كلها؟ وهي تراقب كل خطوة من خطواتها. وهل تستطيع الآن أن تلهو وتمرح كما كانت تفعل من قبل؟ ونظر إلى صدرها رجل فأصبحت امرأة كاملة النمو.

ولم تسمع في اليوم التالي أغنية فريكوتي وكان القمر يرسل ضوءه الفضى في الأفق الواسع. وحملت الرياح التي هبت من خلال خوص أشجار الجوز الهندي، رنين الأمواج الزاخرة إلى ضواحي القرية.

ولما لم تسمع كروتما أغنية فريكوتي — كالمعتاد — أرهفت أذناها. وهلا يغنى فريكوتي بعد الآن؟

وخرج جنيان كنجي من البيت بعد تناول العشاء. وتظل جكى ساهرة، وسألتها كروتما: لماذا تسهرين يا أمي؟ فأجابتها: اذهبي لتنامي أنت. فذهبت إلى سريرها لتنام ولم يلبث أن غلبها النعاس فسمعت صوت أحد يسأل!

— ألم تنم كروتما؟

وبسبب الشعور الكامن في طبيعة هذا الصوت، الذى تعرفه وحدها، فهمت أنه صوت فريكوتي.

فأجابت جكى:

— إنها نامت.

وفهمت كروتما أن في صوت جكى نوعا من الامتعاض. وتصيب جسم كروتما كله عرقا. وقامت من السرير، ونظرت من ثنايا خوص حجرتها. فان جنيان كنجي وفريكوتي يحملان شيئا ثقيلًا إلى داخل البيت. وكان عددا من السلال المليئة بالأسماك الجافة.

واهتز قلب كروتما اهتزازا بالغا. وكيف لا، فإنها ترى فريكوتي وجكى وجنيان كنجي يتبادلون الأحاديث مجتمعين في فناء البيت.

وسألت كروتما جكى في الصباح الباكر عن هذه السلال. فأجابت جكى في خبث:

— أتى بها "كوشومودالالي".

فسألت كروتما:

— لماذا لا يحتفظ بها في محله؟

—ما لك أنت.

وبعد قليل سألت جكى بغضب:

—وما شأنه بك؟ حتى تبحثي عن هذا كله؟ قفي عند حدك! وخطرت ببال كروتما أسئلة عديدة، ليست لها أي صلة به. ولكن أليست هذه سرقة؟ وأليس هذا خضوع لفريكوتي؟ وقال لها الأب من قبل أن تحافظ على نفسها، وكيف يتأتى ذلك مع مثل هذا الخضوع؟ ولكن كروتما لم تقل شيئا.

وفى اليوم التالي بيعت تلك الأسماك الجافة، وذهب جنيان كنجي إلى البحر للصيد. وتوجهت جكى إلى الناحية الشرقية لبيع الأسماك، وتلعب بنجامى في خارج البيت، وفيه كروتما وحدها.

وأتى فريكوتي إلى البيت.

وهرولت كروتما فورا إلى داخل البيت، وانتظر فريكوتي هنيهة في فناءه صامتا. وأخذته أيضا حيرة ودهشة. ولكنه قال:

—أعطيت الروبيات، لشراء القارب والشبكة.

فلم يسمع أي جواب. وأضاف فريكوتي قائلا:

—وهل تبيعوننا السمك الذى تصطادونه وندفع الثمن؟

وكان من المفروض أن يكون الجواب: إذا دفعت الثمن المناسب.

وهكذا كان جواب كروتما من قبل، ولكنه لم يسمعه اليوم، وحصل الضحك بينهما في ذلك اليوم وراء القوارب المركونة على أثر هذا الكلام. وربما كان فريكوتي يتمنى تكراره اليوم أيضا، ولكنه لم يحدث شئ من ذلك. صمت رهيب!

فسأل فريكوتي:

—لماذا لا تتنطق كروتما بشئ؟ وهل أنت في خصام معي؟ وأحس فريكوتي كأنها تبكي،
وسأل فريكوتي:

—وهل تبكي كروتما؟

—اذن لم يعجبك مجيئ، فإني ذاهب.

ولما لم يسمع جوابا على هذا أيضا سأل فريكوتي مع ارتجاف في صوته:

—هل أذهب يا كروتما؟

فقالت، كأن هذا الكلام قد وقع مثل الصاعقة في مكان في قلبها:

أنت مسلم يا كوشومودالالي.

ولم يفهم فريكوتي مرادها منه، فسأل:

—فإذن ماذا؟

ولم تحر جوابا. وتساءلت بنفسها أيضا، فماذا إذا كان مسلما؟ وبادرت الى لسانها جملة:

—اذهب يا كوشومودالالي، وانظر إلى صدور وأجسام النساء اللاتي يعملن معك.

وظن فريكوتي أن كروتما وجهت إليه تهمة خطيرة. وأنها فهمت أن له صلة بالعاملات معه، وقد اندهشت بسبب هذا الفهم. ولا يدري فريكوتي كيف يثبت أمامها حقيقته، فإنه لم ينظر مطلقا إلى واحدة منهن. وقال بكل صدق وإخلاص:

—والله لم أنظر كذلك!

ومما يعجب كروتما جدا أن يثبت أن فريكوتي رجل طيب، ولا شك في ذلك. ولكن الذي يجب على فريكوتي أن يفعله من أجل كروتما، ليس هو عدم النظر إليهن، ولا تدري كروتما كيف تفهمه ما ينبغي أن يفعله من أجلها. وكان عليها أن تقول له كل تفاصيل تلك الفلسفة التقليدية التي سوف تتبعها في حياتها، وليس لديها المقدرة الكافية على ذلك ولا الجرأة.

وساد الصمت لفترة طويلة، ثم تكلمت كروتما كأنها شعرت بثاقت فكرها أن الصمت سوف يطول لفترة أكثر:

—أمي تعود الآن.

—وماذا يحدث لما تحضر؟

—يا ويحك! هذا خطأ.

—كروتما في الداخل، وأنا في الخارج. فماذا إذن؟ وإذا أرادت أن تفهمه فتحتاج إلى تفاصيل طويلة لساعات عديدة، فما جيلتها أن تفهمه ذلك كله!

وسأل فريكوتي:

—هل تحبيني يا كروتما؟

وأجابت فوراً:

—إنى أحبك.

فسأل فريكوتي فرحاً:

—ثم لماذا لا تخرجين يا كروتما من حجرتك؟

—لا — لا أخرج.

—إني لا أضحك، وأريد أن ألقى عليك نظرة وأعود.

وقالت بائسة مضطربة: أرجو ألا تعمل ذلك.

وقال فريكوتي تعد هنيهة:

—فإذن أنا أذهب .

فسمع صوتا من الداخل كأنه جواب لقول هذا:

—ستكون محبوبا عندي دائما.

وهل ينتظر وعدا أكثر من هذا؟

وذهب فريكوتي. فحينئذ فقط تذكرت كروتما بأنها لم تذكر له ما كانت تريد أن تذكره من قبل، بينما قالت له كلاما ما كان ينبغي أن يقال.

ورأت كروتما في تلك الليلة بعينها أن جنيان كنجي وجكى يعدان النقود التي عندهما، ومع أنها لم تبلغ المقدار المطلوب، فإن جنيان كنجي شعر بارتياح بالغ فقال:

—جمعنا هذا المبلغ بدون التجاء إلى "أوسيب" أو غيره من المرابين.

وارتاحت جكى أيضا لذلك.

—وإذا اقترضناه من هؤلاء الذين يمشون بجيوب مليئة بالروبيات ليخدعوا الصيادين.

—فإذن لا يبقى لنا القارب ولا الشبكة ولا المبالغ التي دفعناها.

وكان أوسيب وجريندان يسألان جنيان كنجي من قبل عما اذا كان يحتاج إلى نقود، فكان يجيب بعدم الحاجة إليها. واذا اقترض منهما أحد نقودا فلا متخلص من القرض أبدا، بل وتكون القوارب والشباك بعد مدة ملكا لهما. وهذا هو الذي يجرى عادة في الساحل. ولكن

المبلغ الموجود لا يكفي لشراء القارب والشبكة. وما هي الوسيلة للحصول على بقية المبلغ؟
فقال جنيان كنجي:

—فلنطلبه أيضا من كوشومودالالى ، أليس كذلك؟

كرهت كروتما والديها لأول مرة حياتها، وكرهت أمها أيضا لأنها لا تعارض هذا الاقتراح.

وفي اليوم التالي أيضا جرى فى دكان فريكوتي تجفيف الأسماك وتعبئتها فى السلال، وتعرف كروتما جيدا سر هذا كله. وفي غضون بضعة أيام أصبحت كروتما تفهم الأمور وتميزها.

وقالت جكى لكروتما، وهي في غاية الغبطة والفرح من التطور السار التقدمي الذي سيحدث في مجرى حياتهم!

—يا بنتى! إننا عماقريب سنملك القارب والشبكة.

ولم ترد كروتما بشئ، أي أنها لم تستطع الاشتراك في ذلك الفرح. وكان ذلك هو التحول الخطير الذي حدث في حياتها.

وقالت جكى بنفسها:

—إن البحر الأم الأسبغ علينا بركاته.

وخرج من كروتما أثر الكراهية الكامنة في قلبها:

—أليس البحر الأم يغضب من خداع الناس؟

ونظرت جكى شاخصة إلى وجه كروتما، ولكنها لم تسكت، وأردفت تسأل:

—لماذا نشترى القارب والشبكة يا أمي بعد أن نخدع ذلك المسكين؟ وهو أمر فظيع.

—ماذا تقولين يا كروتما؟ هل تقولين إننا نخدع؟

—نعم

—لمن؟

وسكوت كروتما كان هو الجواب عليه.

فقالَت جكى:

—فاذا اقترضنا من أوسيب فسيكون القارب والشبكة ملكا له بعد مدة.

—لا يا أمي ، فإذا اقترضنا مبلغا من أوسيب فيجب أن يرد إليه.

—ألا نرد هذا كذلك؟

فقالَت كروتما:

—هذا ، هذا ، هل أخذتموه ليرد إليه؟

كان هذا سؤالاً قذفت به إلى وجه جكى، وادعت جكى أن الأسماك المجففة التي اقترضوها من فريكوتي معاملة عادلة لا خداع فيها، وطلبه جنيان كنجي بدون أي إلحاح ولا خداع ولا مكر، وهو سيرد هذا المبلغ حتماً.

فسألت كروتما:

—ويأتي بالسلال في ظلام الليل ، هل هذا ليرد؟ وإلا لماذا لم يحضرها في النهار؟

وأردفت تقول مسرعة:

—وهذا هو البحر الأم يبكي ويرزخ.

وأليس معنى هذا أنها تقول أن أمها وأباها ارتكبا أعمالا شنيعة تغضب البحر حتى يبكي!

وفارت جكى غضبا:

—ماذا تقولين ، هل أبوك سرق؟

ولم تقل كروتما شيئا. وسألت جكى بسلطة الأم:

—ما شأنك بذلك الولد المسلم؟ حتى تتألمين له إلى هذا الحد.

وانساق لسان كروتما لتقول إنه لا شأن لها به ولكنها لم تنطق بذلك، ولماذا تقول إنه لا شأن لها به؟ وكان ذلك تعقلا منها. أليس لها أي شأن بفريكوتي؟

وخطر ببالها حينذاك أنه بالنسبة إليها كل شيء.

وقالت جكى غاضبة:

—كأنها تفسد الساحل وتهلكه!

وعارضت كروتما هذا الكلام بكل فهم وحكمة:

—إني لا أنتحي أبدا عن طريق الاستقامة والنزاهة.

—ثم لماذا تتألمين إلى هذا الحد بشأن ذلك الرجل؟

—وإذا كان الأمر كذلك فربما يصفى دكانه ويسافر.

ثم صبت جكى اللعنات والشتائم على كروتما. واستمعت إليها صامتة، ولم تحزن عليها مطلقا ، واستمرت جكى في كلامها. ولما رأت كروتما أنها تتعدى حدها في ذلك، نظرت إلى وجه أمها فسألت:

—هل هو أعطانا واثقا في الوالد؟

—وهل أنت في شك من ذلك؟

فتذكرت جكى على الفور طلب كروتما منه النقود. وظنت أنها الآن تشير بهذا السؤال إلى ذلك:

—وهل تظنين أنه بناء على طلبك؟

وماكانت تستطيع كروتما أن تقطع بأنه بسبب سؤالها فقط. ولكن فريكوتي يحبها، وقالت كروتما:

—يا أمي ، لاتجعليني أتكلم شيئاً في الموضوع!

—لماذا؟ وما تقصدين؟

وأردفت جكى السؤال بعد برهة:

—وهل أنا غازلت معه أخذ منه الفلوس؟ وماذا عندك أن تقوليه؟

فانفجرت كروتما باكياً، وسألت:

—بعد ما نصحتني بهذا كله، لماذا نقترض منه الروبيات يا أمي وندين له؟

واختلج صوتها فلم تستطع أن تستمر في الكلام ، وطرأ انتباه في ذهن جكى ، وفي كلامها حقيقة وصدق ، وسرحت جكى بذهنها لفترة قليلة، وقد حدث فعلاً خطأ ما، وكان هناك خطوة إلى الخطر، فسألت جكى:

—ماذا حصل يا بنتي؟

وكروتما غارقة في البكاء:

—هل هو حضر هنا؟

ونطقت كروتما بكذب صريح:

— لا

— ثم ماذا يا بنتي؟

— وإذا حضر هنا ماذا أعمل يا أمي؟

واستعجلت جكي لإثبات براءتها ، ولم تفكر جيدا. وطلبت منه المساعدة ووافق فريكو تي على ذلك فوراً، وما كان هذا القرض إلا أن يرد إليه ، ولم يكن سؤال كروتما في غير محله. ولا شك في أنه ليس بسئ الأخلاق ولكن أليس هو شاب صغير؟

واضطربت طمأنينة قلب جكي. وكادت تظن أنه كان من الأحسن ألا تأخذ منه الفلوس ولكن جنيان كنجي لا يعرف شيئاً من هذا.

وفي تلك الليلة أيضاً ألحت جكي على جنيان كنجي بموضوع زواج كروتما، فلا بد أن نسأل “ ويلايوداها” في هذا الأمر، فهذا هو المهم أولاً، وأما القارب والشبكة فبعد ذلك. ولكن جنيان كنجي لا يوافق عليه، وقد قرّر على شرائهما أولاً، وهو أمر مفروغ منه.

وهل يمكن أن يفتح بكل شيء، وقالت جكي في غمرة القلق والغضب:

— وكنت إلى الآن أحمل السلال يوميا لبيع الأسماك لنشتري القارب والشبكة، ومن الآن فلا ننتظر هذا المكسب.

ونظر جنيان كنجي إلى جكي مستفسرا عما تريده، فسألها:

— ماذا تقولين بدون تفكير؟

وأسرعت جكي فقالت:

— هذا أقوله أنا أيضا.

—ماذا؟

—أريد أن أحافظ على بنتي.

—ماذا تعنين بذلك؟

—قد كبرت وبلغت سن الأنوثة، وقلبي لا يطمئن على أن أتركها وحدها في البيت.

وقد عقدت جكى عزمها على ذلك وأضافت تقول:

—وإلا عليك أن تزوج بنتك.

وسكت جنيان كنجي كأنه قد فهم قصدها، إذا لم تذهب جكى لبيع الأسماك، فيترتب على ذلك خسارة كبرى. وسألها:

—وهل حصل أي أمر شيء؟

—لم يحصل شيء إلى الآن. وإذا حصل في المستقبل فماذا يكون؟

وهذا أمر يستحق كل اهتمام واحتياط، ولكن جنيان كنجي واثق كل الوثوق في أن كروتما مستقيمة السيرة، وعفيفة الخلق، وليست فتاة طائشة. ولا تكون عرضة لأي نوع من الفساد حتى ولو صارت وحدها في البيت.

وسألت جكى:

—وهل حصول الفساد يحتاج إلى وقت كثير؟

ولم يتكلم جنيان كنجي بشيء.

ولم تذهب جكى في اليوم التالي للبيع. وأما جنيانا كنجي فلم يجبرها أيضا على ذلك.

ولما علمت جكى أن سلال الأسماك الجافة تأتي إلي البيت في تلك الليلة أيضا عارضت على ذلك:

— لا حاجة لنا بها.

فسأل جنيانا كنجي:

— ما هو السبب؟

— لماذا نخدع ذلك الولد؟

— من قال لك أن هذا لنخدعه؟

— ثم لماذا؟ وهل نرد له هذا المبلغ؟

وقال جنيانا كنجي بأنه يرد اليه حتما.

ولكن خطر ببال كروتما أن تخبر فريكوتي بأن هذا المبلغ لا يحصل عليه مرة أخرى، وكانت تترقب الفرصة لأن تتحدث إليه سرا ولكنها لم تتمكن من ذلك. وفي تلك الليلة أيضا جاء فريكوتي يحمل سلالا من الأسماك الجافة، وتسلمها جنيان كنجي بدون أي تردد، ولم يقل له شيئا حتى عن موعد سداد الدين. وكادت كروتما تجرؤ على أن تتكلم مباشرة مع أبيها. ولكنها لامت أمها كثيرا.

وبدت لكروتما أن هذا عبء ثقيل يخضع صاحبه أبدا.

الفصل الثالث

واكتمل المبلغ المطلوب لجنيان كنجي , وذهب به لشراء القارب والشبكة ، وشاع هذا الخبر بين أهلي الساحل ، وحتى قال البعض أنه حصل على كنوز من البحر وروى البعض

أنه لما ذهب يوما إلى ساحل البحر رأى في شاطئه قطعة من حجر أسود، وأخذه فوجده من الذهب الخالص. وقال آخرون أنه من كسب يده. ولكن ما كان الكثير يعتقد ذلك، فكل واحد منهم يعمل ويكد مثله ، ولم يستطع أحد أن يوفر شيئا بعد نفقات يومه ، وكيف توفر له ذلك؟

وكان "أجا كنجي" من أقران جنيان كنجي ، وبيته يجاور بيت جنيان كنجي وكانا صديقين منذ الصغر، وبدأ الناس يسألون أجاكنجي عن مقدار الروبيات التي أخذها جنيان كنجي معه ، وعن الأشخاص الذين سيعملون معه ، ومن أين حصل على هذه الروبيات. وغيرها من أسئلة حب الاستطلاع!

وما كان أجاكنجي يعرف شيئا، ولكنه تظاهر بالعلم به، وإذا ثبت أن جنيان كنجي رجلا ثريا، ألم يرتفع بذلك شأن صديقه الحميم أيضا؟ وأجاب أجاكنجي إجابات مناسبة لهذه الأسئلة كلها ، وشعر المسكين لنفسه أيضا يعلو مركزه. وسأل "كوجويلو":

—إني سمعت بأن العم أجاكنجي أيضا شريكه في ذلك.

وكان ذلك سؤالا جعل أجاكنجي في مأزق ولكنه لم يتخل عن ذلك أيضا فقال:

—لا أقدر أن أقول نعم أولا.

وكان هذا السؤال موجها إليه استهزاء به بسبب غروره وتعاضمه، وضحكوا جميعا عند ما سمعوا منه هذا الجواب، واصفر وجه أجاكنجي خجلا.

وسأل أحد المستهزئين : لماذا تضحكون؟

—ألا يستطيع أجاكنجي أن يشتري قاربا وشبكة لنفسه؟ ولماذا يشترك مع الآخر؟

وانبعث جواب سريع من سخط أجاكنجي وخجلة:

—إذا اشترى كل واحد قاربا وشبكة فمن الذي يعمل فيها؟

وقال كوجوويلو مكتبا ضحكه:

— هذا صحيح، ولهذا لا يشتري العم أجا كنجي

وحينذاك فقط فهم أجاكنجي أن زملاءه كانوا يستهزئون به عمدا. ومنذ ذلك اليوم إذا سأله أحد عن قارب جنيان كنجي ، ينهره أجاكنجي غاضبا. ثم بدأ الناس يوجهون إليه مختلف الأسئلة ليروا طريقة غضبه وسبابه.

وفي يوم من الأيام كان محصول الصيد ضئيلا جدا، ولم يستطع أجا كنجي أن يحصل إلا على ثلاث روبيات. وكان عليه دين للقهوجي، أحمد كوتي، وكان ذلك دينا قديما. وفي ذلك اليوم حصل عليه أحمد كوتي من أجا كنجي بالقوة

وهكذا عاد أجا كنجي في ذلك اليوم إلى البيت خالي اليد. بينما كانت زوجته “نلابن” في انتظار عودته لشراء اللازم لطعام العشاء، فنشبت المشاجرة بين الزوجين، فنقول له “نلابن” إنك صرفت مكسب اليوم في الخمر والملذات، وعدت إلى البيت خالي اليد. ولا تصدق قول أجاكنجي ، وفتح فاه ووضع في فمها ليثبت لها أنه لم يشرب الخمر، ولكن كل هذا لا يكفي لا بعاد الشك عنها، فقالت:

— كل ما تكسبه طول اليوم لا يكفي لشرب الخمر فكيف نستطيع أن نعيش إذا لم نجد شيئا يوما ما؟

— هل شربت اليوم حذار من أن تتهميني بدون حق!

— يمكن أنك لم تشرب اليوم، ولكن ألم يكن من عادتك الاستمرار في الشرب كلما كان معك الفلوس؟

وقالت ربة البيت هذا الكلام متضايقا لعدم وجود شيء في البيت للعشاء. ولكن أجا كنجي غضب من ذلك، وقال بسلطة و كبرياء:

—لا تتكلمي معي بهذا الأسلوب المتغطرس.

—هل هذا كلام الغطرس؟ والذي كان زميلك من الصغر أصبح يملك القارب والشبكة،
أما عندنا فلا يوجد حتى قوت اليوم، هل هذا هو كلام الغطرس؟

أما أجا كنجي فلم يجب على ذلك بلسانه، بل أعطاها ضربتين عنيفتين على عنقها. وما
أسوأ حظ أجا كنجي! فيشترى جنيانا كنجي القارب والشبكة، وبذلك يصبح أجاكنجي عرضة
لاستهزاء أهالي الساحل كلهم. وفي البيت أيضا يلاقي المتاعب والمشاكل.

—إذا اشترى أحد القارب والشبكة فما دخلى في ذلك؟ وماذا جنيت أنا لأتحمل هذه
المسؤولية؟

وقد جمع جنيان كنجي الفلوس مضنا بقوته، ولا يقدر على مثله أجاكنجي أوغيره من
أهالي الساحل.

وأما كروتما وأمها جكى فكانتا تسمعان هذا الحوار الذي يجري في بيت الجيران.

فسألت جكى بصوت مرتفع:

—عمنا أجا كنجي، إذا كنا نضنّ بقوتنا فهل أتيناك سائلين؟

وتوجه أجاكنجي أيضا إلى جكى، وأجاب قائلا:

—إنى أعرف جنيان كنجي جيدا. أنا أعرفه منذ صغره.

ولم تترك جكى بل واحتدت في الكلام:

—ماذا تعرف عنه أنت؟ وهل أوقدت النار في بيتك اليوم؟ أليس هذا بسبب سوء ضميرك

أنت وزوجتك؟

ولما جاء ذكرها في الكلام تحمست زوجته تلابن أيضا فسألت:

—إني أحذرك من أن تذكرني اسمي. وماذا عملت زوجته؟

وسأل أجاكنجي جكى:

_ ما هو سوء ضميرنا يا امرأة؟

—الحقد والحسد!

—لمن؟ هل لزوجك؟

وبصق أجاكنجي بملء فمه محتقرا:

—هل يحقد الرجال لهذا الحقير يا امرأة؟

واشتد غضب جكى:

—خذ حذرك من مثل هذا الكلام يا رجل؟

وسأل أجاكنجي:

—فماذا تعملين إذن؟

—هل تسأل ماذا أعمل؟

—لما وجد بعض الملاليم تكبرت!

وخافت كروتما أن يشتد النزاع، وكممت يدها فم أمها، وجذبت كروتما جكى إلى داخل البيت.

ولما هدأت حدة الغضب بدأ أجا كنجى يفكر جيدا، وأزعجته هذه المشاجرة أكثر مما أزعجه عدم وجود شئ في بيته ليقتاتوه.

وكان يحدث أحيانا مشاجرات عادية بين النساء. ولكنه لم يتشاجر أبدا من قبل مع جنيان كنجي أو جكى. وقد حصل هذا أيضا اليوم. ولم ينم أجا كنجي ليلته.

وفي الصباح الباكر قبل أن يذهب إلى البحر اقترض روبيتين من مالك القارب وتركهما في البيت. ولما عاد من البحر ظهرا أعطى كل ما كسبه في ذلك اليوم إلى نلابن، وقال لها بأنه يبدأ عهدا جديدا منذ الآنك

—يا نلابن اسمعى، من اليوم أعطيك كل ما أكسبه من عملي، واحتفظي به جيدا، ونجرب هل يمكننا أيضا أن نجمع بعض النقود؟

وسرت نلابن بهذه الفكرة، فقالت:

—بهذه الطريقة على الأقل نستطيع أن نتغلب على الفقر والجوع، ولو لم نشتر القارب والشبكة.

—من قال اننا لا نستطيع شراء القارب والشبكة؟ ولا تياسى من ذلك. وربما يمكن ذلك أيضا.

وهذا أيضا صحيح، وعزمت نلابن أيضا على القيام بمحاولة جدية، وقالت:

—ألم تر حالة أولئك الذين كانوا حتى أمس القريب يعيشون بيننا، ومن الآن سوف لا يتكلمون معنا.

ولم يعجب أجا كنجي هذا الكلام فقال:

—لماذا تتكلمين عن عيوب الآخرين؟ ودعينا نفكر في شؤوننا!

—لا، وإن جكى قد أصبحت الآن تتكبر، وهذا يبدو واضحا كلما نتقابل.

ونصحها أجا كنجي، وقال:

—احفظي لسانك دائما.

—هذا هو الأحسن. ونقوم أيضا بمحاولات جديدة حتى نصل إلى غرضنا.

وما كانت تلابن تأسف إلا على أمر واحد:

—يا ليت هذه الفكرة قد بدأت من قبل!

وأمن أجا كنجي على كلامها. وكانت على حق في رأيها. ولكن أجا كنجي قد قال على سبيل ترضية النفس:

—يا تلابن، لماذا يجمع الصياد المال؟ وثوراته منتشرة في الغرب (البحر)، وأما المثل القائل إن القارب والشبكة من لوازم الساحل فقد مضى عهده، ومن الذي لا يستطيع أن يشتري القارب والشبكة إذا سعى في ذلك؟

—ولكن قد أصبح زميلك من عهد الطفولة يملك القارب والشبكة.

وقال أجاكنجي:

—كان جنيان كنجي ماهرا جدا، وكل همه في ذلك.

وأكد أجا كنجي عزمه مرة أخرى:

—سأسعى بكل جهد.

وكان هذا الكلام بمثابة عهد أخذه على نفسه، وذهب أجاكنجي مساء إلى الشاطئ لتفريع شبكة التي تأكت حبالها، ولما وصل إلى هناك كان العمال الآخرون منهمكين في أعمالهم، وكان الكلام يدور بينهم حول جنيان كنجي.

فسأل أجا كنجي:

—يا زملائي أليس عندكم إلا مثل هذا الكلام؟ لماذا تبحثون عن شون الآخرين؟ والإ
فاستمروا في كلامكم هذا، حتى تغفر خطيئاته!

وسأل “أيان كنجي”

—لماذا نأسف عليه إلى هذا الحد؟

وأجاب أجا كنجي هادئاً:

—وهل كان سؤالي خاطئاً؟

وأثار “رامن موبان” سؤالاً قانونياً في هذا الموضوع:

—أليس لنا حق لأن نتكلم عن جنيان كنجي؟

—وما هو الحق؟

وأبدى رامن موبان استغرابه:

—وطيب، يا أجا كنجي إذا كان هذا السؤال من صغار الشباب، فليس فيه حرج، ألسنت
أنت صيادا كبيرا مجرباً؟

ولم يفهم أجا كنجي مراده. ولم يطلب منهم إلا أن يكفوا عن ذكر مساوئ الناس. أليس
لكبار المجربين الحق في ذلك؟ وما هو إلا أمر مرغوب فيه. وسأل أجا كنجي:

—لماذا قال موبان هكذا؟

ووضع رامن موبان مآكان في يده من الخيوط في الأرض، ثم وجه سؤالاً إلى أجاكنجي:

—يا أجا كنجي، أليس للساحل آداب وتقاليد؟

وأجاب أجا كنجي بنعم، ووجه رامن موبان سؤالاً آخر:

— وهل هذه الآداب والتقاليد موجودة في جنيان كنجي؟

ولم يفهم أجاكنجي فحوى سؤاله، ووضح رامن موبان سؤاله مرة أخرى:

— هل جرت العادة عندنا في الساحل، قديماً أو حديثاً، بأن توجد فتاة بالغة بدون زواج؟

وأكمل أيان كنجي بدوره مقصود هذا السؤال:

— كان في الزمن القديم في كل بيت رب أسرة يشرف عليها.

وسأل رامن موبان:

— ومن الذي يفكر في شراء القارب والشبكة مادامت في البيت بنت بالغة تنتظر الزواج؟

وفي الأيام الماضية ماكان رب الأسرة يوافق على ذلك، وكل هذا من التقاليد المتبعة بين أهالي الساحل، ولا يجوز انتهاكها، ووراء كل هذه التقاليد أهداف، وهذه التقاليد ستدر البركات على الصيادين.

وسأل أيان كنجي؟

— وما هو سن الزواج التقليدي عندنا؟

وقال الصياد العجوز رامن موبان:

— في السن العاشرة.

وسأل “ويلا يودهان”:

— وإذا بقيت البنت بدون زواج هذا السن؟

ولم يكن ذلك سؤالاً موجهاً ليعرف جوابه. والذي ظهر من هذا السؤال هو مدى خطورة انتهاك التقاليد المتبعة. وعلق رامن موبان بنفسه على هذا السؤال:

—إن هذا السؤال لا ينشأ مطلقاً، فإنه لا يمكن أن تبقى البنت في أو ساطنا أكثر من هذا؟

ووضع ويلايودهان ما في ذهنه بقوله:

—وماذا يكون موقف رب الأسرة في هذه الحالة؟ يقاطعه المجتمع، ولا يستطيع أن يقيم في الساحل.

وقال الشاب “يونيان”:

—إن هذا كان في الزمن القديم.

وقال أيان كنجي متحمساً:

—لا يارجل. وفي هذا الزمن أيضاً، وإذا كنت تريد أن تجرى ذلك، فانظر، فترى كيف يقع جنيان كنجي في مأزق شديد لا مفر منه.

ووافق رامن موبان على ذلك الرأي. ثم أشار إلى موضوع آخر:

—هل كان من المفروض أن يكون القارب والشبكة للجميع؟

وأجاب أيان كنجي بالنفي المقاطع. ووضح رامن موبان هذا التقليد كما حقه. وإن أبناء “البحر الأم” قد ورثوا ثروات ضخمة، وتدر الأم عليهم بنعم كثيرة فيكون في مكنة الجميع أن يملك القارب والشبكة، ولكن إذا كان كل واحد يملكهما فمن الذي يشتغل في البحر؟ فسأل:

—ومن الذي لا يستطيع من أهالي الساحل أن يشتري القارب والشبكة إذا أراد؟

هذا كلام صحيح. وألقى أيان كنجي أمامهم سؤالاً عميقاً:

—ثم لماذا لا يملك الجميع القارب والشبكة؟

ولهذا سبب خاص. إن الصيادين ينقسمون إلى خمس طبقات: بائع السمك، صاحب القارب والشباك، العامل بالشبكة، والمجدف القارب. وهناك طبقة أخرى خامسة. وليس لأحد منهم حق امتلاك القارب والشبكة إلا للطبقة الثانية. وفي الزمن القديم ما كان يسمح زعيم أهالي الساحل بشراء القارب والشبكة إلا لأفراد هذه الطبقة، بعد أن قدموا إليه الهدايا والتحيات المعروفة.

وسأل ويلا يودهان:

—إلى أي طبقة ينتمي جنيان كنجي؟

وقال رامن موبان:

—إنه من الطبقة الثالثة—أي من العاملين بالشبكة.

—وقال يونيان بكل دهاء:

—سيجري الآن التحقيق عن الطبقة التي ينتمي إليها جنيان كنجي.

وسأل أجاكنجي:

—لمماذا ذلك؟

—لأنه يفكر في أن يتزوج تلك البنت.

وقال أجاكنجي:

—إن هذا أمر حسن. وهي فتاة طيبة.

ولم يعجب أيان كنجي هذا الكلام. قال:

—إن أجاكنجي معجب دائما بكل شئ يتعلق بجنيان كنجي.

ثم أسدى أيان كنجي نصيحة إلى ويلا يودهان:

—إنك لا تحصل على مليم من ذلك البخيل اذكر ذلك جيدا، وأما البننت أيضا فمتكبرة.

وغضب أجاكنجي على هذا الكلام.

—ماذا تقول يا رجل؟ إذا تقدم أحد لخطوبة بنت، فهل من الأخلاق محاولة عرقلة تلك

الخطوبة؟ وهل هي من تقاليد الصيادين؟

وأجاب أيان كنجي:

—أنا ما قلت إلا الحق:

وإن سؤالا وجهه "أنتى" قد غير مجرى الحوار إلى اتجاه آخر. وهل جرى تقليد سابق بأن يشتري أحد القارب والشبكة من الذين ليس لهم الحق في ذلك؟ نعم هناك تقليد سابق. ولكن لم يعيش طويلا الانتفاع بهما. وبعد ذلك سأل ايان كنجي عن الطبقات التي ينتمي اليها الصيادون في مختلف المراكز في الساحل.

وأجاب رامن مويان:

—وأن صيادي "جيرتلا" ينتمون الى الطبقة العاملة في الشباك. وأما الذين في ساحل (آلبي) فمن الطبقة العاملة في القوارب ، وينتمى رامن كنجي إلى هذه الطبقة، وهكذا:

وسأل يونيان عن الهدايا التي تقدم إلى زعيم ليصبح بشراء القارب والشبكة. وهي خمسة عشر روبية وسبعة أعداد من التبغ الممتاز. ويجب على المشتغلين بالشباك أيضا تقديم هذه الهدايا.

ثم انتقل الكلام الي حقوق وسلطات زعيم الساحل. وله سلطات واسعة، وسأل ويلا يودهان كأنه يتحدى هذه السلطات:

—عند ما يشتري أحد القارب والشبكة من ماله الخاص، فلماذا يقدم شيئاً إلى زعيم الساحل؟

وعلق على ذلك يونيان:

—انظروا الى قول هذا، وقد أصبح فعلا صهرا العم جنيان كنجي.

وقال أيان كنجي مضيفا على ذلك الكلام:

—إذا لم يكن لزعيم الساحل أي حق فليقم الصهر وحموه بمخالفته عند ما يأتي القارب والشبكة. فسئرى ماذا يحدث إذن!

وكان ذلك بمثابة تحد صريح. ووضح أيان كنجي بأنه لا يمكن لجنيان كنجي عند ما يأتي القارب والشبكة أن ينزلهما إلى البحر إلا بإذن من زعيم الساحل. وتحدى هو أيضا، بأننا نرى ماذا سيحدث في حالة محاولته لاستعمالهما بدون إذنه. وأراد ويلايودهان قبول هذا التحدى. ولكن ما حقه في ذلك؟ ومع هذا عارض ويلا يودهان:

—أنتم تحقدون؟

—هل يحقد صيادون يا رجل؟

—ثم ما هذا؟

ولما رأى أجاكنجي أن هذا الحوار يؤدي إلى خصام، نصح ويلايودهان ليسكت ولا يتكلم شيئا.

وساد الصمت لفترة قصيرة، لم يتكلم فيها أحد.

وبينما كانت الأحداث تتطور، والكلام يتنوع بين أهالي الساحل بصورة غير متوقعة، كانت جكى تقضي الأوقات في أحلام النهار. وسوف تصبح فى خلال أيام قليلة مقبلة زوجة

صاحب قارب وشبكة. وإن حلما من أحلام حياتها على وشك أن يتحقق. وبذل الزوج والزوجة في سبيله جهودا متواصلة منذ مدة طويلة. وستكون لها أيضا عزة وكرامة لدى جاراتها. وربما تجد كروتما عريسا أحسن مما هو متوقع الآن عند ما يملكون القارب والشبكة.

وقالت الأم لا بنتها:

—يا بنتي! إن أباك له برامج عديدة في ذهنه، فسيشتري الأرض والبيت بمكاسب العام الأول، ثم يزوجك بعد ذلك.

ولم تبد كروتما أي رأي على هذا الكلام، وقالت جكى من عند نفسها:

—بفضل كرم البحر الأم لسنا مدينين لأحد. ولم يساعدنا الحظ من أن نكسب من صيد العام القادم، فعلى العموم لا يطالبنا أحد بشئ.

وقبل أن تفرغ جكى من كلامها سألتها كروتما:

—كنت تقولين يا أمي بأننا لسنا مدينين لأحد؟

وفهمت جكى فورا أن سؤال كروتما يشير إلى قرض فريكوتي. ولم تحر جكى جوابا. ووصلت إلى اختلاف رد مناسب للموقف:

—لا، لا تعتبريه قرضا.

فسألت كروتما، وهي مستاءة من هذا الرد:

— ليس هذا هو قصدي يا بنتي، ولكن اذا تأخرنا في الدفع فلا يسلب منا أحد القارب والشبكة.

—لأن “كوشومودالالي” طيب القلب.

وسألت جكى متظاهرة بالغضب:

— ما هذا يا بنت؟ كلما يذكر اسم كوشومودالالي يسيل فمك عسلا.

ولم تتكلم كروتما بشئ. ولم يظهر عليها الفتور أيضا بسبب سؤال أمها. وأضافت جكى تقول:

— يا بنتي إذا سرت في الطريق المستقيم فسيأتي أحد من الشباب المحترمين ليخطبك. وإلا فنصيبك!

وسألت كروتما بدون أي امتعاض، بل هي غاية التفهم:

— وهل أنا أسير يا أمي على طريق غير مستقيم؟

فسألت جكى كأنها لم تسمع هذا الكلام:

— وما صلتك بهذا التاجر الصغير يا بنت؟

ولم تقل كروتما بأنه لا يمت إليها بصلة. ولكن عيناها اغرورقتا بالدموع. وما هو الخطأ الذي ارتكبه كروتما؟ وتعرف جكى بنفسها أنها لم ترتكب شيئا من سوء. ولم يحدث منها إلى اليوم شئ من هذا القبيل. وما زالت تعيش فتاة هادئة مستقيمة، وهل يعتبر قولها بأنهم مدينون لفريكوتى، ويجب دفع هذا القرض، خروجاً على الاستقامة والتقاليد الحسنة؟ ولكنها تعطف على فريكوتى، ويميل قلبها إليه، وتشعر بضيق في أن يخسر هذا القدر من ماله. وكان من الواجب أن تتزوج هي أولاً. ولكن جنيان كنجي لم يفطن إلى خطورة هذا الأمر:

— إن أباك يسعى ويكد لأجلك يا بنتي. وأضافت جكى الي قولها:

— ولكن أرجوك يا بنتي ألا تضيعي هذه الجهود كلها!

وسكتت كروتما، وسألت جكى أيضا:

—تريد أمك أن تسألك عن شيء! فعليك أن تقولي الحق. هل تحبين ذلك الشاب المسلم؟

وأن كروتما، المفروض منها أن تنفي ذلك، التزمت الصمت. أما هذا الصمت الشديد من جانبها، فقد أربها واضطربت جكى، وطار الهدوء من ذهنها:

—يا بحر الأم! هذا المجرم قد سحر بنتي. ووصلت جكى إلى هذا الظن. وسدت كروتما فم أمها بيدها.

—ماهذا الجنون يا أمي!

ونظرت جكى إلى بنتها نظرة العطف والحنان، ثم طلبت منها:

—لا تخدعينا يا بنتي!

ومع هذا كله لم تصرح كروتما بأنها لا تحب ذلك الشاب المسلم.

وفى مساء ذلك اليوم حضر أجا كنجي إلى بيت جنيان كنجي، وحكى لجكى كل ماجرى من الكلام بين الناس في الساحل. ويريد بعض الناس من أهالي الساحل خلق المشاكل والمتاعب، وعلى رأسهم أيان كنجي ورامن موبان. وأول ما يجب عند ما يعود جنيان كنجي أن يجد حلا لهذه المشاكل.

وقال هذا الرجل:

—كنت زميلا لجنيان كنجي منذ الصغر ولا يمكننى أن أسكت على مثل هذا الكلام. فطارت البقية الباقية من طمأنينة قلب جكى. وتعرف مدى خطورة مخالفة طبقة الصيادين.

وما هو ذنبه المؤدي إلى هذه المخالفة؟ أليس هو التأخر الذي حدث في تزويج بنته؟

الفصل الرابع

توجه رامن موبان وأيان كنجي واثنان آخران إلى زعيم الطبقة كمثلين لصيادي الساحل، وأخذوا معهم الهدايا والتحيات المتبعة. يريدون أن يشكوا إليه أمرا خطيرا يؤثر في مستقبل رخاء الساحل كله. وإن لجنيان كنجي بنتا بالغة. ولم يزوجها بعد، تروح وتغدو في الشاطئ كله. وهذه هي شكواهم الأساسية. واستمع زعيم الطبقة إليهم باهتمام بالغ ووعدهم باتخاذ الإجراءات اللازمة فوراً.

وبدا لأيان كنجي أن هذه الشكوى لم تؤثر كثيراً. وأن الزعيم لم يتحمس كما حقه. وبقي الشاكون عنده بدون انصراف حتى بعد جوابه هذا فسألهم:

—لماذا تنتظرون، هل عندكم أمر آخر؟

فعرض أيان كنجي شكوى أخرى:

—بينما تسبب تلك البنت الهلاك لأهلي الساحل، ذهب جنيان كنجي ليشتري القارب والشبكة.

وما كان يعرف زعيم الطبقة ذلك الخبر من قبل:

—من أين له المال لهذا كله؟

ولا يعرفون شيئاً عن هذا. وقدم أيان كنجي استفساراً متواضعاً:

—هل صرحت له بشراء القارب والشبكة؟ وهو من طبقة المشتغلين بالقارب.

—لا..... لا أبداً حتى هو لم يسألني شيئاً.

—وما علينا من الإجراءات في مثل هذه الحالة؟

وفكر مليا، ثم قال:

—إنه يظن أن العالم قد تغير.

وأجاب أيان كنجي بنعم، وأصدر الزعيم حينئذ أمرا.

—عند ما يأتي بالقارب، فلا يذهب أحد منكم للعمل فيه إلا بإذن مني.

وأكد أيان كنجي بأنه لن يحدث إلا ذلك.

—لكن هناك بعض الشباب الطائشين، ولا نعرف شيئا عن موقفهم في مثل هذه الأمور!

وكان أيان كنجي يقصد بذلك ويلا يودهان. وأما الزعيم فلم يهتم بذلك كثيرا. ويعرف أنه لم يأت بعد، الوقت الذي يجرو فيه ليتحدى سلطاته.

—إنني كفيل بهذا الأمر. وأخبروا أهالي السواحل بأنني لم أصرح بشراء القارب.

وانصرف رامن موبان وأيان كنجي كأنهما انتصرا ودخلا كل بيت في الساحل لإبلاغ أمر الزعيم. وفي رأي أيان كنجي أنه لا يجرو أحد على مخالفة هذا الأمر إلا ويلا يودهان، وسيعرف عاقبة ذلك. وعلمت جكي كل شيء.

وهناك سوابق لتعرض بعض العائلات لأنواع من المتاعب والمشاكل بسبب غضب زعيم الطبقة عليها، واضطرت عائلات لمغادرة البلاد نهائيا. بل ولا يستطيعون في هذه الحالة أن يعيشوا في أي مجتمع آخر من الصيادين، وما كان لهؤلاء بد في تلك الأزمان لإتغيير الأديان. وأما الزمن فقد تغير، وتسرب الوهن إلى أواخر مثل هذه الرابطة. ولكن إذا أصدر زعيم طبقة من طبقات الصيادين أمرا بمقاطعة شخص فلا يجد أحدا ليعمل معه. وكذلك ربما لا يشاركه أحد أفراجه وآلامه.

وما زالت هذه العادة متبعة ونافذة المفعول. وكان من المستحسن أن يقدم الهدايا إلى زعيم الطبقة ويطلب التصريح منه قبل الذهاب لشراء القارب والشبكة!

وما الذنب الذي ارتكبه؟ وليس بين أهالي الساحل حديث إلا موضوع أمر زعيم الطبقة بالمقاطعة. وقول النساء إن الذنب الكبير الذي ارتكبه هو التأخير في زواج البنت البالغة، وتمنت كروتما أنها لم تولد. وأنها تسبب المتاعب لوالديها. وهل هي المسئولة لأن تولد وتكبر وتصبح فتاة بالغة؟ ولم ترتكب شيئا يندس حرمة الساحل. وما هو الضرر الذي يصيب الآخرين بتأخر زواجها؟ ولكن هذه الأفكار الفلسفية لاتجدى شيئا.

وكانت الأم والبنت تنتظران عودة جنيان كنجى بتلهف بالغ، واجتمعت بعض السيدات في منزل "كالي كنجي" ودار الحديث بينهن حول عائلة جنيان كنجي، وسمعتة جكى خفية، فقالت إحدهن، إن كروتما على علاقة حب مع فريكوتي، ورأتها بنفسها يضحكان ويمرحان وراء القارب ولعله هو السبب في تأخير زواج كروتما!

وهل هذا كلام تستطيع أم أن تتحملة؟

واندفعت جكى نحوهن مثل الأسد المفترس، وصارت عرضة لألسنتهن الطويلة.

ولما قلن في شأن جكى أنها كانت أيضا في صغرها قد فعلت ما يخالف تقاليد الساحل! وسألت جكى بدورها من هو الوالد الحقيقي لأحد أولاد كالي كنجي، ألم يكن ذلك الرجل الذي كان يدخل البيوت لشراء الأسماك الجافة؟ وفي حياة كل منهن حوادث مماثلة.

وهكذا نشب نقاش مرير بين جكي وبين هؤلاء النسوة.

واندهشت كروتما التي كانت تستمع لهذا النقاش من هذه القصص المثيرة. أما كانت أمها أيضا تحب في شبابها رجلا أجنبيا؟

وهل لكل منهن قصة في شبابها في تدنيس حرمة الساحل؟ وما هي اذن قيمة هذه التقاليد الفلسفية الموروثة لأهالي السواحل؟ وهل هي مجرد كلام ليس إلا؟ وعلى رغم وجود قصص مثيرة وراء هؤلاء النسوة جميعا ما زال البحر يدر بخيراته بدون انقطاع. وتروح

إليه القوارب وتغدو مليئة بالأسماك. وما زال صيادو الأسماك يعيشون كالمعتاد. وما هي قيمة هذه الأساطير؟

واشتد حماس النقاش بينهن ودخلن في موضوع كروتما من جديد، وأصمت كروتما أذنيها، ولم تستطع الاستماع إلى هذه الأقاويل الكاذبة. ولم يستنكفن حتى من القول أنها تعيش مع فريكوتي. ولا يقدر أحد أن يسيطر على هذه الشابة الهوجاء إلا هو ويتأخر زواجها خوف من ضياع هذه الفرصة للكسب.

وربما تكون القصة التي تبودلت بين أمها وبين هؤلاء النسوة هي أيضا كاذبة لا تمت إلى الواقع بصلة.

وأخيرا قالت كالي كنجي مخاطبة جكي:

—انتظري ماذا سيحدث لكم! وأن زعيم الساحل قد قرر اتخاذ اللازم ضدكم!

وازداد حماس جكي قوة، ولا تريد أن تتراجع أو تتخلى عن ادعاءاتهم ضدهن:

—وماذا يقرر هو يا امرأة؟ وما الذي سيتخذه زعيم الساحل ضدنا؟

فقالت “كروتابن”

—سيعلم زعيم الساحل جيدا الإجراءات اللازم اتخاذها ضد الخارجين على التقاليد

والمخالفين للأداب!

وقالت جكي بمهارة ودهاء:

—وماذا يستطيع أن يفعل؟ ونحن نعتنق الإسلام ونصبح مسلمين، فماذا يعمل الزعيم

حينذاك؟

وقالت احداهن:

—قولى ذلك صراحة، فإنك لم تتركى بنتك مع شاب مسلم إلا عن عمد سابق.

ثم قالت أخرى:

—هذا هو الأحسن للأم والبنت.

وسألت جكى:

—وما هو العيب الذي ترين فيه يا امرأة؟

واضطربت كروتما من هذا الكلام اضطرابا لم يسبق له مثيل. ولا يمكن أن يقال إنه من ألم أحست به من جراء هذا الكلام. ولم يكن أيضا من تفرح شعرت به حينذاك. ونادت كروتما أمها في ألم بالغ لأن تعود إلى البيت، فعادت جكى إليه، ولعلها أحست بإعياء شديد بسبب هذا النزاع الطويل. وظلت جكى تتمتم.

وأرادت كروتما أن تسألها عن أشياء كثيرة ولكنها لم تجرؤ على ذلك. وجلجل في ذهنها كلمة "اعتناق الإسلام" وشعرت بقشعريرة من جسمها، وسخونة في أعصابها. أليس ذلك من طبيعة الإنسان؟

فإنها تعيش في حصن حصين من التقاليد الموروثة، والمعتقدات الراسخة، وشعرت بنفسها أن طريقا يبدو في الأفق لتخرج من حدود تلك القلعة الحصينة، وكذلك كانت طريقة حياتهم المتبعة. وخطر ببال كروتما أن اعتناق الإسلام هو أحسن الوسائل للتخلص من كل هذه القيود الشديدة. وإذا اتخذوا قرارا في هذا الشأن فكل شئ يتم على ما يرام. وكيف يكون هذا التحول إلى الدين الإسلامى؟ وما هي التغيرات التي تحدث فيها بعد ذلك؟ فإنن هي تذهب إلى فريكوتي في زي فتاة مسلمة، وترتدي بلوزة بيضاء فوق إزار طويل، وأذناها مذيلتان بأقراط ذهبية، وما أعجب ذلك إليه! ويمكن لفريكوتي حينئذ أن يحملق إليها بدون تحرج، ولو لم تكن تستطيع أن تستسيغ معنى هذا التحول الكلي، ولكن هذا هو السبيل الوحيد الذي يمكنها

من أن تتخلص من موقفها المتأزم الراهن وليس لها إذ ذاك أن تقضي حياتها كزوجة لصياد يغدو ويروح يوميا إلى البحر.

وكادت تقول لفريكوتي اذا حضر عندها من تلك اللحظة:

—اننا سوف نعتنق الاسلام.

فلا يلبث أن يرقص فريكوتي طربا!

ولكن هل كانت أمها جادة من كلامها؟ وربما حدث هذا الكلام أثناء حدة ثورتها. وخافت من أن تستفسر أمها عن حديثها. وربما تسئ الفهم عنها بأنها ترغب في ذلك.

وهكذا تراكمت الأفكار العديدة في ذهن كروتما.

وبعد بضعة أيام وصل إلى الساحل القارب الذي اشتراه جنيان كنجي ومعه شبكة الصيد. وهو القارب الذي كان يملكه "بالي كونان" كان مستعملا فإنه من أشهر القوارب في ساحل "جيرتلا". ولماذا باعه كانتان كوران؟ إن حالته المالية حرجة. وهو صاحب عيال وذو مصارف باهظة.

وشهد الجميع القارب. ولم يبد أحد رؤية فيه صراحه، ولكن الأحقاد قد تسربت إلى قلوبهم لحصول جنيان كنجي على هذا القارب الميمون. وقال أجاكنجي لرفقائه:

—إن رخاء "بالي كونان" قد انتقل إلى جنيان كنجي مع هذا القارب.

واستنكر أيان كنجي قائلا:

—وكيف ينتقل رخاء ذلك الرجل المحترم إلى هذا السماك العادي؟ وهل يستوى هذا الرجل الذي نراه واقفا في الساحل عند ما يقبل القارب إليه لابسا الإزار الأبيض في غاية المجدو العز وعلى كتفه رداء ذوخيوط سوداء، والذي هو في مستوى جنيان كنجي؟

وأبدى رامن موبان أيضا رأيه:

—فتصبح إذن جكي، زوجة جنيان كنجي، الهزيلة السوداء مثل قرينة كنتان كوران الجميلة. هل رأيتها؟

وقال أيان كنجي:

—نعم، إذا نظرت إلى وجهها فيبهر جمالها عينيك.

ولما عاد جنيان كنجي إلى بيته صدم بما سمع من الأخبار والإشاعات. وكان في غاية الغبطة والسرور بفضل حصوله على قارب الصيد. فكان يريد أن يحكي لزوجته قصة زيارته لكنتان كوران وتناول الطعام معه في بيته وعن أخلاقه وتصرفات زوجته الفاضلة. ولكنه فوجئ بما سمع من الأقاويل قبل أن يفتح فاه بشئ من ذلك .

ولم يصادف في حياته من قبل مثل هذه المنغصات. وقد وضع مشروعا لمستقبل حياته، ولما حان أوان تنفيذه لاقى متاعب وعراقيل في سبيله.

وأما ذنبه الوحيد فإنه لم يستأذن زعيم الساحل قبل أن يذهب ليشتري القارب والشبكة. وأنه خرق التقليد المتبع منذ زمن قديم. وما كان يظن أن هذا الأمر سوف يتطور إلى هذا الحد الخطير. وأنه قد جمع هذا المبلغ من عرق جبينه وقوت يومه، وماذا يكون مدى صدمته عند ما يواجه مثل هذه المشاكل بعد هذه الجهود كلها.

وسأل جنيان كنجي زوجته وهو في غاية الحزن:

ماذا جنينا على هؤلاء الناس؟

وأجابت جكي:

—وهل هذا يحتاج إلى تفسير؟ إنه مجرد حقد.

ولقد كانت جكى على حق. وكل شئ سيتم على ما يرام إذا استطاعوا أن يدبروا حوالي خمسة وعشرين روبية ولكن أنى لهم هذا المبلغ؟ ولا يستطيع جنيان كنجي تشغيل قاربه إلا بعد الحصول على بعض الأدوات اللازمة له، وليس عنده الآن غير شبكة واحدة.

وحكى جنيان كنجي لزوجته كل متاعبه، ثم لمن يحكى هذه المتاعب؟ وهل هناك أحد غيرها ليستمع اليها؟ ولكن جكى لم تحاول تهدئته ولكنها واجهته بسؤال:

— لماذا تحملت هذه المسؤوليات التي لا تطيقها؟

ولم يقل جنيان كنجي شيئاً، وربما أحس بنفسه أيضاً أنه قد تحمل مسئوليات فوق طاقته، ولم تبق له حيلة، وقد أصبح قومه أيضاً ضده.

وأضافت جكى:

— إذا زوجنا البنت بالمبلغ الذي كان عندنا فهل كانت تواجهنا الآن هذه المصاعب؟ وسكت جنيان كنجي ولم يقل شيئاً. وإذا كنت ذا مطامع كبرى فلا تشعر براحة القلب وطمأنينته، أليس من الأفضل أن يعيش الانسان مقتنعاً بما فى حوزته؟

وكان من المفروض أن يحتفلوا بذلك اليوم الذي تحقق فيه حلم حياتهم، ولكن الوجود كان يخيم على البيت في ذلك الوقت، ولما أظلم الليل قال جنيان كنجي لزوجته:

— إذا استطعنا الحصول على خمسة وثلاثين روبية فكل شئ يكون قد انتهى.

وسألت جكى:

— كيف ذلك؟

وأجاب:

— سأقابل زعيم الساحل غداً، وبعد ذلك تسير الأمور من مجراها الطبيعي.

—وماذا تعمل إذن لشراء بقية الأدوات اللازمة؟

—وكل هذا سيتم بدون صعوبة.

واستخرجت جكي المبلغ الذي كانت تدخره سرا في "حصّالتها" الخاصة وقدمته الجنيان كنجي، وبعد أن أعطته آخر مدخراتها قالت له:

—انظر كيف تتعب الآن؟ ألم أكن أقول لك دائما أن تعمل لي بعض الحلبي، وإذا استمعت إلى كلامي حينذاك لكنا تنتفع بها في مثل هذه المحن، ولكنك لم تفعل ذلك.

ووافق جنيان كنجي على هذا الرأي:

—هناك وسيلة أخرى يا جكي:

—وما هي تلك الوسيلة؟

—هي

وسكت جنيان كنجي ، وأمسك من الإفصاح عنها وألحت عليه جكي مرة أخرى

فقال:

—إذا اتصلت بذلك الشاب ستحل المشكلة.

ووضعت جكي يدها على فمه، ولم تكن جكي متأكدة هل كروتما قد نامت أم لا. وأبعد جنيان كنجي يدها عن فمه وسأل:

—وما لك؟

—اخفض صوتك.

—نعم، ماذا؟

ولا يعرف جنيان كنجى شيئاً من هذه الأمور، وهي أمور لا ينبغي لوالد أن يعرفها، ولكن الظروف تحتم على جكى أن تقول له شيئاً عنها. وكرر جنيان كنجى سؤاله. وقالت جكى في أذنه:

—تقول كروتما أن هذا عيب، وهي سوف تغضب إذا علمت ذلك.

—ثم ماذا نفعل إذن؟

—هذا ما أفكر فيه أنا أيضا.

وبعد هنيهة سأل جنيان كنجى:

—هل هو موجود هناك الآن؟

—ربما.

—سأذهب اليه الآن وأرى ماذا سيتم.

ولم تقل جكى شيئاً، وخرج جنيان كنجى من البيت. أما كروتما فقد كانت نائمة، ولم تعرف شيئاً عما دار بينهما.

وعاد جنيان كنجى بعد قليل وملامح وجهه تدل على الانشراح، وأن غرضه قد تحقق.

—شاب طيب، كان عنده ثلاثون روبية، أعطاني إياها فوراً.

ولو أن جكى قد شعرت بالراحة فإن قلبها كان يؤنبها، كأن ما قالته كروتما في شأن الاقتراض من هذا الشاب يدور بخلدّها. ولماذا سارع إلى دفع كل ما يطلب منه؟ وكان ذلك سؤالاً ذا معنى عميق، ولم يكن ذلك إلا لأجل كروتما.

وذهب جنيان كنجى في صباح اليوم التالي لمقابلة زعيم الساحل، فثار عليه في بادئ الأمر، ثم هدأ غضبه. ووعد جنيان كنجى بأنه سيزوج بنته في أسرح وقت ممكن، كما تعهد

بتقديم قسط إلى الزعيم من مكاسبه اليومية من ذلك القارب، ثم شكا جنيان كنجي إليه أحقاد أهالي الساحل وإشاعاتهم الكاذبة، فوعده بالنظر في هذا الموضوع.

وهكذا ساد نوع من الهدوء على الجو غير أنه يحتاج إلى خمسمائة روبية أيضا لاستكمال الأدوات اللازمة لإنزال القارب إلى البحر، وكان عليه أن يدبر هذا المبلغ.

وسألت جكى:

—وكيف ذلك؟

وقال جنيان كنجي:

—لا بد أن يدبره فريكوتي.

واندهشت جكى . ودار نقاش حاد بينهما بدون أن تسمع كروتما شيئا عنه.

وأمر جنيان كنجي بسلطته الزوجية:

—لا بد أن تطلبى منه هذا المبلغ

—لا—لا أطلب منه

—اذن فليتعمل القارب.

—فيتعمل.

وما كانت جكى تريد من قلبها أن يتعطل فعلا، وأدركت أن جنيان كنجي مصمم على ألا يفعل شيئا بنفسه، وكان جنيان كنجي بدوره يريد أن تشعر زوجته بهذا التصميم.

وسألت جكى:

—حسنا، هل ترد إليه هذه المبالغ كلها؟

ووعد جنيان كنجي بردها إليه مع الفائدة.

وذهبت جكى إلى فريكوتي، وطلبت منه النقود، وجرى في تلك الليلة بيع كميات كبيرة من الأسماك المجففة في متجره. وهكذا استعد قارب جنيان كنجي للتشغيل مع جميع لوازمه.

ثم برزت مشكلة تدبير العمال الذين سيعملون معه في القارب. وأن زعيم الساحل قد استدعى كبار خبراء الصيادين واتخذوا الإجراءات اللازمة لتدبير العدد المطلوب من الأشخاص ليعملوا مع جنيان كنجي.

وفي الواقع لم يكن هذا الموضوع إلا مشكلة بسيطة، إذ أن الجميع كانوا يتمنون العمل مع جنيان كنجي، حينما رأوا قاربه الجديد، وأن أجا كنجي كان متوقعا أن يستشير جنيان كنجي، ويدعوه للعمل معه. وقد حدث فعلا نزاع شديد في بيت أجا كنجي بسبب جاره. وقد أبدى أجا كنجي استعداده حتى لمواجهة الزعيم من أجل الدفاع عن صديقه، حيث أن الصداقة كانت تربط بينهما منذ الطفولة. ولكن جنيان كنجي قد اجتمع معه عدة مرات ولم يفتحه بشئ في هذا الموضوع. وأخيرا قد تم اختيار اثني عشر شخصا ليعملوا في القارب، ولم يكن من بينهم أجاكنجي.

ومن العادت المتبعة لدى أهالي الساحل أن يقام حفل صغير عشية إنزال قارب جديد الى البحر. واشترى جنيان كنجي الأشياء اللازمة لإعداد الحفل من محل "حسن كوتي" قرضا. وأرسل بنته كروتما لدعوة بعض أقاربه المقيمين في القريتين المجاورتين، "كاكازام" و "بونابارا" لحضور الحفل.

بينما كانت كروتما تسير بمحاذاة الشاطئ غارقة في الأفكار إذ سمعت صوتا مألوفا:

—هل تتعاملون معنا في تجارة الأسماك؟

وتوقفت كروتما مندهشة، فرأت فريكوتي واقفا أمامها. وكيف، ومن أين وصل هناك في هذه اللحظة؟ ولم تقل كروتما شيئا حتى الرد الذي أجابته به من قبل بأنهم سيتعاملون معه إذا

دفع لهم الثمن المناسب. ولم تعد هي الآن كروتما التي كانت كعهده بها من قبل. ووقفت
مطرقة رأسها. فسألها فريكوتي:

—هل كروتما غاضبة مني؟

ولم تجب كروتما بشئ. وكان قلبها يدق دقا عنيفا.

—إن كنت راغبة عن الكلام معي فلا أريد أن أتحدث معك.

وفي الحقيقة أن كروتما كانت تريد أن تقول له عدة أشياء وأن تستفسر منه عن أشياء
أخرى هامة. ألم تكن تريد حتى أن تسأل عن فكرة اعتناقها الاسلام. وظلت واقفة في ظلال
القارب المكون في الساحل ملتزمة الصمت التام، ولعله كان ينظر إلى صدرها المتنهدي. ولم
تقل له ألا يحملق إليها هكذا.

ورفعت رأسها وقالت:

—دعني أذهب يا "مودالالي"

هل تحتاج كروتما إلى إذن من فريكوتي للانصراف؟ أما كانت تستطيع أن تذهب بدون أن
تستأذن؟

وقالت منز عجة:

—لعل أحدا يرانا.

ومشت خطوات قليلة فسمعت فريكوتي يناديها:

—كروتما!

وكان لهذا النداء، وذاك الصوت معنى خاص. وشعرت كروتما بإحساس لم تشعر بمثله من قبل، واستوقفت كروتما هذا الصوت كأنه يجذبها إلى الورااء. ولم يتقدم إليها فريكوتي. وربما كانت تتوقع أن يقرب منها.

ولم يدر كل منهما كم من الوقت قد مضى على هذه الوقفة. وما ذا عسى أن تكون الخواطر التي قد مرت على تلك الفتاة حينذاك؟ ولم يغضب البحر الأم. ولم تهب الأعاصير، ولكن البحر قد ابتسم بأواجه الهادئة المنكسرة على صفحة الماء ذات الرغوة البيضاء.

هل هذه هي الرواية الغرامية الأولى التي تحتل الساحل؟

وتلخص كل ما كان يريد أن يقوله فريكوتي، ويسأل عنه كروتما في كلمة واحدة:

—هل تحبينني يا كروتما؟

وجاء الرد من كروتما بدون أن تشعر:

—نعم

وبدر منه سؤال آخر:

—هل تحبينني وحدي؟

وجاء الرد على سؤاله أيضا على الفور:

—نعم، أنت وحدك.

وكان لصوتها هي وقع الصاعقة في نفسها. وربما تنبعت إلى حقيقة الأمر، وفهمت كل معني ما قالتها، فكانها ترى تلك المعاني في صور مجسمة أمامها.

ونظرت إلى وجه فريكوتي. وتشابكت الأهداب، وأفصح كلاهما عما كان يريد أن يفصح عنه. وفتح كل منهما قلبه الآخر. ومشت كروتما.

الفصل الخامس

اجتمع أهالي الساحل في ساعات مبكرة من اليوم التالي في شاطئ البحر بمناسبة إنزال القارب الجديد لجنيان كنجي. وحسب التقاليد السائدة يجب أن تنزل جميع القارب معا إلى البحر يوم إنزل قارب جديد. ووصلت جكى، وكروتما، وبنجامي الي الشاطئ، وأشارت بنجامي إلى فريكوتي الذي كان واقفا على مقربة منهم. ووكزتها كروتما بأصابعها لتسكت. وكان رaman موبان ينادي الناس ليسرعوا بالحضور إلى مكان الاجتماع، بينما كان أيان كنجي يلوم المتأخرين بالحضور وقال:

—لماذا يتأخر هؤلاء مع أنهم يعرفون أن قاربا جديدا سينزل اليوم إلى البحر؟

وحضر جميع العمال الذين اختارهم جنيان كنجي ليعملوا في قاربه، وأنشد واحد منهم نشيدا كان يردده فريكوتي. وكان ذلك نشيدا مؤلما للغاية في تلك اللحظة.

وكان القمر يتلألأ في الشرق ويطل عبر أوراق أشجار النارجيل الباسقة على قارب جنيان كنجي، وابتسم البحر الأم بهجة وسرورا. وتجمع الناس حول كل قارب، ولا بد أن ينزل قارب جنيان كنجي أولا وفقا للتقاليد المتبعة، وأخرج إيان كنجي الأغاريد، وتبعه الآخرون، واهتز الساحل بصدى الأغاريد المتتالية.

وقال رaman موبان:

—فليحمل جنيان كنجي المجذاف!

وحمل جنيان كنجي المجذاف ووضعها على رأسه، ورتل بعض التراتيل الدينية، واشترك الحاضرون جميعا في دفع القارب، وتحرك عبر الرمال المصقفة، ونزل إلى الماء رويدا رويدا. ووقفت جكى وكروتما بجواره في غاية الخشوع، وضمتا أيديهما تحية، وأغمضتا عيونهما دعاء. ولما فتحتا العيون وجدتا القارب الجديد يرقص فوق الأمواج الزاخرة،

ويتحرك متجها إلى عرض البحر بخفة وسرعة. وأن لاتجاهات القارب وتحركاته دلالات ومعاني. ووقف رامن موبان وأيان كنجي متفرسين في حركات القارب.

وسأل رامن موبان:

—ماذا رأيك عن الاتجاه، أيان كنجي!

وقال أيان كنجي:

—أليس الاتجاه نحو الغرب؟

—نعم، ولكن الميل إلى الجنوب.

وقربت جكي منهما، وهي تواقفة لمعرفة النتائج. وسألت:

—كيف الحال يا عم أيان كنجي، هل هي تبشر باخير؟

وقال أيان كنجي متظاهرا بالعلم بكل شيء:

—هي مبشرة بالخير، يا جكي! لا يصيبكم الضيق في العيش أبدا.

ورفعت جكي يديها مضمومة ودعت “إله البحر” وأسرع القارب إلى عرض البحر، وكأنه في موعد مع النجاح التام الباهر.

وقالت كروتما:

—إن لقاربنا بركة ويمنا، أليس كذلك يا أمي!

وقالت جكي ناظرة إلى البحر:

—إن لاتجاهه طريقة خاصة.

وقال أيان كنجي:

—فلا غرو في ذلك، يا جكى! أليس هو قارب “بالي كونات كانتان كوران”؟

هل يوجد قارب ميمون الطالع مثله في الساحل كله؟ وكل ما ينتهي الى “بالي كونات كانتان كوران” فهو يدر الخير والبركة، فإن زوجته مثلا ذات خلق كريم، ومن النادر وجود مثلها بين طبقات صيادي الأسماك، وأما داره فدار يمن وبهجة. والآن قد انتقل إليكم قاربه. وهذا مبشر بخير عميم، وحظ سعيد لمستقبلكم يا جكى، فلا شك بان لكم مستقبلا زاهرا بفضل هذا القارب.

ثم نزلت القوارب كلها إلى البحر، وبدأت تنشر شبا كها في اتجاهات مختلفة، ولن يبقى في الشاطئ إلا جكى وأولادها وفريكوتي، وارتعد جسم فريكوتي من الرياح الباردة، ومشى فريكوتي مشيا وثيدا نحو جكى، وتحركت كروتما إلى الخلف ووقفت وراء أمها، ولكن “بنجامي” ظلت تحملق إلى وجه فريكوتي، ولم يلبث فريكوتي أن وجه سؤاله المعتاد، ولكنه في هذه المرة وجهه إلى أم كروتما، وسواء أكان جادا أو هازلا في سؤاله، فما كان يصدر منه إلا هذا:

—هل تتعاملين معنا فى تجارة الأسماك؟

وقالت جكى:

—نعم يا بني، وهل نبيع لأحد غيرك؟

ولم تفهم جكى فحوى هذا السؤال، ولن تفهمه، وهل كان سؤالاً عادياً؟ أليس وراءه عالم كامل من العواطف والمشاعر؟

وقالت كروتما من خلف أمها:

—إني أحس ببرد شديد يا أمي!

وما كانت تستطيع جكى في ذلك اليوم الذي نزل فيه قاربهم الجديد إلى البحر أن تتصرف بدون أن تقول شيئاً لفريكوتي:

—يا بني أن الفضل كله يرجع إليك في إنزال هذا القارب إلى البحر اليوم، وإلا ما كان يحصل ذلك.

ولم يرد فريكوتي بشئ على هذا، وشعرت كروتما بارتياح على أن أيدت أمها بعض العرفان بالجميل. وأضافت جكى قائلة:

—إننا نرد مبالغك بعد موسم صيد “الجمبري”

—وان كنت لا أريد ذلك؟

—ولماذا لا تريد؟ وما هو السبب؟

وقال فريكوتي:

—أنا ما أعطيته لأسترده.

ولم تفهم جكى معنى ذلك. ولكن كروتما قد فهمته جيدا، وقد دبت في جسمها قشعريرة عنفة، وتسرب إلى ذهن جكى أيضا نوع من الريب والشكوك:

—لماذا ذلك يا ابني؟

وأكد فريكوتي قائلا:

—لا—إني لا أريد استرداد هذه المبالغ

وأضاف فريكوتي بعد هنيهة:

—طلبت مني كروتما بعض المال لشراء القارب والشبكة، فدفعتة، ولا أريد رده.

وأظلمت الدنيا في عيني كروتما، وشعرت بدوار في رأسها، وسألت جكى فريكوتي في شئ من الامتعاض:

—لماذا تدفع المال لكروتما يا ابني؟ وما علاقتها بك؟

ثم أردفت جكى كلامها في حدة أكثر:

—لا. لا نريد ذلك، ولا بد أن تسترد هذه المبالغ.

وأحس فريكوتي أن جكي تتكلم معه غاضبة، ولم يقل شيئاً.

وأضافت جكى قولها كالأم النصوح:

—اسمع معني يابني، أنت من المسلمين وأما نحن فمن طائفة الصيادين، وكنتم تلعبون معا في الساحل كأطفال صغار، وقد مضى هذا العهد، ونريد أن نزوجها لشاب محترم من طبقات الصيادين، وعليك أن تتزوج فتاة حسنة من طائفتك وتعيشون سعادة.

واستطردت قائلة:

—أنتم صغار لا تدركون الأمور على حقها، لا تعمل شيئاً يسيء سمعتك، وإذا رأى الناس حتى هذا المنظر فسيخلقون الأقاويل. انظر! هاهم الناس قادمون.

وهمت جكى في الانصراف مع أولادها، والتفتت إلى فريكوتي، وقالت في رفق وحنان:

—اسمعني يا بني، لا بد أن تسترد مبالغك.

ومشت جكى وورائها كروتما وبنجامي. وظل فريكوتي يراقبهن واقفا في مكانه. وكل ما قالته جكى كلام صحيح، وهذا هو حق واجب على كل أم أن تقوله، ولكن هذا الكلام أصاب قلب كروتما كالسهم النافذ، وبعد أن مشت قليلا التفتت كروتما إلى الوراء في حركة لا

شعورية. ولما وصلن إلى البيت سمعن ذلك النشيد الآخذ المجامع القلوب يردده فريكوتي من الساحل.

وقالت جكى:

—هَلا ينام هذا الولد؟

ثم قالت جكى لكروتما:

—إننا نريد بأي طريقة أن نزوجك ونبعدك من هذا الساحل.

وكان كلام أمها هذا يضمّر اتهاماً ضدها وأنها سببت لهم المشاكل، ويعاني الجميع اضطراباً في قلوبهم وعدم الاطمئنان. وسألت كروتما منفجرة في حزن وغضب:

—وماذا فعلت؟

وسكتت جكى.

وبعد طلوع الشمس توجهت جكى وأولادها إلى الشاطئ لانتظار عودة القوارب من البحر. وما زالت القوارب كلها في أعماق البحر. ويبدو من حالة المياه أنه يوم صيد صالح. وسألت كروتما جكى عن نوعية السمك الغالب في مثل هذا اليوم.

وقالت إنه من الأغلب لأن يكون "رنكة" —، أو رنجة—، فسألت كروتما في غاية الفرح والسرور:

—يدل هذا كله أن بدايتنا طيبة جداً.

—هذا من عناية البحر الأم يا بنتى!

وقالت كروتما كأن طفلاً بريئاً ينشد شيئاً من أمه الحنون:

—أمى! علينا أن نبيع ما صاده قاربنا من الأسماك لكوتشومودالالي.

ولم تثر جكى على هذا الرأي، ولم تسأل عن صلتها بكوتشومودالالي، وأن جكى نفسها تريد ذلك. ولكن في قلبها شك في ذلك:

—ولا أدري هل يفعل ذلك أبوك أم لا؟

وأبدت كروتما لأمها رأيا في هذا الشأن:

—عند ما يصل القارب إلى الشاطئ فلا بد أن نكون بجواره. ثم تقولين للأب أن يبيع المحصول إلى كوتشومودالالي.

ووافقت جكى على هذا. وهو أمر مهم لابد أن يتحقق. وانتظرت بنجامي على الشاطئ نفسه لتخبرهما عن وصول القارب إليه.

ونشأت هناك مشكلة أخرى. وأنت إلى الشاطئ من نساء جيران جنيان كنجي، تلابن، وكالي كنجي، وكنجي بن، ولكشمي. وسألت كنجي بن: هل محصولات قارب جنيان كنجي يبيعه بالجملة لأصحاب محلات التجفيف والتلميح، أو يبيعه بالقطاعي؟ ومن عادة هذا الساحل بيع المحصولات اليومية من الأسماك لأصحاب المحلات بالجملة. ولذا يصيح النساء اللاتي يذهبن لتجارة الأسماك إلى القرى والمدن تحت رحمة هؤلاء التجار الكبار. وقالت كنجي بن:

—لا داعي لأن نقول شيئا في هذا الأمر. وإن جكى لتعرفه جيدا.

وفهمت جكى مطالبهن على حقيقتها. وإذا اشترين الأسماك من هؤلاء، ثم بعنها فلا يكسبن شيئا يذكر. وإنهم يبيعونها بأسعار غالية، وفوق هذا وذاك فتصبحن عرضة لسبابهم.

وقالت جكى:

—وماذا أفعل لذلك؟

وقالت نلابن بصراحة:

—لا بد أن تعطوا محصولات قاربكم لنساء الساحل لبيعنها في الخارج.

ولم تحر جكى بالجواب فورا، وهى من الجيران. ويقلن الحق، ولا تستطيع أن تعدهن بذلك، ولا تدري هل يوافق عليه جنيان كنجي أم لا، وأن فريكوتى قد طالب بذلك من قبل، ولكن هذا أمر لا يمكن أن تبوح به.

وسألت كالي كنجي:

—لماذا لا تقولين شيئا يا جكى! وهل تشكين أن جنيان كنجي لا يوافق عليه؟ وعليك أن تصرى على ذلك. ألم تسهمي أنت أيضا في جمع الفلوس لشراء القارب والشبكة بجهودك اليومية في بيع الأسماك في القرى؟

ولم تعارض جكى بشئ على هذا الكلام أيضا.

ثم سألت لكشمي:

—وهل تريدين أن تستمري في الذهاب لبيع الأسماك في القرى أم لا؟

—لماذا تسأليني هكذا؟ وإن حصلنا على عشرة قوارب أخرى فإن جكى ستكون هي جكى دائما.

وقالت لكشمي معذرة:

—ما كنت أقصد أنك قد تغيرت. وكل ما كنت أقصده أنك لو جمعت

مصولات القارب جملة ثم وزعتها علينا بالقطاعي!

وقالت جكى وهي تبدى عدم استطاعتها للبت في ذلك:

—لا أعرف عما إذا كان زوجي سيوافق على هذا أم لا.

وقالت نلابن:

—لا بد أن تفاتحيه في هذا الأمر، فإنني متأكدة سيوافق.

وهمست كالي كنجي في أذن كروتما:

—عليك أيضا أن تكلمي والدك في هذا الأمر.

وأجابت كروتما بكل صراحة ووضوح:

—أنا لن أكلمه.

ولكن بنجامي وعدت أنها ستكلم والدها في هذا الموضوع، ولها أيضا مأرب خاص في ذلك، حيث أنها عند ما يصل القارب إلى الشاطئ ستجمع سلة من الأسماك لتجففها وتبيعها لنفسها. ولا يتحقق هذا المأرب إذا اشترى تجار الجملة محصولات القارب، وقالت جكي أيضا بأنها ستحاول، وهي تعرف أن هذا الأمر سوف لا يتحقق. وهكذا تطور الأمر إلى مشكلة شائكة.

وحان وقت الظهيرة. وبدأ الصبيان والحمالون والتجار يتجمعون على الشاطئ. وظهرت القوارب في عرض البحر، وأخذت الغربان تحوم فوقها. وتساءل الناس عن نوع الأسماك في ذلك اليوم. وتوقع التاجر "قادر" أنها ستكون من نوع الأسماك الصغيرة، ومهما يكن من أمر فإن المحصول سيكون متوفرا. وفي هذه اللحظة أقبل غرابان تجاه الشاطئ، وفي منقار أحدهما سمكة، وهتف الجميع:

—سردين، سردين.

وأسرعت بنجامي الي أمها وقالت:

—يا أمي. إن محصول اليوم هو السردين!

وخرجت كروتما وجكى من داخل البيت، ودعت جكى إله البحر وهي في غاية الخشوع والابتهاال، وهرولت الأم وبنتها إلى الشاطئ لروية قاربهم الجديد، وهو عائد بالمحصول الوفير. واتجهت أنظارهن للبحث عن قاربهم بين القوارب الأخرى القادمة من عرض البحر. وعلت أصوات الفرخ من المجتمعين على الشاطئ حينما علموا أن المحصول هو السردين.

والتفت كنجي بن، ونلابن، وكالي كنجي، ولكشمي حول جكى. وكانت بنجامي تحمل في يدها سلة، وفجأة ظهر قارب يخترق الأمواج في سرعة الطير ويبدو من بعيد أنه ولى بالمحصول، وبدت مجاديفه و كأنها مجداف واحد، حتى سألت بنجامي:

—هل لقاربنا مجداف واحد فقط؟!

وبدا قدوم القارب وكأنه فى موكب رائع، حيث كانت تظله أسراب من الغربان وتتعبه قافلة القوارب الأخرى من الخلف، وهتاف الفرخ يصدر من راكبي القوارب فى عرض البحر عاليا مدويا.

وكان جنيان كنجى ممسكا بدفة القارب الأمامي وقد كان يدفع القارب دفعا شديدا إلى الأمام متخطيا الأمواج وكأنه يطير. وكان ذلك منظرا بديعا يبهر الأنظار.

وقالت كالي كنجي :

- انه منظر جميل للغاية.

وأبدى الجمي إعجابهم بهذا المنظر الساحر، وناشدتهم جكى:

—كفى، يا أصدقائي حتى نتقي أنظار الحاسدين!

ووصل القارب إلى الشاطئ، وظهرت ملامح التغير على تصرفات جنيان كنجي وأخلاقه.

وقالت جكى:

—إنها من التغيرات المعتادة على أبناء البحر.

وربط المجدفون مجاديفهم يجسم القارب، ونزلوا إلى البحر، وسحبوا القارب إلى رمال الشاطئ وتجمع بعض الأولاد حوله، ومن بينهم بنجامي وقفز جنيان كنجي من على القارب غاضبا، فتفرق الأولاد صائحين ولكن بنجامي لم تتحرك من مكانها ولماذا تخاف؟

وصاح جنيان كنجي:

—لا يجمع أحد الأسماك من حول قاربي.

ثم دفع بنجامي دفعة شديدة ألقته بعيدا. فصرخت: يا أمي، وانفجرت جكى وكروتما بالبكاء من هذا المنظر المؤلم.

وقال بعض الحاضرين:

—آه، أهذا الرجل إنسان أم شيطان؟

وكان لبنجامي أيضا مأرب خاص في حياتها، كما كان لجنيان كنجي. وربما تكون النقود التي ستجمعها بنجامي من بيع الأسماك المتناثرة كسبا نافعا في مستقبلها.

وقد ذهبت إلى قارب أبيها لتجمع ما يتناثر منه من الأسماك. ولها كل الحق في ذلك، وهل أصبح جنيان كنجي الآن لا يستطيع أن يميز بين الأمور؟ وهل نسي نفسه؟ فهذا المحصول الموجود في قاربه هو مما أنتجه البحر ولم يزرعه أحد ولم يرعه. وأن فيه حقا للفقراء والمحتاجين الذين يحضرون ليجمعوا من حول القوارب ما يتناثر منها، وهذه هي شريعة البحر. ورفعت جكى بنجامي من على الأرض صارخة:

يا للقسوة! وبدأت جكى وكروتما تدلكان صدر بنجامي، وهي تشعر الآن با لحنز أكثر من الألم.

واجتمع تجار الجملة حول القارب وفي مقدمتهم فريكوتي، أما جنيان كنجي فكأنه لا يميز بين أحد منهم. وسأل التاجر "قادر" كم تريد من الثمن لحصيلة اليوم يا جنيان كنجي؟

وأما كنجي بن ولكشمي وغيرهما من تاجرات السمك فيدرن حول القارب في تلهف. وأن بنجامي التي وعدتهن بإقناع والدها ليبيع لهن الأسماك بالقطاعي فتعاني ضيق التنفس من شدة الصدمة وبجوارها جكي. والتجار يساومون مع جنيان كنجي.

وقالت كنجي بن لرفيقاتها:

—فلنسأل جنيان كنجي وننظر ماذا يقول.

وردت عليه نلابن:

—وماذا نسأل الشيطان؟

إن القوارب الأخرى قد وصلت إلى الشاطئ وكان جنيان كنجي في استعجال لأن يتم بيع حصيلته قبل وصول محاصيل الآخرين.

وأخيرا سأله فريكوتي أيضا:

—هل تتبع لي الأسماك؟

وأجاب جنيان كنجي كأنه لم ير فريكوتي من قبل في حياته:

—هل عندك الفلوس الآن؟ وأريد الثمن نقدا.

وما لبث أن وضع "قادر" فئات من المائة روبية في يد جنيان كنجي. وتم البيع وأسرع فريكوتي إلى القوارب الأخرى. وكان البيع قد تم في الجميع.

ولما هدأ بكاء بنجامي قليلا رأت كروتما فريكوتي أنه يعود إلى بيته خائبا. وما كان عنده الثمن نقدا لشراء الأسماك. وقالت كروتما لأمها:

—كوشومودالالي لم يشتري شيئاً اليوم.

ومشت جكي إلى فريكوتي وسألته:

—ألم تساوم لشراء الأسماك يا كوشومودالالي؟

—نعم

—وماذا حصل إذن؟

ولم يقل فريكوتي شيئاً، وفهمت جكي كل شيء. ولأول مرة يعود فريكوتي من الساحل بدون أن يشتري شيئاً من حصيلة الأسماك. ورأت جكي بعينها التغيرات التي حدثت في طبيعة جنيان كنجي. وقالت غاضبة لفريكوتي:

—لما رأى الأسماك أصبح شيطاناً يا مودالالي.

وقال فريكوتي:

—كان عندي بعض المبالغ وأردت أن أدفعه والبقية فيما بعد.

—ألهذا لم يتم البيع؟

—ربما.

ثم مشى فريكوتي. وتمنت كروتما أيضاً أن تقول شيئاً. ولكن هل تستطيع أن تفعل ذلك أمام أمها؟ وقد تحقق الآن فعلاً معنى الحوار الذي جرى بينهما من قبل. ودوت في أذنيها تلك الألفاظ بوضوح في هذه اللحظة: هل تبيع لنا الأسماك عند ما يأتي القارب والشبكة؟

“وإذا دفعت الثمن المناسب”

وتوجهت كالي كنجي وكنجي بن وغيرهما إلى تجار الجملة، وأمطرن وابلا من السباب
واللعات على جنيان كنجي.

ووزع جنيان كنجي لأجور على القارب ونشر الشباك، ثم عاد إلى البيت وفي يده مبالغ
كثيرة من مكاسب يومه وفي وجهه ملامح الابتهاج والفرح. وقد طلع في حياته فجر جديد ولا
يشعر بتعب ولا إرهاق من جراء جهوده التي بذلها طول اليوم.

إن الوجوم قد ساد البيت لأسباب شتى وأبدى النقود كلها لجكى، ولكنها لم تظهر أي ابتهاج
بذلك. بل قالت.

—ولمن هذه النقود، وما الفائدة منها؟

—لماذا تقولين هكذا؟

—انظر إلى صدر بيجامي!

ورفع جنيان كنجي بنتها، ووجد صدرها مرضوضا وسأل:

—لماذا جئت هناك، يا ابنتي؟

وبينت له جكى غرضها من المجيء هناك. ولما سمع ذلك ازداد حبه أكثر نحو بنته
الصغيرة، وكانت تريد أن تدخر لنفسها المال، ووعدها أنه يعطيها كل يوم سلة من الأسماك.

ثم سألته جكى في شأن فريكوتي:

—هل كان من العرفان بالجميل أن تعامله هكذا؟ ومن ساعدنا على شراء القارب والشبكة؟

ولم يفهم جنيان كنجي معنى الكفران بالجميل في معاملته هذه، وسأل

—وكيف ذلك؟

—لماذا لم تبعه الأسماك؟

وأجاب جنيان كنجي:

—فكيف أستطيع أن أدبر الأمور إذن، ومن أين أدفع الأجور للعاملين؟

وأضاف جنيان كنجي قوله:

—وإذا بعته الأسماك فربما يخضم ثمنها من الديون التي علينا له.

—وهل معنى هذا أنه خسر ماله وتجارته؟

وقد ثارت كروتما غضبا وامتعضا من هذه المعاملة، وقالت:

—مهما كان الأمر فإن محل تجارته أفسس.

وحدث شجار شديد في بيت أجاكنجي في تلك الليلة. وسألته زوجته:

—ماذا عملت مع صديق العمر؟ لقد كنت تحلم أن تعمل معه في قاربه.

وسأل أجاكنجي بدوره:

—وكننت أنت الأخرى دائما وراء جكي، فماذا استفدت منها الآن؟

ثم قال:

—إن الإنسان لينسى كل شيء عند ما يأتيه المال. وأقرته زوجته على ذلك وكرر أجاكنجي

قراره السابق في المحاولة في شراء قارب وشبكة. ولكن زوجته تلابن لم تصدق ذلك.

الفصل السادس

إن جنيان كنجي لنوحظ سعيد. ولا يدانيه أحد من أصحاب القوارب في حصيلة الشباك. وإذا طرح شبكته فلا تخطئ. وصيده دائما ضعف صيد الآخرين. وكان الناس كلهم يستغربون من هذا الحظ الوفير.

وكانت جكى تقول له كل يوم عند عودته إلى البيت مع مكاسبه اليومي:

—علينا أن نزوج البنت فوراً.

وما كان جنيان كنجي يعطيها ردا حاسما في هذا الأمر. وكانت تردد سؤالها دائما قائلة:

—وماذا تظن؟ هل تريد أن تبقى البنت هكذا؟ وكان جنيان كنجي دائما يلتزم الصمت. ولعله لم يعتبر ذلك أمرا مهما في مقابل جمع المال. وقد كان يعتبره أمرا هينا يمكن تحقيقه في أي وقت شاء ما دام المال متوفرا. واكمل لجنيان كنجي جميع الأدوات اللازمة لقارب الصيد. وأصبح في استطاعته أن يذهب إلى الصيد في جميع المواسم. وكانت عملية التجارة على وشك التوقف في محل فريكوتي. وحضر أبوه "عبد الله مودالالي" يؤنبه على ذلك. وقال: إن فريكوتي أنفق رأس ماله كله على امرأة من الصيادين. وسمعت كروتما هذا الاتهام باذنيها.

والحت على أمها لرد ديونه، وقصت لها ما سمعته من "عبد الله مودالالي" وهل هناك أمر معيب أكثر من هذا؟ وهو ألم يعط في الواقع من رأس ماله لامرأة من الصيادين؟ وكلما لفنت جكى نظر جنيان كنجي إلى هذا الأمر، وكان يجيبها:

—سنرد له المبالغ كلها، انتظري قليلا.

وبدأ جنيان كنجي يبدي آمالا عديدة يرغب في تحقيقها. فلا بد أن يشتري قاربين آخرين لتوسيع عملية الصيد. ويملك ضيعة وعمارة. وينبغي أن يكون في يده دائما مبلغ كبير من المال. وقال:

—وما هو الحرج إذا اشتغل إنسان طوال حياته؟ والمهم أن يحيا حياة الهدوء والراحة في أحياء أيامه مثل “بالي كونان” وقرر أيضا أن يعتني بصحة جكي ونمو جسمها. وقالت:

—هل تظن وزني سيزداد؟

—لا تشكي في ذلك. فإن وزنك سيزداد قطعا.

ولم تسمع جكي من قبل أن جنيان كنجي يتكلم عن التمتع في الحياة مثل هذا وظهر لها أيضا أنه حصل تغير في تصويره لمتعة الحياة. وسألته مرة:

—وكيف تفكر في مثل هذه الألوان من المتع وقد بلغت هذا العمر؟ ومن أين لك هذه الأفكار، لابد أنك قد أخذتها من جهة ما.

وقال جنيان كنجي:

—اسمعي يستطيع الإنسان أن يتمتع بحياته في جميع مراحل العمر. فانظري إلى بالي كونان، وكيف يعيش الآن في مرح وسعادة.

ثم قال لها:

—هل تعلمين أنت كيف تعيش زوجة بالي كونان؟ وهي في مثل عمرك. ولا تمشي إلا في زي أنيق. وشعر رأسها لامع مصفف دائما، وشفثاها محمرتان في مكياج رشيق، وفي غاية الجمال. وإذا نظرت إليهما فستري الزوجين كأنهما شابان في عنفوان العمر.

وسألت جكي:

—فهل تبغى أن ألبس أنا أيضا مثل فتاة صغيرة؟

—لم لا؟

—ألا تخجل من ذلك؟

وقالت جكى في نوع من الاستحياء:

—أنا لا يمكنني ذلك.

—أقول لك قصة يا جكى: فقد رأيتهما يوما يتعانقان ويتبادلان القبلات مثل الشباب.
وخجلت من هذا المنظر.

وقالت جكى:

—عيب.

وقال جنيان كنجي:

—وما هو العيب في ذلك؟ وهما يتداعبان ويمرحان دائما مثل الشباب.

وسألت جكى:

—أليس لهما أولاد؟

—هناك ولد واحد فقط.

وقال جنيان كنجي ناظرا إلى جكى:

—أريد أن تسمني قليلا مثل زوجة بالي كونان وتنداعب وتلهو مثل الشباب.

وفي الواقع أن جكى أيضا ترغب في أن ترى نفسها تتداعب وتلهو مع زوجها. ولكنها لا
تريد أن تفصح عن ذلك. وقالت لجنيان كنجي:

—عليك أنت أن تسمن أولاد.

وأجاب:

—وهو كذلك. ونستريح أخيرا.

وضحك جنيان كنجي. وكان أحلام قصته ماثلة أمامه وقالت جكى معاتبه.

—يبدو أنك قد أصبحت مفتونا بتلك المرأة.

وقال جنيان كنجي بعد قليل:

—الواقع أن كل من ينظر إليها يفتتن بها. أن زوجها رجل محظوظ بلا شك.

وكل شيء سيتم على ما يرام بفضل بركات البحر الأم. ويكون بجنيان كنجي في المستقبل ثراء وافر وبيت عامر.

وفكر الزوجان في قضاء حياة سعيدة مثل الشباب بعد استكمال الوسائل اللازمة وتزويج بنتهما. ولكن جكى قالت إنها ليست جميلة مثل زوجة بالي كونان. وأقنعها جنيان كنجي بأنها ستتمتع بالجمال أيضا حينذاك. فقالت له:

—وإذا مت قبل ذلك؟

—اسكتي لا تقولي مثل هذا الكلام.

وحدث يوما أن تغير لون مياه البحر فجأة. بدت في لون أحمر. والصيادون يعتقدون في مثل هذه الحال أن البحر الأم قد حاضت، وأن الأسماك سوف لا توجد في عرض البحر لعدة أيام مقبلة. ومضى يومان أو ثلاثة وقد نفذ صبر جنيان كنجي وفكر بنفسه لم لا يذهب إلى أعماق البحر بعيدا عن الأفق، فربما يجد هناك الأسماك متوفرة. وجمع عمال القارب وشاورهم في هذا الأمر. ولم يستطيع أحد منهم أن يقول جوابا حاسما في هذا الأمر.

ولم يذهب كثير من صيادي هذا الساحل إلى أعماق البحر من قبل، ولم يتعودوا النزول إلى البحر مطلقا للصيد أيام هذا الحيض. وقال لهم جنيان كنجي بجزم:

—إن كنتم لا تريدون المجيء معي فأني أنذركم من الآن أني لا أستطيع أن أتعامل معكم فيما بعد، فستجلبون المصائب على أنفسكم.

ومضت الأيام وحالة البحر لا تتغير وقد أنفق كل واحد ما عنده من المدخرات. وقام البعض بإنزال القوارب إلى البحر على سبيل التجربة، ولكنهم لم يحصلوا على شئ من الأسماك وبدأ الناس يلحون على أصحاب القوارب والشباك للإقتراض منهم. وأوشكوا هم أيضا على هاوية الإفلاس.

وساد القحط في الساحل كله. وكان أجاكنجي الذي حاول شراء القارب والشبكة، يعاني ضيقا شديدا في العيش لأنه صاحب عدد كبير من الأولاد. وقد باع كل ما ادخره من الأسماك المجففة والمملحة ليشتري بثمنه ما يقيم أود أولاده.

وجاء يوم وليس عندهم شئ يقتاتون به. ونشب شجار بين أجاكنجي وزوجته وفي سورة الغضب وجه أجاكنجي لطمتين إلى نلابن، ثم خرج من البيت غاضبا.

وهل كان يوسع زوجته أن تخرج من البيت مثله؟

وعليها تقع مسؤولية هؤلاء الصغار. وعند ما رأت أجاكنجي يخرج من البيت قالت له غاضبة:

—إنني أعرف أنك سوف تذهب الآن إلى المقهى لتملاء بطنك. ولم يعبا أجاكنجي بقولها ومضى. وربما كان خروجه من البيت للبحث عن وسيلة للحصول على قوت للأولاد الصغار. ولما لم يعد أجاكنجي حتى المساء أخذت نلابن وعاء من النحاس وذهبت به إلى جكي وأعطته لها كرهن في نظير روبية واحدة ولما علمت لكشمي بهذا الخبر جاءت هي أيضا بدورها بقرط من الذهب كان في أذنها وأعطته لجكي رهنا في نظير بعض النقود. وعند ما رأت جكي أن كثيرا من الجارات قد جئنها لنفس هذا الغرض شعرت ببعض المضايقة حيث أنها لا تملك نقودا كافية لإرضاء الجميع. ولكن الناس لا يصدقون ذلك. ولما

جاءت كالي كنجي صباح ذات يوم بسلطانية نحاسية اشترتها من قبل بمدخرات عام كامل سألتها جكى:

—إذا جاء الجميع برهائنهم هكذا فمن أين لي النقود؟ وهل أنا أستخرجها من الأرض؟!—

ولم تكن كالي كنجي تتوقع منها مثل هذا الكلام، وأنها قد أتت بأغلى ما عندها من أشياء لتخفف وطأة الجوع عن أولادها الصغار. وأضافت جكى:

—الآن يأتي الجميع إلى جنيان كنجي ويحتاجون إلى نقوده! وعند ما يكون في مأزق لا يعبأ به أحد.

وتساءلت كالي كنجي:

—ماذا فعلنا؟—

—لا شئ. ولكن ليس لدينا نقود الآن.

—ولماذا تكلميني بهذه اللهجة، كأننا لا نعرف بعضنا من قبل؟—

—هذا هو الواقع، أليس كذلك؟—

و غضبت كالي كنجي وجرى نقاش حاد بينهما، فتدخلت كروتما لتهدئة الجو. فإنها كانت تخاف أن يتطور الأمر إلى الكلام عن قصتها مع فريكوتي.

ومست كروتما قدمي كالي كنجي محاولة إرضاءها وناشدة منها الانصراف. فانصرفت بسلطانيتها. ثم قالت كروتما لأمها:

—ما هذا يا أمي؟ لماذا تتكلمين بهذا الأسلوب مع الناس بدون تفكير في النتائج؟—

—وماذا تريدني أن أفعل؟—

—يبدو أنك والولد قد تغيرتما منذ شراء القارب والشبكة.

ولما عاد جنيان كنجي في المساء حكى له جكى قصة القحط الشديد السائد في بيوت الجيران وأنهم لم يوقدوا النار في بيوتهم منذ أيام. وقال جنيان كنجي وهو يتناول طعام العشاء عندما سمع هذه القصة من زوجته:

—لا بد أن يأخذهم القحط. فهم لا يأخذون العبرة إلا إذا مروا بهذه المحن. وعندئذ يفهمون.

وصدمت كروتما بهذا الكلام وكرهت أباهما لهذه القسوة وسألته جكى:

—وماذا يفهمون؟

—لا بد أن يقاسوا المتاعب، لأنهم كانوا يسرفون في إنفاق كل ما يكسبونه بدون حساب سواء في الملابس أو المأكّل. ويعتبرون أنفسهم كأنهم لا يسيرون على الأرض. والآن يعدون النجوم.

وحكى جكى مثلاً شائعاً بين الصيادين:

—الصياد لا يحتاج إلى الادخار.

ورد جنيان كنجي:

—وإن لم يدخروا فتكون النتيجة هي القحط والجوع كما هو الحال الآن. علمي البنت أيضاً هذه الفلسفة الجوفاء لتجعلها عرضة لمجاعة والإفلاس.

وقالت جكى مبتسمة:

—أنت صياد حكيم.

—نعم، إنني أسير بحكمة، وفي يدي الأموال الكافية لمثل هذه الظروف.

وقالت جكى:

—لا تقل لي هذا الكلام. إن ذلك الولد فريكوتي قد أغلق دكانه. وبنتنا بالغة ولا تزال قابعة في البيت.

وأرادت كروتما أن تسأل والدها مستنكرة: أليس فريكوتي أيضا مستحقا للقحط والمجاعة؟

واستفاد جنيان كنجي وزوجته كثيرا من هذه المجاعة التي سادت الساحل، فقد اشترى بعض الحلبي والأوانى بأثمان زهيدة. وهذه الأشياء ستفيدهما عند تزويج بنتهما. واشترت جكى يوما سريرا جيدا جميلا من أحد الصيادين المنكوبين. ولما عاد جنيان كنجي أخبرته وهي تبتسم:

—لقد اشتريت سريرا جميلا.

وسألها جنيان كنجي وهو يبادلها الابتسام:

—لماذا اشتريت هذا السرير؟

—وما هو الغرض من السرير؟ النوم عليه طبعاً.

—من ينام عليه؟

—عند ما يأتي عريس للبننت نعيطه لهما.

—ألهذا فقط اشتريته؟

—ثم لمن؟ هل ينام عليه عجوزان؟

وقال جنيان كنجي وكأنه يبدي الموافقة:

—إن اشترى لنفسى سريرا مثل الذي رأيت في بيت كانتان كوران.

وقالت جكى:

—وتحتاج إلى زوجة أيضا مثل زوجته لتنام عليه.

وأجاب جنيان كنجي:

—وأجعلك مثلها.

وبدأ جنيان كنجي يفكر جديا في شراء قارب آخر وبدا له أن هذا الأمر غير عسير التحقيق.

وفي صباح ذات يوم أتى رمان كنجي إلى بيته فأكرمه جنيان كنجي ورحب به، فهو من أصحاب الشباك في الساحل ويملك قاربين للصيد. وقد عمل جنيان كنجي معه بنفسه لمدة من الزمن. وجاء رمان كنجي إليه ليقترض منه بعض المال ليوزعه على عماله الذين يعانون المجاعة وكان رمان كنجي يقترض النقود دائما من أوسيب، أما الآن فهو مدين له بمبالغ كبيرة ولا يريد إحراجه، وقال رمان كنجي:

—إن الناس الذين يعملون معنا دائما يقاسون الآن ضنكا في العيش. فكيف نصبر على هذه الحال؟ لا بد أن ندبر لهم شيئا.

وأيده جنيان كنجي قائلا!

—نعم، هذا لا يليق بمكانتكم أبدا.

ووافق جنيان كنجي بدون تردد على إعطائه القرض وسأله:

—كم من الروبيات تريد؟

—يكفي الآن مائة وخمسون روبية.

وأحضر جنيان كنجي النقود وسلمها إليه فسأل رمان كنجي:

—ألا تعطي بدل الغلاء لعمالك؟

وقال جنيان كنجي وهو يحك رأسه:

—وكيف أستطيع ذلك وأنا أيضا عامل مثلهم؟ وهل السنجاب يفتح فاه مثل الفيل؟

وضحك راما ن كنجي وأوضح له جنيان كنجي قصده مرة أخرى.

ولما ذهب راما ن كنجي استغرق جنيان كنجي في الضحك أمام جكي. ولم تره من قبل

مسرورا ومبتهجا مثل ذلك اليوم. وسألته:

—ما هذا؟ هل أصبحت مجنوننا؟

فقال:

—ماذا تعرفين يا مغفلة؟ إن قارب راما ن كنجي سيكون ملكا لي في غضون ستة شهور،

والآن أظنك قد عرفت فائدة وجود المال في يدي.

وبدأ عمال جنيان كنجي يضايقونه لأجل بدل الغلاء فسألهم:

—هل أنتم مستعدون للعمل؟ وكان ردهم بالإيجاب.

فقال جنيان كنجي:

اذن نذهب للصيد إلى ما وراء عرض البحر.

وسألوه:

—وكيف نذهب للصيد إلى ما وراء عرض البحر في مثل هذه الظروف المشؤومة؟

واستخدم جنيان كنجي حيلة أخرى فقال لهم:

—إن كنتم غير مستعدين فإنني سأختار عمالا آخرين ثم أحتفظ بهم للعمل معي في المستقبل.

وقال:

—عندي القارب والشباك وجميع لوازم الصيد وقد أنفقت عليها مبالغ كثيرة ولا أستطيع أن أتركها معطلة.

وبعد يومين أنزل جنيان كنجي قاربه إلى البحر ومعه عدد من العمال الجدد وتوجهوا إلى أعماقه للصيد. ولم تعرف جكى وكروتما هذا الخبر إلا بعد أن رأتا القارب قد وصل إلى عرض البحر وفي دفته جنيان كنجي.

وتجمعت في ذلك اليوم على الشاطئ بعض النساء كما تجمع أطفال وشيوخ من ثلاثة عشر عائلة ليكون ويبتهلون إلى الله. وقال الشيوخ: إن طالة البحر لا تبشر بالخير وفي عرضه دوامات كثيرة ولم يعد القارب حتى بعد أن غربت الشمس. وعلا العويل وكثر الإبتهال على الشاطئ. وكانت أنظار الجميع متوجهة إلى البحر. وطلبت الوالدة العجوز لكونشان الصياد الشاب من جكى: أن تعيد إليها ابنها الوحيد. وهكذا ساد الهرج والمرج و في الساحل وعلت الصرخات في كل مكان.

وعند منتصف الليل سمعوا صوتا من عرض البحر. وصاح أحد الواقفين على الشاطئ:

—ها هوذا القارب.

ووصل القارب إلى الشاطئ بسرعة فائقة. وكان فيه قرش كبير، كانوا قد صادوا قرشا آخر ولكنهم لم يستطيعوا أن يحملوا الاثنين في القارب فتركوه في عرض البحر.

وقطع جنيان كنجي القرش قطعا ووزعها على تجار الأسماك ووافق على دفع الثمن بعد بيعها. وحصل كل من كالي كنجي ولكشمي وغيرهما على نصيبهن. وبفضل ذلك أوقدت النار في كثير من البيوت في ذلك اليوم.

وبعد يومين ذهب جنيان كنجي مرة أخرى للصيد وعاد من رحلته غانما أيضا حتى في زمن حذب البحر، ما زال جنيان كنجي يكسب المال. وفشل أصحاب التقاليد ولم يتكلموا بشئ. وقالت النساء إنهن يأكلن العيش الآن بسبب جنيان كنجي. وقرر بعض أصحاب القوارب الأخرى الذهاب للصيد أيضا في أعماق البحر.

وقد كان الجميع يعتقد أن الرخاء سيتبع هذا القحط عندما يأتي موسم الجمبري. وكان اتجاه الجمبري في العام الماضي نحو ساحل "ألبي" فلا بد أن يتجه هذا العام نحو هذا الساحل. فعلى الصيادين أن يستعدوا من الآن لاستقبال الموسم الجديد بإصلاح الشباك والقوارب ولكن أصحابها ما زالوا يعانون من الفقر والمجاعة حتى أصبحوا حيارى.

ووصل المرابون إلى الساحل وجيوبهم مليئة بالنقود للاستفادة من الحالة الاقتصادية الحرجة السائدة في الساحل وكان في مقدمتهم أوسيب و "جوبندان" واستعد الصيادون لقبول القروض بأي شرط. وتعاقد أصحاب محلات التجفيف مع كبار تجار الجملة مدن "ألبي" و "كويلون" و "كوشيني". وجاء تجار القطاعي ليقدموا النقود مقدما لشراء الأسماك التي تجففها وتخزنها ربات البيوت والأولاد. وهكذا بدت آثار الثراء في الساحل بفضل أموال المرابين التي قدمها التجار مقدما لأصحاب القوارب.

وكلما كان يجتمع رامن كنجي بجنيان كنجي، يكون خائفا من أن يطلب منه رد الدين. ولكن جنيان كنجي كان يعرض عليه قروضا أخرى. أما فريكوتي فلم يقم بأي استعداد للتجارة في موسم الجمبري، وقد طلب منه والده إغلاق المحل وأراد أن يعينه في أي عمل آخر بعيدا عن الساحل. لكن فريكوتي لم يكن يريد مغادرة الساحل وقال لوالده:

تركنتني في هذا الساحل لتجارة الأسماك وأنا صغير ولأعرف الآن أي عمل غير هذا.

وسأله الوالد:

—وكيف بددت الأموال كلها؟

وأجاب فريكوتي:

—هذه هي طبيعة التجارة يا والدي. فأحيانا تنجح وأخرى تفشل وربما تخسر رأس المال أيضا:

وإذا خسرت مرة أخرى؟

وما كان لدى فريكوتي الا جواب واحد:

—أعطني القسط الذي تقررته لي، ولا أريد شيئا أكثر من ذلك.

وقال الوالد:

—من أين لي هذا المال لأقسمه بينكم؟

وقد كان لوالده عبد الله التزامات باهظة وله ابنة في سن الزواج. وكان ثريا بعض الشيء، ولكن الظروف قد تغيرت. وهو يعاني الآن حالة حرجة من الناحية الاقتصادية. وبين ذلك لابنه فريكوتي ومع ذلك لم يغير رأيه.

وعلمت كروتما أن فريكوتي لم يعمل أى استعداد لموسم الجمبري القادم. فهو لم يصلح “التنور” ولم يشتر الحلل اللازمة لتجفيف وتمليح الأسماك وليس في دكانه حصر كافية لتتشفيتها. قالت كروتما لأمها إن هذا هو الوقت المناسب لنرد إليه ما علينا له من ديون. وإذا لم نساعدته في هذا الوقت فهذا نكران لفضله علينا.

وبدأت جكى تلح على جنيان كنجي لسداد الدين. ولكن بدون جدوى. وتأكدت كروتما أن أباه لن يسدد هذا الدين لفريكوتي. وقالت لأمها:

—ليس في وسعي أن أتحمل هذا العبء الثقيل.

ولكن أمها لم تفهم فحوى كلامها. وسالت:

—ما هو العباء الذي تتحملينه؟

وبكت كروتما وأخذت جكى تهدئها. ولكنها استطردت:

—سأقول لوالدي كل شئ وعندئذ سيكون عنده النقود.

وخافت جكى وناشدت ابنتها:

—لا تقولي له شيئاً يا ابنتي!

لقد كانت جكى تعرف جيداً مغبة ما يحدث سمع جنيان كنجي كل ما سمعته هي في هذا الأمر. ولا تستطيع أن تتصوره. فضلاً عن أنها فهمت من كلام كروتما أن هناك أشياء أخرى غير ما تعرفه هي.

وتمكن حب فريكوتي من قلب كروتما ولم يصبح فيه مكان لغيره. ولكنها ولدت لتكون زوجة لصياد! ويجب أن تنسى فريكوتي. وهذه الخواطر تشغل ذهنها ليل نهار.

وربما كانت تظن أنها تستطيع أن تنساه إذا رد إليه دينه، وعادت تجارته إلى مجراها الطبيعي. ولكنها لا يمكن أن تراه مفلساً متشرداً بسببها. وكانت هذه الأخيصة تطوف بذهنها دائماً.

ومرت الأيام دون أن تبدو بادرة من جنيان كنجي لرد تلك المبالغ لفريكوتي.

الفصل السابع

كان الصيادون ينتظرون بفارغ الصبر موسم الجمبري ويقضون الأيام على شوربة الأرز والخضروات، ويدعون إله البحر ليعيد إليهم الأيام التي يستطيعون فيها أن يتناولوا الوجبات الكاملة.

وعندما يمتنع أصحاب المحلات عن إعطاء الأشياء قرضاً يقول لهم الصيادون:

إن موسم الجمبري سيأتي قريباً. ويقول الأزواج لزوجاتهم عندما يشتكين من عدم وجود الملابس لهن ولأولادهن:

—انتظرن إلى حين موسم الجمبري فكل شيء سيتم على ما يرام.

وخطر في ذهن كروتما مشروع. وهو أنها تحاول أن تكسب بعض المبالغ في أيام موسم الجمبري وتحصل بعض النقود التي يحصل عليها جنيان كنجي يوماً ثم تعطيها لفريكوتي وقد قررت جكي أيضاً جمع بعض المال في هذا الموسم. ولكنها كانت تبغي من ذلك إعداد بعض المجوهرات لتقدمها لابنتها كروتما عند زواجها. وقالت كروتما:

—إنني لا أريد حلياً ولا مالاً. وكل ما أريده أن نسدد دين فريكوتي.

وسألتها جكي:

—وإن سدها والدك يا ابنتي؟

—لن يسدها أبداً.

ووافقتها جكي على رأيها. وبدأت كروتما تنفذ خطتها. وكانت بنجامي أيضاً تسعى لادخار مبلغ خاص لها من الأسماك التي وعددها والدها بها.

أما والد فريكوتي فقد رهن داره وضيعته لأحد كبار التجار لتدبير ألفي روبية لفريكوتي. وقرر فريكوتي أن يواصل تجارته في هذا الموسم بتدبير وعناية لكي يستطيع أن يرد هذا الدين فوراً، ويتخذ الإجراءات اللازمة لتزويج أخته.

كما أن أجاكنجي، جار جنيان كنجي، قد عقد عزمه لبذل المجهود لا متلاك قارب وشبكة من مكاسب هذا الموسم. واتصل با لمرابي الشهير أوسيب وقال له:

—أريد أن أشتري قاربا وشبكة. وإن لزوجتي أيضا رغبة شديدة في انتظار عودة قارب زوجها محملا بالأسماك.

وسأله أوسيب:

—كم عندك من النقود يا أجاكنجي؟

ولما أجاب أجاكنجي بلا شئ فكر أوسيب في حيلة، فطلب منه تأجيل شرائهما إلى ما بعد موسم الجمبري حتى يجمع ما يستطيع من النقود في هذا الموسم والباقي يعطيه له، ولكن أوسيب اشترط أن يكون القارب والشبكة باسمه هو، وأن أجاكنجي يحصل على سهم الصيد علاوة على حق المراكبي. ووافق أجاكنجي على هذا الشرط وهذه هي العادة المتبعة في الساحل، وأخبر نلابن بهذا الاتفاق وقال لها:

—أعطني كل ما تكسبين من تجارتك اليومية لكي ندفعه إلى أوسيب حتى يشتري لنا القارب والشبكة في أقرب وقت ممكن. وأخبر أجاكنجي الجميع بأنه سيشتري القارب والشبكة.

وبينما كان الجميع في انتظار موسم الصيد الجديد بشغف كبير، بدأت علامات موسم الأمطار تظهر في الساحل. وهبت العواصف وبشرت بالخير. وتأكد الصيادون أن اتجاه حصيلة الأسماك ستكون إلى ساحلهم. وساد البشر وجوه الأهالي. ولبس الشاطئ ثوبا قشيبا من الدكاكين الجديدة، ومحلات الأزياء والمجوهرات وجيء بمحرك لتوليد الكهرباء لإضاءة المحلات الجديدة باللمبات الكهربائية، وهكذا سيصل نور الكهرباء لأول مرة إلى الساحل.

وبدأت القوارب تصل إلى هذا الشاطئ من الشواطئ الأخرى المجاورة. ونزل الجميع الى عرض البحر وفي مقدمتهم جنيان كنجي مع قاربه الجديد وعماله المهرة. وكان المحصول ضئيلا في اليوم الأول لأن أسراب الجمبري لم تصل بعد إلى عرض البحر. وكان معدل حصيلة جنيان كنجي يفوق الآخرين.

وتضاربت الآراء حول السبب الحقيقي الحظ جنيان كنجي، فقال أيان كنجي: إنه أنزل قاربه أولاً ورأى "رامان موبان" أنه اشترى حظ بالي كونان.

وفي الواقع أن جنيان كنجي كان بمثابة حافز لزملائه الصيادين. فتمنى كل منهم أن يكون حظه مثل حظ جنيان كنجي. وقال أيان كنجي لعماله:

—تعالوا مبكرين في الموعد المحدد ولا تتأخروا. ولا بد أن نكون ذوي إرادة قوية.

وتنافس الجميع مع جنيان كنجي، وفي اليوم التالي تجمع الناس في الشاطئ مبكرين بخلاف العادة، وفتحت الدكاكين والمقاهي في الساعات الأولى من الصباح ونزل قارب جنيان كنجي متأخرا. ولم يكن يعرف منافسة الآخرين له. وعندما علم التجار أن الموسم مناسب أسرعوا إلى الشاطئ وفي أيديهم مبالغ ضخمة بغية شراء أكبر كمية ممكنة من حصيلة الأسماك.

وكان فريكوتي قلقا. ولم يصل بعد الرجل الذي وعده بإعطائه النقود. وليس لديه مال يكفيته للتجارة وهذه أكبر فرصة مناسبة ومتاحة للتجار الآن الموسم يبشر بحصيلة وافرة من الأسماك. كما أن التجفيف والتعليح سيكون سهلا حيث أن الشمس ساطعة.

كانت الساعات تمضي بسرعة. والفرص ثمينة وساد فريكوتي القلق من تأخر وصول "باجوبلاي" وكيل التاجر الذي وعده بإيصال النقود إليه في الصباح.

واتجهت القوارب نحو الشاطئ الذي اصطف عليه التجار وجيوبهم مليئة بالأموال. وعلت الهتافات والأصوات في الشاطئ. وجهزت المأكولات في المطاعم لأن العمال سيتدفقون إليها فوراً. وأوقدت النيران في محلات التجفيف واستعد العمال في محلات التعليح والتعبئة. ودب النشاط في محل فريكوتي أيضاً. وكان أول قارب يصل الشاطئ هو قارب جنيان كنجي. وقال التاجر قادر:

—لا يستطيع أحد أن يدانى قارب جنيان كنجي.

وأمن على كلامه “ميدى كنجى” وقال صىاد عجزو:

—إن المالك هو الذى يقود القارب.

وكان القارب ملئاً بالجمبرى. واندفع فرىكوٲى إلى جنىان كنجى وقد نسى تجربته الأولى معه. ومن الطبعى أن ينسى الجمىع أنفسهم فى مثل هذه الأوقات.

وقال فرىكوٲى:

—جنىان كنجى، أعطنى حصىلتك اللىوم.

ونظر جنىان كنجى إلى فرىكوٲى وقال له بدون رحمة:

—هل عندك الثمن نقداً؟ وإلا فاذهب.

وقبل أن يجىب فرىكوٲى، وصل التاجر قادر إلى جوار القارب وتأكد فرىكوٲى من أنه لن يحصل على محصول قارب جنىان كنجى. وتوجه إلى القوارب الأخرى. واشترى بما عنده من النقود ثلثى حصىلة قارب أحد الصىادىن.

وأعطى جنىان كنجى الأسهم لعماله فوراً وقال:

—ألا ترون أن هذا يوم مناسب جداً للقىام برحلة أخرى للصىد. والأسماك متوفرة، والسماء صافىة، والشباك صالحة. فلماذا تضىعون هذه الفرصة الذهبىة؟ اذهبوا إلى المنازل وتناولوا الطعم ثم ارجعوا فوراً فأنى على أتم الاستعداد لأن أخرج معكم. وسمع أجاكنجى هذا الكلام وقال:

—أنا أقول بصراحة أنه لىس لك الحق فى أن تصفى البحر كله لمجرد أنك تكسب النقود.

لقد ساد الفرح والمرح فى الساحل كله، ودب النشاط فى كل مكان. وكانت الآمال معقودة فى نفوس أهل الساحل.

وعاد أجاكنجى الى البيت فسألته نلابن:

—لماذا لم تخبرني عندما ذهبت في الصباح أنك ستعود إلى البيت للغداء؟.

—ألم نتفق على ذلك من قبل؟ فردت:

—هذا صحيح، وخذ الآن مما عندك من النقود ما تحتاج إليه لوجبة الغداء من المطعم وأعطني الباقي حتى أحفظه عندي، ونسلم المبلغ إلى أوسيب بعد ذلك.

وقدم أجاكنجى أوراق النقود والروبيات لزوجته ومضى.

وعاد جنيان كنجي بعد الغداء فورا إلى الشاطئ . ولكن لم يعد أحد من عماله. وقد خاب حلمه في كسب مزيد من المبالغ في ذلك اليوم الزاهر.

وفي مساء ذلك اليوم وصلت قوارب عديدة من الشواطئ المجاورة. وبسبب الأمطار الغزيرة لم تنزل القوارب بالليل إلى البحر حتى طلوع الشمس في اليوم التالي.

لام جنيان كنجي عماله على تأخير نزول القارب. ولكن قاربه كان في المقدمة.

ورأى الناس قاربا آخر جديدا ينافس قارب جنيان كنجي. وتساءلوا فيما بينهم عن هذا القارب وعن صاحبه الذي كان من ضمن القوارب الجديدة التي قدمت من "تريكونابوزا" ويقوده شاب صغير يدعي "بالاني". وطار القاربان بسرعة فائقة وهما في غاية التنافس، بل وتقدم بالاني بقاربه قليلا على قارب جنيان كنجي. وكان هذا المنظر خلابا للغاية.

وعاد القاربان أيضا بنفس روح التنافس. وكادت مقدمتهما أن تصطدما، وعندئذ خافت كروتما وقالت لأمها بفرع:

—لماذا يتنافس أبى لهذا الحد؟

وشعرت جكى بالقلق والفرع، فلم يعد جنيان كنجي شابا صغيرا، ولا يدري أحد ماذا سيحدث إذا تصادمت مقدمتا القاربين. وأخيرا وصل القاربان إلى الشاطئ بالسلامة في آن واحد.

وعلت أصوات الفرع والمرح في الساحل.

ونظرت كروتما باهتمام الى بالاني الذي قفز من القارب وفي يده مجداف ضخمة وعلى رأسه طرد كبير. وهو شاب قوى العضلات، وعانقه جنيان كنجي وقال له:

—أنت ابن البحر الحقيقي!

ولم يقل بالاني شيئا. وكانت القوارب كلها مليئة بالمحصولات ولكن قارب بالاني فاق الجميع وكان محصول جنيان كنجي أقل بعض الشيء من محصول بالاني.

وسأل جنيان كنجي بالاني!

ما اسمك يا بني؟

وقف بالاني أمام جنيان كنجي في غاية الاحترام والخجل دون يبدو عليه أنه البطل الذي كان يطير بقاربه في سرعة البرق أمام جنيان كنجي. وبدا وكأنه طفل برئ خجول. أين غابت قوة عضلاته وفتوته؟

وأجاب الشاب بصوت خافت:

—بالاني

—أنت تعلم طبيعة عملك جيدا يابني. وهذا هو أول الواجبات على كل صياد وسكت بالاني برهة ثم سأله جنيان كنجي:

—ما اسم أبيك؟

—“ويلو” . وقد مات.

—هل والدتك على قيد الحياة؟

—لا.

—ومن لك من الأقارب؟

—لا أحد.

وسأله جنيان كنجي مستغرباً:

—أليس لك أحد من الأقارب؟!

ولم يقل بالاني شيئاً.

ولما وصل جنيان كنجي إلى البيت عائداً من الشاطئ سألته جكي غاضبة:

—إنني أعرف أنك تريد أن يعود إليك الشباب ولكن هل هذه هي الوسيلة لإثبات الشباب؟

لم يعبأ جنيان كنجي بقولها وكان أمراً هاماً قد خطر بباله وقال لها:

—هل رأيت ذلك الشاب الذي كان يقود قاربه بجواري؟

—رأيت.

—إنه شاب طيب، أليس كذلك؟

فسأته جكي:

وماذا يعنيننا من ذلك؟

—إنني أريده للبنت.

ولم تقل جكى شيئاً. وأضاف جنيان كنجي:

—سألته عن أهله فقال إنه ليس له أحد. وفي رأيي أن هذا هو الأحسن .

وقالت جكى:

—فلماذا لم تدعه لتناول الغداء معنا؟

—إنني لم أتنبه لذلك.

وفي الواقع أن جكى شعرت بارتياح في ذلك الوقت، لأن جنيان كنجي قد عثر على عريس لابنتهما، وهو شاب لطيف، ومن المتوقع أن يختاره أي أحد آخر. فلا بد من الإسراع في هذا الأمر.

وفور تناول الغداء ذهب جنيان كنجي إلى الساحل. ووجد بالاني ورفقاءه يستظلون تحت ظلال أشجار الجوز الهندي. ولم يتحدث إليه جنيان كنجي في ذلك اليوم وجرى التنافس بين قاربيهما في اليوم التالي أيضا. وكان بالاني هو الفائز كالיום السابق.

وتحمس عمال جنيان كنجي فقال كروتا كنجي:

—لا ينبغي لهم أن ينافسوننا في شواطئنا.

وأراد “كونجوباوا” أن يصادم قواربهم. وعلم جنيان كنجي أن معركة ستقع في هذه الحال.
فقال:

—لماذا تحقدون على الشبان العاملين؟ فإن كنتم تريدون أن تهزموهم تغلبوا عليهم بالعمل والجد. ولكن عمال جنيان كنجي مصممون على الدخول في معركة معهم، وإن لم تكن في البحر فتكون على الشاطئ.

وعارضهم “ولوتا” في ذلك فقال:

—الآن أتوا إلى شواطئنا وربما نضطر غدا للذهاب إلى شواطئهم.

ولكن البعض لم يستمع إلى هذا الرأي وأصرروا على الانتقام منهم بأي وسيلة، ولو أدى الأمر إلى الالتجاء إلى المحاكم. انهم لا يخافون من شئ لوفرة مكاسبهم في هذا الموسم.

وعلم جنيان كنجي بهذا القرار. وانتشرت فكرة الانتقام في الساحل كله. وقد عارض هذه الفكرة بعض أهالي الساحل.

وبعد بضعة أيام حدثت معركة حامية في الساحل بين عمال القوارب. وأصيب البعض بجراح خطيرة، ولم ينزل أحد إلى البحر للصيد خلال اليومين التاليين. ووصل البوليس إلى الساحل بحثا عن المشاغبين، واختفى كثير منهم وألقى البوليس القبض على البعض الآخر. ولكن زعيم الساحل تدخل في الأمر، وأفرج عنهم. وقابل عمال كلا الجانبين الزعيم على حدة، وقدموا إليه الهدايا والتحف. وهكذا هدأ الحالى نوعا ما.

ولكن نفذ من الجميع كل ما ادخروه من مكاسب ذلك الموسم ولم يذهب "ويلا يودهان" إلى زعيم القبيلة، فأوعز الى البوليس للقبض عليه. وزج به فى السجن لمدة أسبوع. ومع هذا لم يعبأ بالزعيم وقال حين خروجه:

—إنني لا أعترف به أبدا.

وخسر جنيان كنجي من جراء ذلك مكاسبه لمدة أسبوع في ذلك الموسم الوفير المحصول من الجمبري ثم بدأ العمل في البحر.

وكانت جكى تقول لجنيان كنجي دائما أن يصحب معه بالاني إلى البيت.

وذات يوم ذهب عمال القوارب جميعا إلى "تريكونايوزا" لقضاء يوم للراحة. ولم يذهب بالاني معهم وسأله جنيان كنجي:

—لماذا لم تذهب معهم يا ابني؟

—أين أذهب؟

وكان على حق فيما يقول فليس هناك أقرباء له ليزورهم أو ينزل عندهم. ودعاه جنيان كنجي إلى بيته لتناول الغداء. وقبل بالاني الدعوة. وأعدت جكي وجبة غداء شهية.

نشأ بالاني في ساحل "تريكونابوزا" لايتذكر والديه. ولا يدري كيف ترعرع ومن الذي رباه ولم يتحمل أحد شيئاً في سبيله وهو يعيش ويعمل بنفسه. وكبر ابنا باراً للبحر يكد ويجتهد ليل نهار ويكسب قوت يومه بعرق جبينه. ولم يحاول أحد أن يكفله أو يريحه ولم يتقدم هو بنفسه إلى أي أحد ليساعده.

ولأول مرة أعدت له امرأة وجبة شهية، وقدمت إليه الطعام بكرم وحنان. وكان هذا الحدث نقطة تحول في حياته وسألته جكي أثناء تناول الغداء:

—كم عمرك ياابني؟

ولكنه لم يكن يعرف ذلك تماماً. ثم سألته عن محل إقامته، وطبقته من الصيادين، ومصارف مكاسبه، وما إلى ذلك من الأمور التي تحب أن تعرفها جكي كمقدمات للمشروع الذي تحلم به هي وزوجها. ثم سألته:

—أين تقيم الآن؟

—في بيت متواضع أملكه.

—وماذا تفعل بالنقود التي تكسبها؟

—أصرفها....طبعاً.

وقالت له جكي ناصحة كأم حنون:

—يا بني إنك وحيد وليس لك أحد للاشراف عليك. وإذا أنفقت كل ما تكسبه

فماذا تفعل إذا حدث شئ ولازمت الفراش لبضعة أيام؟ ومن ينفق عليك؟

لكن بالاني لم يكن يعبأ بمثل هذه الأمور. فقد كانت حياته ونشأته أيضا بيد القضاء والقدر. ولماذا يفكر في المرض والعجز بعد أن كبر وبلغ.

وفهمت جكى أنه شاب حازم وليس بماكر. وأنه يسبح وحده في بحر الأقدار. وليس هناك أحد يعني به أويرعاه. وقالت له كأم حنون:

—هل تريد أن تعيش هكذا دائما؟

—ثم ماذا أفعل؟

أليس له هدف في حياته؟ وفي الواقع أنه لم يكن يستهدف شيئا معينا. ولم يرشده أحد كذلك إلى هدف معين. وقالت جكى:

—هذا لا يكفي يا بني.

ولم يجب بالاني بشئ. وأردفت جكى:

—أنت الآن تقدر على العمل وتعيش بكسب يدك ولكن هذا الحال سيتغير، لأن الإنسان يحتاج إلى عناية الآخرين ويحتاج إلى من يجهز له الطعام، كما أنه يحتاج إلى بيت يأوي إليه ويستريح فيه.

وسكت بالاني ولم يقل شيئا. وقالت جكى:

—يا بني، عليك أن تتزوج وتعيش مع شريكة لحياتك.

نعم. وليس لدى مانع.

—هل أدبر ذلك لك؟

—نعم .

—هل تريد أن تعرف من هي العروس؟

—من؟

بنتي.

ووافق بالاني على ذلك أيضا. ولكن جكى ما زالت ترى فيه عيوباً. فليس له أهل أو أقارب كما أنه غير مستقر. وإذا زوجت ابنتها رجلاً مثله ثم هدرها فماذا تفعل اذن؟ ولمن تشكوه؟

وقال جنيان كنجي:

ولكنه شاب طيب.

—وعندما يسأل الناس عن المكان الذي يقيم فيه العروسان فيماذا نجيب؟

—يستطيع أن يبنى بيتاً خاصاً بهما.

—والى أية طبقة ينتمي؟

—إنه إنسان سيعمل في البحر.

—وإذا اختلفت طبقتهم عن طبقتنا، فإن أقاربنا سوف يخاصموننا.

—دعهم يخاصموننا.

—وينصرفون عنا ولا يكون لنا أعوان.

فقال جنيان كنجي بعزم أكيد:

—لا مانع عندي من ذلك. وعلى كل حال فإنني قد عازمت على أن أزوج ابنتي من
“بالاني”.

الفصل الثامن

استمر هطول الأمطار لمدة ثلاثة أيام. وكان الجمبري وفيرا في البحر. ولكن الصيادين لم
ينزلوا قواربهم للصيد بسبب شدة البرد.

ولما طلعت الشمس في اليوم التالي وصحت السماء، طرح الصيادون شباكهم في عرض
البحر، وعادوا في المساء بحصيلة وفيرة من الجمبري.

وعانى أصحاب محلات تباع السمك المجفف وتجار الجملة صعوبات عديدة بسبب رطوبة
الجو، وأصبحت تجارتهم كاسدة. حيث أنهم لا يستطيعون أن يصدروا أسماكهم إلا إذا جفت
تحت أشعة الشمس المحرقة.

أما فريكوتي فقد تكبد خسارة كبرى في تجارته، لأن السلعة التي صدرها في الدفعة الأولى
قد رفضها المستورد بحجة عدم جفافها تماما. وقال لفريكوتي:

—خذ أسماكك مرة أخرى ورد لي الثمن.

وعرض فريكوتي هذه السلعة على كبار تجار الجملة في مدينة آبي فلم يقبلها أحد منهم.
وأخيرا اقترض فريكوتي مبلغا من المال من أحد تجار الجملة الذين يتعاملون معه بضمانة
“باجوبلاي” على أن يأخذ منه عمولة على هذه الضمانة. واشترى فريكوتي بهذا المبلغ كمية
من الأسماك لتجفيفها. ولكن سوء الحظ كان له بالمرصاد. فقد حالت رطوبة الجو دون جفاف
هذه الأسماك أيضا. وإذا استمرت الرطوبة يوما آخر أو يومين فليس أمامه إلا أن يرميها،
لأنها ستفسد حينئذ.

وهكذا عاد القحط إلى الساحل مرة أخرى، ولم يستريحوا بعد من عناء المجاعة السابقة.
فقد كسدت التجارة في الحوانيت، والمقاهي، والمطاعم.

وواجه أصحاب القوارب أيضا مشكلة أخرى. فهم لا يستطيعون أن ينزلوا قواربهم إلى البحر، حيث أن محصولهم سوف لا يكون له تصريف بسبب الرطوبة.

وبدأ المرابي أوسيب بمطالبة رامن كنجي برد دينه وما كان بوسع رامن كنجي أن يفعل شيئا. واتجهت أنظار أوسيب إلى قاربه.

وذاذ يوم حدثت مناقشات حادة حول سداد الدين، وحلف رامن كنجي أنه سيرد إليه المبلغ في بحر أسبوع.

وذهب رامن كنجي إلى جنيان كنجي وطلب منه مبلغا آخر على سبيل القرض، ولكن جنيان كنجي أبدى بعض الامتناع هذه المرة.

ولما أدرك رامن كنجي ما خفي وراء هذا الامتناع قال:

—كن صريحا معي يا جنيان كنجي.

فرد جنيان كنجي بدون أي تحفظ:

—وكيف أعطى المال بدون ضمان؟

—وما هو الضمان الذي تريده؟

—ماذا أقول في ذلك؟ فأنت أدري مني.

وأخيرا أظهر جنيان كنجي ما في ضميره، وطلب منه القارب كرهن، ولم يجد رامن كنجي بدا من القبول.

وأصبح جنيان كنجي صاحب قاربين.

وفي نفس اليوم حدث شجار في بيت أجاكنجي، وسألته زوجته نلابن ساخرة:

—هل تعتقد أنك تعيش في هذه الدنيا؟ أنظر: لقد أصبح لجنيان كنجي قاربين.

فأين قاربك المزعوم؟

—هذا من حظك المنحوس. وأين النقود التي سلمتها إليك لكي نعطيها لأوسيب؟

—كيف نظل من غير ملابس مناسبة وأدوات للمنزل؟ لقد اشتريت ذلك بالمبلغ.

—لقد أخطأت في إعطائك اياه. فلو كان معي لظل محفوظا.

—لا. ولكن كنت تصرفه على الخمر.

ورد عليها أجاكنجي بلطمتين شديتين على الفور.

أما جكى فقد فرحت فرحا كبيرا حينما علمت بحصول زوجها على قارب آخر. ولكنها ما زالت قلقة لعدم قضاء دين فريكوتي. وكروتما تذكرها دائما بضرورة سداد هذا الدين. وقالت جكى لجنيان كنجي:

—إن هذا ليس من العدل.

—ماذا تعنين؟

—لماذا لا ترد إلى فريكوتي دينه؟ بعد أن حصلت منه على ماربك، لا تريد حتى الكلام معه.

فغضب جنيان كنجي ولعنها. ثم واصلت كلامها:

—الغضب لا يجدي الآن. فهذا المسكين في مأزق، وهذا هو الوقت المناسب لرد المبلغ إليه.

—ومن أين لي النقود الآن؟

وكانت كروتما تستمع إلى هذا الحوار. فقالت بدون أن تشعر:

—لا بد أن ترد إليه نقوده فوراً يا أبي.

وسألها جنيان كنجي غاضباً:

—وما دخلك أنت في هذا الأمر؟!

وأرادت كروتما أن تقول بصراحة أنها هي التي طلبت النقود أولاً من فريكوتي، وقد أعطاهم لهم من أجلها وقد كانت تعلم أن فريكوتي هو السبب الأول في نجاحهم، وكلما ازدادت ثروتهم كانت تشعر أنها مدينة أكثر لفريكوتي.

وخافت جكي أن تقول كروتما شيئاً أمام والدها يؤدي إلى وقوع كارثة.

فقالت لجنيان كنجي:

—لماذا تغضب من كلامها بهذا الشكل؟ أليس كلامها حقاً؟

—ولماذا تتدخل هي في هذا الموضوع؟ وهل هي التي طلبت منه النقود؟ وهل هو سيئاً بها؟

وقالت جكي قلقة للغاية:

—هي لا تقول ذلك، ولكن أليس لها الحق في إبداء رأيها؟

وقال جنيان كنجي لكروتما ناصحاً لها:

—ليس لك أي حق للتدخل في مثل هذه الأمور، فهي أمور تتم بين الرجال وأنت على وشك أن تصبحي زوجة، وعليك أن تعلمي ذلك من الآن.

ثم التفت جنيان كنجي إلى جكي:

—البنت تتعلم مثل هذا الأخلاق من تصرفاتك.

ولم تقل جكى شيئاً فى هذه اللحظة. ولكن عندما خلت بكروتما قالت لها:

—لماذا تتسبن نفسك وتتكلمين مع والدك؟ وإذا تسرب إليه أي شك، فهل تعرفين ماذا سيحدث؟ ألم تسمعي إشاعات الناس؟ وإذا وصلت هذه الإشاعات إلى أسمع أبيك.....؟

ومع ذلك كله قالت كروتما لأمها بإصرار:

—لا بد أن ترد إليه نقوده يا أمي!

—وهذا ما يشغل تفكيري أنا أيضاً.

—لقد اقترحت عليك من قبل بعض الطرق لنعطي فريكوتي ولو جزءاً من ديونه. ولكنك لم تقبليها يا أمي.

وأضافت كروتما بعد هنيهة:

—إن سداد هذا الدين يا أمي أهم من كل شئ.

وفهمت كجى ماذا تعني كروتما بهذا القول. وقد حاولت من قبل أن تعرف شعورها نحو زواجها من بالاني، ولكنها كانت تلتزم الصمت دائماً. كانت جكى تفسر هذا الصمت با لخلج المعتاد لأضرابها من الفتيات.

وأرادت جكى أن تستوضح رأيها عن طريق بعض زميلاتهما، ولكنها خافت أن ينتشر الخبر في الساحل. والآن قد بدا من كلام كروتما أنها موافقة على الزواج ولكن بشرط سداد الدين أولاً.

واستبشرت جكى بذلك وبدت على وجهها ملامح السرور ثم سألت كروتما:

—أستطيع أن أفهم من ذلك أنك موافقة على الزواج من بالاني؟

ولم تنطق كروتما بشئ. وأردفت جكى قائلة وما زالت على وجهها ملامح السرور:

—إنه شاب لطيف يا بنتي.

وسردت أمامها بعض مميزات بالاني، وأخلاقه النبيلة.

ولقد كان لكروتما كل الحق في أن تعترض على كلام أمها عن بالاني. أليس لها أن تعرف شيئاً عن أهله وعائلته وسنه ومركزه في المجتمع؟

ولما استمرت أمها في كلامها عنه بدون انقطاع قالت لها:

—كفى يا أمي. وكانت كروتما تتمم بكلمات لم تفهم منها جكى شيئاً. ثم قالت جكى مؤكدة عزمها:

—إن أمك ستعمل لسداد هذا القرض قبل الزواج .

وقالت كروتما بصوت ملئ بالامتعاض والضيق:

—وإذا كان هذا صحيحاً فلماذا لم تفعلي شيئاً إلى الآن؟

—من الآن سأصر على تنفيذ ذلك ياابنتي .

وقالت كروتما وهي تشعر باليأس:

—لا. إنني متأكدة أنه لن يحدث شئ من هذا، وأن الذي سيتم فعلاً هو الزواج فقط.

وقالت جكى في عزم أكيد:

—سوف ترين صدق كلامي.

—مهما يكن من شئ فإنني سوف لا أوافق إلا بعد سداد هذا الدين. والا فإنني سأنتهي

حياتي .

—لا. لا تقولي يا ابنتي مثل هذا الكلام.

—وماذا غير ذلك؟ إنه على وشك الإفلاس ونحن لدينا النقود، ولا نريد أن نعطيه حقه.
وأنت أيضا يا أمي غير مهتمة بهذا الأمر.

وأقسمت جكي أنها تسعى بجد لسداد حق فريكوتي في أسرع وقت.

ثم قالت كروتما:

—إنني سأصرح لأبي بكل شيء.

—لا. لا تفعل ذلك يا ابنتي.

وأضافت كروتما بعد قليل:

—الآن تريدون أن تزوجونني. وبعد الزفاف إذا اعترض فريكوتي طريقنا إلى بيت
الزوجة حتى نسدد له دينه، فماذا تفعلون إذن؟

ولم يخطر ببال جكي مثل هذه الاحتمالات من قبل وسألت كروتما وعلى وجهها علامات
القلق والاضطراب.

—ولماذا يعترض طريقك؟

—لأنه أعطى المبلغ بناء على سؤالي له.

—ولكن سؤالك كان على سبيل المزاح.

—من قال هذا؟

وبدأت صورة اعتراض فريكوتي طريق كروتما وزوجها تتجسم في ذهن جكى. ففريكوتي قد أصبح الآن مفلسا ويائسا، وليس ببعيد أن يقوم بأي مغامرة بغية التخلص من المأزق الذي هو فيه.

ثم قالت كروتما بعد قليل:

—سأتكلم مع والدي هذه الليلة في الأمر.

—أنصحك ألا تفعلي.

—سأقول له.

وأخذت جكى تؤكد لها بأنها ستعمل جاهدة لسداد هذا الدين قبل إتمام الزواج.

وأخبرت جكى جنيان كنجي بأن كروتما لا تمانع في الزواج. ولكنها لم تستطع أن تفصح له عن شرط كروتما لا تمامه. وهل كان في وسعها أن تفصح له عن هذا الشرط؟

وما كانت موافقة كروتما على الزواج ذات أهمية لدى جنيان كنجي.

وما تستطع جكى أن تلح على جنيان كنجي في سداد الدين لفريكوتي، وهي تعرف أن تجارة الأسماك راکدة وأن القلق قد ساد بين الصيادين والتجار في الساحل كله. كما أن تجارة الأسماك المجففة كاسدة في المدن الأخرى. وقد خسر فريكوتي فعلا ألف روبية في تجارته.

وحدث تغير ملحوظ في خلق كروتما وتصرفاتها، فهي قد بلغت سن الرشد وأصبحت تفهم الأمور على حقيقتها، كما بدأت تنتشج على الكلام مع فريكوتي وكانت تترقب فرصة مناسبة لتتحدث إليه في أمور عديدة.

وذاًت يوم تم اللقاء بينهما وقد كانت داخل سور منزلها وكان هو خارجه. وبدأ الحديث بينهما وكان حديثاً جدياً خلافاً للأحاديث التي جرت بينهما من قبل. وسألت فريكوتي:

—إنني أعرف أن تجارتك كاسدة هذه الأيام، أليس كذلك يا كوشومودالالي؟ ولم يكن فريكوتي يتوقع بداية للحديث بهذه الطريقة، فلم يقل شيئاً. ثم أضافت كروتما:

—إنى سأرد دينك يا مودالالي عما قريب.

ورد فريكوتي قائلاً:

—إنك لم تأخذي مني شيئاً يا كروتما!

—مهما كان الأمر فأنا المسؤلة عن رده.

—وكيف ذلك؟

—هو كذلك يا مودالالي، وكل شئ بعد هذا.....

وماكان فى استطاعتها أن تواصل الحديث وكأن شيئاً يسد حلقها، وخارت قواها، وترقرقت عيناها بالدموع. ولكن فريكوتي أكمل حديثها:

—وبعد ذلك سيتم زواجك، أليس كذلك؟

وتساقطت الدموع من عينيها.

وواصل فريكوتي كلامه:

وهكذا تريدان أن تنقطع العلاقة بيننا؟

وكان لهذا السؤال وقع السهام على قلبها وهل كان فريكوتي يعرف حقيقة موقفها؟ وأدرك فريكوتي أنها مغلوبة على أمرها. ولكنه كان يتوقع منها جواباً على سؤاله.

وقالت كروتما وما زالت الدموع في عينيها:

—لا. لا أعني ذلك يا كوشومودالالي. فأنا أتمنى لك كل خير.

وقال فريكوتي وعلى شفثيه ابتسامه تهكمية:

وهل سأكون بخير يا كروتما بعد ذلك؟

وفهمت كروتما معنى كلامه جيدا. وأنه سوف لا يشعر بسعادة بعدها.

ولم تتحمل أعصاب كروتما هذا الموقف، فانسحبت مسرعة.

ومكث فريكوتي برهة ثم انصرف.

وعاد جنيان كنجي مساء ذلك اليوم مسرورا وقال لزوجته:

—إن بالاني لا يريد شيئا من المال من جانبنا.

ولم تصدق جكي هذا الكلام وسألته:

—وكيف ذلك؟

—إنه سيتزوج كروتما بدون مقابل.

وحملت جكي في وجه جنيان كنجي مندهشة. فقال:

—أقسم بالله البحر أنه قال ذلك.

وقالت جكي:

—حتى لو قال ذلك، أليس حقا علينا أن ندفع لا بنتنا شيئا؟

واستعجب جنيان كنجي من كلامها. فإذا كان شخص يقول إنه لا يريد شيئا من المال فلماذا

يجبرونه على قبوله؟

وقالت له جكي بلهجة حادة:

—إنه شاب طيب ولعلك أنت الذي حملته على أن يقول ذلك.

وأجاب جنيان كنجي على الفور:

—أوكد لك أنني لم أقل له شيئاً.

وقالت جكى:

—وما هي الفائدة من جمع المال؟

—وأين هو؟

—لا بد أن ندفع شيئاً من أجل ابنتنا.

—وإن كان هو لا يريد؟

وواصلت جكى كلامها:

—إنك تهتم الآن بتأثيث المنزل وشراء الأسرة والحشايا الفاخرة لتتمتع بها في هذا العمر، ولكن يجب أن تعلم أن عليك واجبات كما لك حقوق في هذه الحياة.

ثم أردفت قائلة، غير مبالية بسلطته الزوجية:

—لقد جمعت كل هذا المال بفضل مساعدتى لك.

وقال جنيان كنجي مبتسماً لتهدئة ثورتها:

—لا تخافي، فسأشتري لك سريراً جميلاً ونستمتع سوياً.

وازدادت ثورة جكى وارتفع صوتها، وخاف جنيان كنجي أن يسمع الجيران هذا الحوار ويعرفوا حقيقة الأمر. وخرج من البيت قبل أن يستفحل النقاش. وخرجت كروتما من غرفتها

وقالت:

—إني لا أريد أي مال يا أمي.

—وكيف ذلك يا ابنتي. إنه من العيب أن تذهبي إلى بيت زوجك بدون مال. ولا بد أن يكون لك رصيد خاص.

وقالت كروتما بعد لحظة صمت:

—أنتم سترسلونني الى حيث لا توجد لي حماة ولا صهرات، فلماذا تخافون من العيب؟

وجعل هذا الكلام جكي تسائل نفسها: كيف ترسل ابنتها الى حيث لا يوجد أقارب لزوجها. ولكنها قالت:

—أليس هناك جيران ومعارف؟

—وما لنا والجيران. ثم أضافت:

—أنا مستعدة للذهاب بدون مال ومع أي شخص وإلى أي مكان. ونوفر هذا المبلغ ونعطيه لكوشومودالالي.

ثم أردفت بعد قليل بانفعال:

—إنه قد أفلس. ولا أستطيع أن أذهب وقد ضيعته. وإن ذهبت فإنه سيموت. ولكن هل فهمت جكي المغزى العميق لهذا الكلام؟ ولو فهمته لكانت وجهت إليها عدة تساؤلات. أو أنها فهمت وتجاهلت؟

وكررت جكي وعدها للسعى في سداد دين فريكوتي ولكن كروتما صرحت بأن أباهما لن يسدده.

فسألتها جكي:

—وماذا باستطاعتي أن أفعل انن؟

—لا بد أن تتصرفي. ولو بسرقة من المال الذي يختزنه والدي.

ولكن جكى لم تتعود على شئ من هذا قبل ذلك، فكيف تجرؤ على هذه الفعلة؟

ولما رأت كروتما آثار الخوف بادية على وجه أمها سألتها:

—هل أنت خائفة من ذلك يا أمي؟

نعم إنها خائفة ولهذا فهي لم تستطع أن توفي بوعدھا لكروتما.

وكان جنیان كنجي يكسب مبالغ ضخمة في موسم الجمبري فلو كانوا قد عملوا حسابهم في تلك الأيام على أن يأخذوا كل يوم شيئاً من دخله، لاستطاعوا أن يدبروا مبلغ فريكوته بدون أن يشعر جنیان كنجي.

وفي اليوم التالي بدأت في تنفيذ هذه الخطة.

ولما ذهب جنیان كنجي إلى البحر، فتحت البنت والأم صندوقه، وأخرجتا منه مبلغاً ضئيلاً. وكان الخوف يساورهما طوال اليوم. وفي المساء عاد جنیان كنجي ووضع مكاسبه في الصندوق كالمعتاد.

وسألته جكى على خلاف العادة:

—كم حصلت اليوم من بيع السمك؟

—ليس هناك سعر متحسن الجمبري.

—ولكن كم حصلت؟

—ولماذا تريد أن تعرفي ذلك؟

وهكذا كانت الأم والبنت تأخذان مبلغا صغيرا كل يوم من مدخرات جنيان كنجي. وذات يوم أخرج جنيان كنجي الصندوق وعدّما فيه من نقود، وكانت كروتما وأمها خائفتين من أن يتنبه إلى النقص في النقود. ولم تطمئنا إلا بعد أن أعاد الصندوق إلى مكانه.

وسألت كروتما أمها:

—كم بلغت حصيلتنا الآن؟

وكان كل ما تحصلنا عليه هو مبلغ سبعين روبية، كما حصلنا على عشرين روبية أخرى من بيع بعض الأسماك المجففة، وقررنا دفع هذا المبلغ على ضالته إلى فريكوتي.

الفصل التاسع

تم تحديد موعد زواج كروتما من بالاني، وما كان هذا يحتاج إلى مشاورات واستعدادات كثيرة، لأنه وحيد وليس له أقرباء، لكي يؤخذ رأيهم، أو تراعى موافقتهم، وأخبر بالاني صاحب القارب الذي كان يعمل فيه، وذهب هو وجنيان كنجي الى زعيم ساحل قرية بالاني، وقدموا إليه التحيات واستأذناه في إتمام عمل مراسم الزواج، كما أن جنيان كنجي استأذن زعيم ساحله، فزال من ذهنه أن جنيان كنجي غير مهتم بتزويج ابنته. ثم قال جنيان كنجي لزوجته:

—ألا ترين كيف أن جنيان كنجي مهتم، وقد اتخذ جميع الإجراءات اللازمة بنفسه لتزويج بنتك؟

وردت عليه فورا:

—ولكن من هو العريس الذي اخترته؟ شاب مسكين ليس له أهل ولا بيت ولا عنوان، أليس كذلك؟

فلعنها جنيان كنجي بشدة ثم قال:

—ماذا تعرفين أنت عنه، إنه عامل ماهر وشاب قوي ذو أخلاق فاضلة وخصال حميدة ولا يوجد له نظير في الساحل كله.

ولم تعارض جكي كلامه ولكنها قالت مبتسمة:

—ثم تتاج لنا الفرصة لنستمتع سويا.

—نعم. سأتمتع مثل بالي كونان، سواء أكنت جادة في كلامك أم مازحة.

وقالت جكي:

—ولكننا لم نرد بعد مبلغ ذلك الولد المسلم.

فقال جنيان كنجي وكأنه مستاء من ترديد جكي لهذه المطالبة في كل مناسبة:

—إنه أصبح من عادتك أن تثيري هذه المسألة كلما تكلمنا في أمر زواج كروتما!

وبدا عليها الاضطراب، وماكنت تظن أن جنيان كنجي سيوجه إليها مثل هذا السؤال. وكان من الطبيعي أن تتذكر فريكوتي كلما أتى ذكر كروتما. ولكن جكي اصطنعت جوابا جديدا وابتسمت، وقالت:

—إننا الآن على وشك الشروع في حياة زوجية سعيدة مثل الشباب، وبالييتنا أنهينا هذا الالتزام أيضا حتى يكون فكرنا مستريحا.

لم ينس جنيان كنجي هذا الالتزام. ولكنه دائما يؤدي التزاماته شيئا فشيئا حسب خطة خاصة وضعها في ذهنه. وقال لزوجته جديدة:

—اسمعي. ليس لنا أبناء. وأنا أفكر في أن نتخذ بالاني ابنا لنا.

وردت جكي مزحة:

—وعلى كل حال فسيصبح لنا بمثابة الابن الأكبر.

ثم بين لها جنيان كنجي كل شئ عن بالاني. ورأى أن يسكنه معه بعد الزوج، وإذا أقام بالاني معه فسيكون عوناً له على تشغيل قاربيه بدون الاعتماد على الآخرين، ثم استوضح رأي جكي في هذا الأمر، وعمّا إذا كان لها اعتراض على ذلك. ولكنها سألته:

—وهل يوافق هو على ذلك؟

—لم لا....؟

وهل يرضى شاب من الصيادين أن يقيم في بيت زوجته بصفة مستمرة؟

وفكر جنيان كنجي ملياً ثم قال:

—إنه سيوافق على ذلك. فهو شاب طيب.

—إذن لا بأس. ثم أضافت:

—هل أقيمت في بيتي يومين متتاليين بعد زواجنا؟

—كان أبي وأمي على قيد الحياة.

وعلمت كروتما بقرار أبيها، وأبدت لأمها معارضتها الشديدة في هذا الأمر.

وقالت الأم معاتبة:

—إن والديك قد اختارا لك زوجاً مناسباً واتخذوا الإجراءات اللازمة لإسعادك في حياتك

الزوجية. ولم يكد هذا الشاب يضع قدمه في بيتك حتى بدأت تتنكرين لوالديك وتعارضين

رأيهما. وهل يصح هذا يا ابنتي؟

ونفذت هذه الكلمات إلى أعماق قلبها. وما كنت تقصد أبدا معارضة والديها. فهي تكن لهما كل احترام وتقدير. ولا تشعر بأي إهانة من إقامة زوجها في بيت أبيها. بل إنها ستشعر بألم من فراقهما وفراق أختها بنجامي. ولكن الظروف تحتم عليها أن تقيم بعيدة عن هذا الجو وذلك المكان. وقالت متأثرة:

—ما كنت أقصد ذلك قطعا يا أمي، ومن لي سواكما؟ ومالت على أمها باكية، واحتضنتها جكي وهدأتها.

وماكنت جكي جادة في كلامها لهذا الحد. وماكانت تظن أنه يؤلم كروتما هكذا.

وقالت كروتما:

—إني لا أريد الإقامة بهذا الساحل مطلقا، وإلا فسندهب جميعا من هنا.

وسألته بصوت حنون:

—ماذا تقولين يا بنتي؟

وقالت كروتما في غاية التأثر والانفعال:

—إذا أقمت بهذا الساحل.....

—ماذا سيحدث يا ابنتي؟

وأدركت جكي أن كروتما تريد أن تقول شيئا هاما، وأن حدة كلامها هي التي جعلتها تبكي شديدا. وما كانت تدري أن كلامها سيسبب انفعالا وأسى بالغين في قلب كروتما. وقالت متنهدة:

—إذا أقمت هنا فسيفسد الساحل يا أمي.

وامتلأت عينا جكي بالدموع وقالت:

—لا تقولي هذا يا ابنتي.

—لا بد أن أترك هذا الساحل يا أمي. هذا هو أمني الوحيد، ولا يحصل لي اطمئنان إلا به.

وهل لكروتما أحد تفصح له عما في قلبها غير أمها؟

وهل تستطيع أن تصرح لها هي أيضا بكل ما يدور في خلدتها؟

وقالت جكى حينذاك:

—إني أخاف أن يكون ذلك الشاب المسلم قد سحر بنتي.

وأنكرت كروتما عليها ذلك القول وسألت أمها:

—هل كان في هذا الساحل بنات من هذا القبيل؟

—ماذا تقصدين يا بنتي؟

—أنت يا أمي تعرفين أكثر مني.

—يا إله البحر! إن ابنتي قد أصبحت مجنونة.

—لست مجنونة يا أمي، ولكني أسألك عما إذا كانت هناك فتاة في هذا لساحل قد وقعت في

الورطة التي وقعت فيها.

ولم تستطع كروتما أن تفصح بكل ما في ذهنها من المعاني في عبارات واضحة، تفهمها أمها بسهولة. وهي تسألها عن فتاة من طائفة الصيادين وقد أحببت شابا من طائفة أخرى. وحبها له في الازدياد يوما بعد يوم. ولها قصة غرام تشتد مظاهرها كل لحظة من ف حياتها. وهل عرف هذا الساحل قصة غرام من هذا القبيل؟ وهل أحب شاب من طائفة أخرى فتاة من الصيادين ثم افنتن بها بمجامع قلبه؟ وهل سمعت رماله من قبل أغنية عاشق مسحور بنار الحب؟ وما هي قصة ذلك العاشق؟

هذه هي الأسئلة التي خطرت ببالها حينذاك. ولكن هل في وسعها أن تسأل أمها عن كل هذا؟ لا، أبداً.

وربما شهد هذا الساحل قلوباً احترقت بشموع الحب، ومشى على رماله العاشقون والعاشقات في ظلام الليل الدامس، أو في نور قمره الساطع المتلألئ وفي ظلال قواربه المركونة على الرمال. ورب عاشقة قد تزوجت من غير عشيقها تحت وطأة الظروف والتقاليد، وعاشت طوال حياتها وهي تحمل في طيات نفسها قلباً يحترق وحباً يتوقد على مدى الأيام. وربما وضعت حداً لحياتها بنفسها أو.....أو.....إلخ.....

ولكن كروتما مازالت تعتقد أنها هي الفتاة الوحيدة التي تعاني هذا الحظ المشؤوم. وأنها هي الوحيدة التي أحبت شاباً من غير طائفاتها. وعلى الأقل أنها هي الفتاة الوحيدة التي تعاني من نتائج ذلك الحب العذرى.

وسألته جكي مندهشة:

—هل وقعت في أي مازق يا بنتي؟

ولم تفهم كروتما مقصد أمها. وأضافت جكي:

—إن البنات البالغات لا بد أن يحفظن أنفسهن جيداً.

ولم تدرك كروتما خطورة ما تقصده جكي. ولكنها قالت في براءة:

—إنني لم أفسد يا أمي! وكان ذلك جواباً ذا مغزى بالغ. وإنما كان غرضها أن تحذرنا فقط من الوقوع في أي نوع من المفاسد. وتتوهم أن غولاً يفتح فاه ليبتلعها. وأنها على شفا حفرة من الهلاك.

ووعدها أمها بأنها ستنتقدها من هذا الخوف. وسترسلها إلى بيت زوجها في نفس اليوم الذي يتم فيه الزفاف.

واشتهر خبر غطوبة كروتما في الساحل. وأصبحت موضعاً لاهتمام جاراتها.

وجرت التقاليد على أن الجارات الكبار يقمن بإسداء النصائح والواجبات التي يجب اتباعها في بيت الزوجية. وإذا حصل خطأ من فتاة متزوجة فإن الناس يعاتبون جاراتها.

وقالت نلابن لكروتما:

—يا ابنتي. إننا نريد أن نخول إليك الآن رجل.

وحسب المعتقدات الشائعة لديهم أن الرجل هو الذي يخول إلى المرأة بالزواج.

وقالت كالي كنجي:

—إن رجالنا يا ابنتي يعملون يوميا وسط الأمواج المتلاطمة.

وأذرتها كنجي بن:

—إن قلب المرأة رقيق يا بنتي، فلا بد أن تكوني حذرة دائماً.

وهكذا وجهت كل منهن نصيحة إليها. وقد سمعن هذه النصائح في شبابهن من الجارات. والآن قد أتاحت لهن الفرصة لإسداها إلى الأخريات.

وسمعت كروتما هذه النصائح بأذن واعية، وامتلاً بها قلبها. ولكن سؤالاً كان يتردد في ذهنها. وهو الذي كانت تريد أن تسأل عنه أمها: هل شهد هذا الساحل قصة امرأة أحببت شاباً وبادلها نفس الحب، ثم تزوجت من رجل آخر؟ وماذا كانت عاقبة تلك المرأة؟

وشغل هذا السؤال ذهنها. ولكنها لم تستطع أن توجهه إلى أحد بصراحة. وخيل إليها عدة مرات أن روح تلك المرأة الخائبة تطير عطشى في ذلك الساحل وسمعت في إبان عزلتها كأن قصة تلك المرأة يدوي لها بها مجهول من السماء.....وقد عاشت من قبل في بساط هذا الساحل أمهات وجدات قد حملن قلوباً محترقة مثل ماتحمل الآن. وها هي القصص

ترويها الآن أجواء هذا الساحل. وترى آثارها بادية على رماله، وتضاريس شاطئه، وقد اختلطت بها أشلاء أولئك الأمهات والجدات فهي تضطرب بسببها.

وذات يوم سألت كروتما نلابن :

—يا عمتي. هل كانت في هذا الساحل نساء انحرفن عن الطريق القويم؟

وأجابت نلابن:

—نعم، قد اشتهرت في الساحل قصص بعض النساء اللاتي انحرفن عن الطريق السوى. وأن موضوع قصيدة شعبية شائعة بين أهالي الساحل، قصة امرأة قد فسدت أخلاقها، وكانت نتيجة فسادها أن غضبت البحر الام. وابتلعت أمواجه كثيرا من أهالي الشاطئ. وانتشرت الأفاعي السامة في الساحل كله. وأحاطت بالقوارب حيوانات بحرية متوحشة.

وأسمعت نلابن كروتما بعض أسطر تلك القصيدة، وكانت قصة غرام، يمكن أن تتكرر قصص مثلها في الساحل بمرور الأزمان. وتوضع قصائد مماثلة عبرة للأجيال القادمة.

وقالت نلابن:

—هذه هي شريعة البحر يا ابنتي.

وسألت كروتما:

—وإلى الآن.

—بل أكثر. فليس في الساحل اليوم العفة التي كانت من قبل، حتى رجال الساحل أنفسهم قد أصبحوا اليوم منحرفين عن الأخلاق المتوارثة.

ومع انتشار الحياة العصرية الحديثة تغيرت أخلاق وعادات الرجال والنساء في الساحل. ولكن الكبار مازالوا يوجهون النصائح التقليدية إلى الفتيات الصغيرات في الساحل، ويقصون عليهن قصص غضب البحر الأم بسبب فساد بناته.

وسأل بنات الجيران كروتما:

—هل ستفارقيننا؟

وأرادت كروتما أن تسدى إليهن بعض النصائح المفيدة. وأخبرتهن بأن لا يختلطن مع الشبان كثيرا في الساحل، وأن يحافظن على عفافهن وطهرهن.

وكانت كروتما على وشك مغادرة الساحل إلى بيت زوجها، ولا تدري شيئا عن أحوال المكان الجديد الذي ستنتقل إليه.

أما ذكريات هذا الساحل، فستظل أبدا في قلبها و عقلها. فهو مسقط رأسها، قد ترعرعت في أحضانه وأصبح جزاء لا يتجزأ من حياتها..... و كيف تنساه؟!!

ودعت كروتما كل شئ في الساحل. وسمعت فريكوتي يغني. وكان القمر يملأ الأفق، والبحر هادئا، وكانت الرياح المنسابة تنقل أصداء غنائه إلى أسماعها أنى توجهت. وتصورت أن هذا الغناء يردده الساحل كله توديعا لها، وخيل إليها أن صوت الحياة يدعوها. وكان صداها قد هز مشاعرها، فقامت من مضجعتها وهي ترى صورة فريكوتي ماثلة أمامها، وهل كان فريكوتي فعلا يناديها؟ وهل كانت لديه وسيلة أخرى يطفئ بها حرارة قلبه غير هذا الغناء؟.... وسيظل يردده طوال حياته وإن لم يكن هناك أحد يستمع إلى غنائه.

وكانت أمها غارقة في النوم، ولم يعد أبوها بعد من عمله وكان الساحل خاليا من المارة.

وساورت قلبها فكرة الخروج للقاء فريكوتي حيث يغني، وكان قلب فريكوتي يكاد يتقطر مما به من الأشجان ولواعج الحب، وصوت غنائه يعلو هنيهة وينخفض أخرى، وكلما همت

كروتما با لخروج ترد إلى ذاكرتها تلك الأساطير التي سمعتها من الجارات عن قصص النساء الفاسدات في الساحل، وعن غضب البحر الأم لذلك.

وهل كانت منهن امرأة سمعت عشيقها يغني في الساحل في مثل هذه الليلة المقمرة فخرجت إليه بدون أن تشعر؟ أو أن هذه هي التجربة الأولى التي يشهدها الساحل؟ وهل يغضب البحر الأم ويرسل أمواجه العاتية لتبتلع الشاطئ بمن فيه؟ وهل تنشر الأفاعي السامة في الساحل؟ وهل تحيط الحيوانات البحرية المفترسة بقوارب الصيادين؟

وتسربت إلى ذهن كروتما فكرة أخرى. فإنها ستغادر الساحل عما قريب، وقد ودعت كل معارفها وأصدقائها، ولكنها لم تودع بعد ذلك القمر المطل على الشاطئ بضوئه الفضي، كما أنها لم تودع البحر الأم الذي يتلألأ في ضوء القمر، وكذلك الموسيقى التي تنبعث من جوانب الساحل في مثل هذه الليالي القمراء، ولا سيما ذلك الملاك الذي أرسلته السماء لتزيد اللحن العذب. وربما أنها تسمع هذا اللحن بعد هذه اللحظات. ومن المتوقع أن يتوقف صوته من كثرة تردادها وأنه لا يعود إلى ترديده بعد اليوم.

كما أنه من المحتمل أن لا تتمكن بعد الآن من أن تستمتع بجو هذا الساحل في ضوء القمر الساطع.

وربما تكون هذه هي الفرصة الأخيرة التي تتيح لها ذلك. وكيف لا تنتهزها؟! فلتنهب مرة أخرى إلى ظلال القارب المكون على رمال الشاطئ، ولتنعم بمتعة تلك الذكريات الجميلة في ذلك المكان قبل أن تحرم منها نهائياً. فقد نشأت في هذا الساحل وقضت أيام طفولتها تلهو وتلعب على رمال شاطئه. وحينما كبرت عرفت الحب بين أحضانه، وبعد الآن ستصبح زوجة وفيه لصياد يعمل ليل نهار في أعماق البحر، ويواجه أمواجه العاتية وعواصفه الهوجاء. فلا بد من أن تحافظ على عفتها ونظافة سلوكها، وهي على أبواب حياة جديدة ذات مسؤوليات عديدة. ولعل هذه هي اللحظات الأخيرة التي تستطيع أن تستمتع بها في جو من الحرية. فلتنهزها إذن.

ولكن الخوف ساورها مرة أخرى. وهل تضمن السيطرة على مشاعرها حينما يتم اللقاء مع فريكوتي؟ أو أنها تنساق إلى ارتكاب أخطاء لا تعرف عواقبها؟ ولم يساورها من قبل مثل هذا الخوف.

وأرادت أن تطلب من فريكوتي أن لا يغنى بعدها وأن لا يحيي الليالي المقمرة في الشاطئ مرة أخرى. ورغبت في أن تتحدث إليه في أمور عديدة، وتطلب منه العفو إن كان قد بدر منها شيء يؤلمه.

وقامت كروتما من على سريرها وفتحت باب غرفتها رويدا رويدا. ونزلت إلى الخارج ومشت خلال ظلال شجر جوز الهند الباسق، ومتجهة ناحية الشاطئ.

وكانت السماء صحوا والقمر متألئنا. وتوقف صوت الغناء فجأة.....فقد مثلت معبودة فريكوتي أمامه دون أن يشعر أو يتوقع. وما كان مصدقا عينيه وتخيل نفسه في حلم، ولكنه أفاق من ذهوله بعد برهة وسألها بصوت خافت حزين:

—هل سترحلين يا كروتما؟

وهل كان يشغل باله سؤال غير هذا؟ ثم أردف:

—وهل ستذكريني بعد الرحيل يا كروتما؟

وكان فريكوتي يشك فعلا في ذلك. وواصل كلامه:

—حتي إذا لم تذكريني فإنني سوف أغني لك في هذا الساحل، ولو تقدم عمري وابيض رأسي وتساقطت أسناني فلن أتخلى عن ترديد الغناء.

وقالت كروتما بإشفاق:

—لا ياكوشومودالالي. لا بد أن تتزوج فتاة جميلة وتقضي معها حياة سعيدة بين أولاد كما وتصبح تاجرا مرموقا.

ولم يقل فريكوتي شيئاً. وأضافت كروتما:

— هذا هو الخير لي ولك. واستمرت في كلامها:

— سأرد إليك المبلغ الذي اقترضناه منك قبل أن أرحل. وإنني أتمني لك كل خير وسعادة
وإنني دائماً.....

ولم تستطع أن تكمل كلامها. وكانت تريد أن تقول إنها ستدعو له دائماً. ولكن هل تسمح
المعتقدات والتقاليد لا امرأة أن تدعو لرجل أجنبي غير زوجها؟ وتداركت هذا الأمر. ولكن
كلمة خرجت من فمها دون أن تشعر:

— وأني دائماً سأذكرك يا كوشومودالالي!

— ولم تذكريني يا كروتما؟ رجائي ألا تفعل ذلك.

وساد الصمت بعض الوقت حيث كان كل منهما غارقاً في الأفكار.....

وفي هذه اللحظات طارت فوق رأسيهما بومة خرجت من بين خوص أشجار جوز الهند،
بينما كان كلب من كلاب الساحل قد مر بالقرب منهما.

وكان هذان هما الشاهدين الوحيديين لهذا اللقاء.

وقال فريكوتي:

— وهكذا انتهت تلك الأيام التي قضيناها معا في الساحل نلهو ونلعب ونلتقط الأصداف من
على الرمال.

وأومأت كروتما بالموافقة. وأضاف فريكوتي:

— وأصبحت وحيدا في هذا الساحل.

ونفذت هذه الكلمات إلى أعماق قلب كروتما.

وواصل فريكوتي حديثه:

—ما كنت أتوقع أن كروتما تأتي لتستودعني، وأكمل كلامه قائلاً:

—حتى إذا سافرت بدون توديعي فسوف لا أشكو من ذلك. ولكن سأكون حزيناً.

وبكت كروتما وأخفت وجهها ببديها، فقال فريكوتي:

—لماذا تبكين يا كروتما؟ إن بالاني شاب طيب وذكي. وأضاف بصوت مختلج:

—وسيكون لك حظ سعيد.

ولم تستطع كروتما أن تتحمل أكثر من ذلك فقالت:

—لا تعذبني يا كوشومودالالي.

ولم يفهم فريكوتي معنى كلامها. وهل بدر منه شيء يؤلمها؟ فهو لم يقصد شيئاً من ذلك.

وقالت كروتما ببالغ الحزن:

—إنني أعرف أنك لا تحبني يا كوشومودالالي.

—ماذا تقصدين يا كروتما؟

وأقسم فريكوتي أنه لا يريد لها إلا كل خير وسعادة وقال:

—إنني سأجلس هنا وأغني لك دائماً.

وسأسمع غناءك في ساحل تريكونا بوزا.

—وسأغني حتى يبيح صوتي وينفطر قلبي وتنتهي حياتي.

—وسيحترق قلبي أنا أيضا رويدا رويدا حتى أقضي نحبي. ونظير روحانا في أجواء هذا الساحل عند ما يكون القمر ساطعا متلألئا.

وأجاب فريكوتي:

—نعم.

ولم يتكلم أحد منهما بشئ بعد ذلك. وانصرفت كروتما متجهة إلى البيت بخطى متثاقلة، بينما كان فريكوتي يراقبها ويتابع خطواتها حتى غابت، وتم الوداع.

الفصل العاشر

تمنت جكى أن يكون الاحتفال بزواج ابنتها احتفالا رائعا. وظن الجيران أيضا أن جنيان كنجي سيحتفل بهذا الزواج بكل مظاهر العظمة والأبهة نظرا لثرائه وكون كروتما كبرى بناته.

ولكن جنيان كنجي لم يستعد لذلك. وكل ما عمله هو شراء بعض الحلبي لكروتما، ولما تكلمت جكى معه في هذا الأمر عارض في ما تريد تحقيقه بحجة قلة المال، ونشب خلاف شديد بينهما. وكانت كروتما تتألم كثيرا من تنازع والديها من أجلها. وتمنت أن ينقضي ذلك اليوم بسلام وبدون مضايقة أحد. وهي تسبب المتاعب لكثير من الناس المعنيين بحياتها ورفاهيتها، ولا تدري ما الذي سيضمرة المستقبل لها ولهم.

واستأذن جنيان كنجي من زعيم الساحل، وقدم إليه الهدايا اللازمة. ولكن لا بد أن يحضر بنفسه مراسم الزواج الرسمية. وقد وعد جنيان كنجي بحضوره مبكرا.

وحضر زعيم الساحل قبيل موعد بدء مراسم الزواج وكان الاستعداد أحسن مما كان متوقعا. وأتى جماعة تتألف من خمسة عشر شخصا من "تريكونابوزا". ولم تحضر واحدة من النساء من جانب بالاني، فليست له قريبة تستطيع أن تصحب عروسه إلى عش الزوجية وكان ذلك الأمر موضوع حديث نساء الساحل. وعرف الجميع أن بالاني يعيش وحده. وليس

له أحد من أفراد عائلته على قيد الحياة. ولكنهم ماكانوا يعرفون أنه لا توجد امرأة تمتُّ إليه
بصلة قريبة أو بعيدة. وشعرت جكى أيضا بالامتعاض من هذا الاعتبار.

وقالت نلابن بدون أن تشعر:

ألا ليت هؤلاء القوم قد أحضروا معهم فتاة ولو من جيرانهم!

ووافقت كالي كنجي على هذا الرأي. وسألت كنجي بن:

—وكيف ترسلون بنتنا وحدها مع هؤلاء الرجال؟

وسألت لكشمي:

—ثم ما هي الحيلة؟

وقالت نلابن:

—لا بد أن تأتي النساء مع العريس لكي يصطحبن العروس. فهذه هي العادة المتبعة في
كل مكان.

وعلمت جكى بهذه الأحاديث التي جرت بين الجارات وأدركت جيدا مغزاها. وجاء موعد
دفع العريس الصداق، وأما هذا المبلغ فإن زعيم الساحل هو الذي يحدد مقداره ثم تتبعه سائر
المراسم لإتمام الزواج.

ودعى الزعيم بالاني وأصحابه وقال لهم حسب التقاليد المتبعة:

—ادفعوا خمسة وسبعين روبية.

واندهش أصحاب بالاني، فما كانوا يتوقعون دفع هذا المبلغ الضخم. فإن هذا المبلغ لا
يطلب إلا في زيجات أصحاب الشباك.

وصمت الجميع لفترة قصيرة. ثم سأل "أشود هان" رئيس جماعة بالاني بأدب ورفق:

—أرجو أن لا تسيء الظن أيها الزعيم. فإننا لا نعارض رأيك، ونحن أيضا صيادون،
وجئنا من ساحل مثل ساحلكم.

فقال زعيم الساحل:

—لا بأس. قولوا ماذا تريدون. قولوا بصراحة.

وقال أشودهان:

—إن تحديد مقدار الصداق والأمر بدفعه من سلطات سيادتكم، ولكن من العادة

المتبعة أن يستشير الزعيم أصحاب العريس قبل تحديده.

وسأل الزعيم وهو مستاء من هذا الاعتراض الذي وجه إليه:

—ما هو الداعي إلى الاستشارة؟

ولم يتخلّ أشودهان عن موقفه. ففي ساحله أيضا زعيم ذو سلطات وجاه. وقال :

—قطعا هناك داع للاستشارة.

—إنني أسأل: ما هو هذا الداعي؟

وقال أشودهان بصراحة ووضوح:

—يبدو أنك لا تريد أن يتم هذا الزواج على ما يرام.

وغضب الزعيم من ذلك وسب أشودهان، وما كان يستطيع أن يصبر على هذه التهم
الموجهة إليه.

وقال أشودهان:

—إن زعيم الساحل إذا حدد المبلغ الذي سيطلب تقديمه من العريس قبل أن يعرف مقدرته المالية فربما ينهار الزواج وتتفشى البلبلة في الأفكار. وهذا هو الذي كان يقصده بكلامه.

وسألهم الزعيم حينئذ:

—هل أنتم مفلسون إلى هذا الحد؟

ولم يردوا بشئ. وصبروا على هذه الإساءة التي وجهها إليهم الزعيم احتراماً لمكانته، وتقديراً لكبر سنه. فهم ملزمون باحترامه كما يحترمون زعيم ساحلهم.

وقال الزعيم لجنيان كنجي:

—هل تزوج ابنتك يا جنيان كنجي لشخص لا يستطيع أن يدفع خمسة وسبعين روبية؟

ووقع هذا السؤال موقع الاستحسان في نفوس نساء الساحل وكيف تزوج فتاة جميلة لشخص لا أهل له ولا بيت؟ وكن يلمنه بقلوبهن على هذا الاختيار. ولكنهن لم يجروئن أن يصارحنه برأيهن.

ولم يقل جنيان كنجي شيئاً ولم يجب على سؤال الزعيم وقال أشودهان:

—هذا صحيح يا والدي. ان بالاني شاب مسكين وليس أحد من أقاربه أو أهله. وكلنا من أهالي الساحل، ولا نمت إليه بصلة قرابة. ولهذا قلت إنه كان من المستحسن أن تسأله أولاً عن المبلغ الذي يطلب منه دفعه كصداق لزواجه. ثم شرح أشودهان أحوال بالاني كلها.

وأبدت النساء الحاضرات عطفهن على كروتما. كما أبدين أسفهن على سوء حظها. حتى قالت بعض النسوة متممة: كان من الخير لجنيان كنجي أن يلقيها في البحر من أن يرتكب هذا الظلم.

ولكن زعيم الساحل لم يتخل عن الموضوع وأردف:

—كل هذا صحيح. ولكن هل سيحدد هذا المبلغ على أساس الحالة المالية للعريس؟

وقال أشودهان:

—لا.

فرد الزعيم:

—إنها فتاة جميلة. وإن كنتم تريدونها فلا بد أن تقدموا الصداق المناسب.

وأراد أحد الحاضرين مع العريس أن يتكلم. وكان مستاءاً من كلام زعيم الساحل من البداية. وقبل أن ينطق بكلمة قال له كبيرهم:

—ليس لك الحق أن تتكلم بشيء، أنني سأسوى الأمر مع الزعيم المحترم. فالتزم الصمت ولم يقل شيئاً.

ولكن زعيم الساحل ثار غضباً وقال مخاطباً ذلك المتمرّد من أصحاب العريس:

—قل بصراحة ما كنت تريد أن تقوله.

وربما كان يريد أن يقول ذلك من قبل وأخفاه في نفسه حتى يفصح عنه في الوقت المناسب. وظن أن هذا الوقت قد حان فقال بوضوح كأنه يتحدى هذا الزواج من أساسه:

—لا تتحدث كثيراً عن فضائل البنت.

وسأله الزعيم غاضباً:

—ماذا تريد أن تقول في شأنها؟

—أنتم تنظمون هذا الزواج لكي لا تجلب المصائب لساحلكم. ولا يهتمكم أن تجلب الهلاك لساحلنا. ورغم هذا تطلبون من الشاب المسكين مبلغا ضخما لم يجر العرف به من قبل. إن هذا لشئ عجاب!

وذهل الجميع من هذا الكلام، وخرت جكى مغشيا عليها وحملت كروتما أمها وأخذت تبيكي: أماه. أماه.

وهرع الجميع إلى الداخل فوجدوا جكى مغمى عليها.

وأخذ جنيان كنجي يجري هنا وهناك كالمجنون، وظن أن زوجته تحتضر، وأن الزواج على وشك الانهيار.

وعاتب بعض رفاق العريس ذلك الرجل المتمرد ولاموه بشدة على إثارة مثل هذه المشاكل في هذه اللحظات الحاسمة من حياة فتاة وفتى. ولكن الرجل لم يبد أي أسف لما بدر منه ولكنه استمر في كلامه بهذا الأسلوب:

—انني لست جديدا في هذا الساحل، وقد أتيت هنا مرات عديدة، وأعرف كل شئ عن هذه البنت.

وأحس الجميع أن هناك سرا خطيرا في حياة كروتما. ولكن لم يحاول أحد أن يعرف هذا السر. وحاول الجميع أن يسكتوا ذلك الثائر المتهور. فهو قد أتى ضيفا على أهالي ساحل آخر. وليس من المناسب أن يثير مثل هذه المشاكل في هذا الوقت بالذات.

وقال له أشودهان وهو يعرض على نواجذه:

—بحق السماء أن تسكت أنت أيها الرجل.

وكانت كالي كنجي ونلابن بجوار جكى. وفتحت عينيها ومدت يديها إلى كروتما وهي تقول بصوت منخفض "بنتي" وغابت عن الوعي مرة أخرى.

وبدأت النساء يمرضن جكى ويهدئن من روع كروتما.

ولمّا أفاقت جكى من إغمائها، دعا جنيان كنجي بالاني وأشودهان وقال لهما سرا: إنه مستعد لأن يعطي خمسة وسبعين روبية لبالاني حتى يقدر أن يقدمه كصداق للزواج فوافق كل من بالاني وأشودهان على ذلك.

هكذا دخل بالاني سرادق مراسم الزواج ومعه المبلغ المطلوب للصدّاق. وهدأ الجو. ونسي الجميع ما قاله المتمرد "بابو" وقدم العريس الصداق إلى زعيم الساحل وأخذ منه قسطه التقليدي، ثم قدم الباقي إلى جنيان كنجي. وتمت المراسم الأولى كلها في الوقت المناسب حسب التقاليد الشائعة فيما بينهم برغم المناوشات المذكورة.

واستردت جكى وعيها ولكنها شعرت بإعياء شديد. وجئ بالعروس إلى السرادق، وقام الرئيس بإتمام مراسم الزواج وربط العريس "تالي"⁽¹⁾ "في عنق عروسه. وانتهى تقديم الأزياء التقليدية. وأخذ جنيان كنجي يد بالاني ووضعها في يد كروتما. وعندما أخذ جنيان كنجي يد كروتما لتمدها إلى بالاني، أحس كأنها تصلبت قليلا أو أنها جذبتها إلى الوراء. ويبدو أنها لم تأخذ بيد بالاني وإنما يده هو التي استقرت في يدها.

ولا يدري أحد بما كان يدور في ذهن كروتما في هذه اللحظات. وكانت تنفذ كل ما يقال لها كألة صماء.

وقامت جكى بمساعدة النساء، واشتركت في عمل المراسم ولكن قواها خارت وأغمى عليها مرة أخرى.

وقالت النسوة: إن هذا كله من أمارات سوء الطالع. وعاد إلى جكي وعيها بعد قليل. وأشار عليها الحاضرون بالاستراحة التامة، ومنعوها من الاشتراك في أي شيء من مراسم فرح اليوم.

¹ التالي : عبارة عن سلسلة ذهبية يربطها العريس في عنق العروس يوم الزفاف

ولما حان وقت تناول الطعام، حدث شغب آخر بين النساء. وكان ذلك بسبب النقاش حول الطبقة التي ينتمي إليها بالاني. وخرج بعض النساء من الحفل بدون تناول الطعام. وغادر بابو الذي خلق هذه المشاكل كلها المكان غاضبا.

ولم يتأثر جنيان كنجي بشئ من هذه المشاغبات. واعتبر ذلك نوعا من سوء حظه، بيد أنه قبل قدم زعيم الساحل والتمس منه أن ينقذه من هذا المأزق، فإن جكي تلازم الفراش ولا تقدر على القيام بأي عمل في البيت. وكروتما ستغادر بيتها لأول مرة الى مكان جديد.

وطلب من الزعيم أن يشفع لدى أصحاب العريس في أن تبقى كروتما وبالاني بعض الأيام في بيته حتى تشفي جكي من مرضها. فاذا ذهبت كروتما فسوف لا يكون هناك من يشرف على زوجته المريضة وعلى شئون منزله. وزاد قلق جنيان كنجي وتغيرت أحواله. ولما رأى الزعيم آثار الاضطراب الشديد على وجه جنيان كنجي قال:

— هذا صحيح يا جنيان كنجي. ولكن إذا أصروا على أن يأخذوا معهم عروسهم اليوم إلى بيت زوجها فكيف تمنعهم من ذلك.

وقال جنيان كنجي:

— إذا تكلمت معهم في هذا الموضوع يا والدي فإنهم سيوافقون على ذلك.

وضحك الزعيم وقال:

— إنهم من صيادي تريكونابوزا وهم أناس مشاكسون. ألم تر ذلك بعينيك الآن يا جنيان كنجي؟

ولم يكن لجنيان كنجي ملاذ إلا الزعيم. وهو يعتقد أن الزعيم يستطيع أن يقنعهم بتأجيل سفر العروس بعض الأيام.

وبعد الفراغ من تناول الطعام، أعلن أشودهان أنه قد حان وقت انصراف العريس وصحبه.

أما كروتما فما زالت تجلس بجوار أمها تذرف الدموع من عينيها.

وتظاهر جنيان كنجي بأنه مشغول جدا وأخذ يذهب ويجيء هنا وهناك.

واستأنذ أشودهان مرة أخرى لانصراف العريس وصحبه، ولما كرر الطلب للمرة الثالثة لم يكن أمام جنيان كنجي أي مجال للتحايل. وقال الزعيم حينئذ لأشودهان:

—هل من الضروري أن تأخذوا العروس معكم اليوم؟

وكان ذلك سؤالاً مفاجئاً لهم. ولم يرد أشودهان بأي جواب لفترة من الوقت. وكان الزعيم منتظراً جوابه.

وبعد فترة سأل أشودهان:

—ولماذا تسألون هذا السؤال؟

—وما هو الحرج فيه؟

—وهل نترك البنت هنا بعد إتمام جميع مراسم الزواج؟!

وكان الزعيم يعرف أن موقفه ليس سليماً، وليس له الحق في إجبارهم على ذلك. وبين لهم أحوال هذا البيت. وهم أيضاً يعرفونها. وقال:

—رجائي أن تسمحوا لها بالبقاء هنا إلى أن تشفى أمها من مرضها. وأجاب أشودهان بأن العريس هو الذي يقرر ذلك.

وأضاف الزعيم قائلاً بغية تقوية موقفه:

—ومن ناحية أخرى، فليس لكم الحق في الإصرار على أخذ البنت معكم اليوم. وسأل أشودهان على الفور:

—لماذا؟

—أليس من العرف أن تحضر مع العريس امرأة لتصحب العروس إلى بيت الزوجية؟

ورد عليه أشودهان:

—ولماذا زوجتم ابنتكم لشخص ليس لديه امرأة تصحب عروسه إلى بيته؟

وسأله الزعيم وهو يتظاهر بالغضب:

—هل أنت تستجوبني الآن؟

وسكت أشودهان. فالأمر الآن في يد العريس ولا يستطيع أحد أن يتكلم بشئ.

وكان الوقت متأخرا.

واقترح زعيم الساحل:

—فليبق بالاني أيضا هنا.

والتزم الجميع الصمت. وحق الكلام الآتي لبالاني وحده.

وقال أشودهان مخاطبا بالاني:

—ما رأيك يا ابني؟ دعنا نذهب فإننا تأخرنا كثيرا.

وتردد بالاني ولم يعرف ماذا يقول. ولم يصل بعد إلى قرار حاسم. وما كان يظن أن ذلك مشكلة عويصة. وبدا أنه غير مبال بذلك. ولم ينطق بكلمة واحدة.

—لماذا لا تقول شيئاً؟ ولماذا تضيع أوقات الناس؟

وعتب أشودهان بالاني وقال له: إننا جننا معك لحضور مناسبة سعيدة. ولكننا تخاصمنا بسببك مع أناس نصادقهم..... لماذا لا تتطرق بشئ إن لنا أعمالاً أخرى وعلينا أن نعود إليها؟ وكان جنيان كنجي ينتظر بتلهف بالغ جواب بالاني. وهو يعرف أنه رجل طيب وسوف لا يخذله. وكل المسألة هي أن يصحب العروس إلى بيته وليس له أهل أو أقارب. وأغلب ظن جنيان كنجي أن بالاني سيودع أصحابه ويقيم عنده مؤقتاً. وقال أشودهان مرة أخرى:

—قل شيئاً يا رجل.

ونظر بالاني إلى وجه أشودهان ثم إلى وجوه زملائه الآخرين. ولم يجد أي إشارة منهم. ولكن جملة خرجت من فمه:

—أريد أن آخذ عروسي معي الآن.

وكان لهذه الجملة وقع الصاعقة على جنيان كنجي لأنه لم يكن يتوقعها من بالاني مطلقاً. فقال وهو يضرب صدره:

—انظر يا بني إلى حالة أمك ثم تكلم.

هل ترك هذا الالتماس أثراً في قلب بالاني أم لا؟

وعلى كل فقد نظر إلى وجه أشودهان. ولم يجد أي إيعاز منه. ولكنه فهم من ملامح وجهه أنه يشير بضرورة اصطحاب البنت اليوم. وأردف بالاني قائلاً:

—لابد أن آخذ معي البنت اليوم.

وبعد قليل بدأ يفكر جدياً وأبدى بعض الملاحظات الهامة وقدم بعض الأسباب المعقولة. وقال:

—ليس لي بيت ولا مسكن وقد اخترت الآن شريكة حياتي لتساهم في إعداد بيت مناسب نعيش فيه عيشة سعيدة ولا أستطيع تأخير الشروع في هذه الأمور. ولا أحب أن أترك زوجتي هنا. والإفستتعلل جميع خططي وبرامجي التي وضعتها للمستقبل. ولهذا فلا بد أن أخذ البنبت معي فوراً.

واستطاع بالاني أن يقول هذه الأمور كلها في غاية الكفاءة والجدارة. وكان ذلك محل استغراب الجميع. وأدرك بالاني أن أصحابه قد أعجبهم رأيه الحاسم. ولكن لم يفكر أحد في مدى تأثير هذا الكلام على جنيان كنجي.

وناشده جنيان كنجي باكيا ومنظره ترق له القلوب:

—يا بني! انني أعرف مدى المتاعب التي يتحملها الوالدان في تربية طفل ورعايته. وإنك أيضا ستكون أبا لأطفال في المستقبل فاسمع كلامي يا بني.

ولم يتحرك بالاني ولم يقل شيئاً. ولعله كان يوافق على طلب جنيان كنجي اذا وافق عليه أشودهان وغيره.

ورق قلب زعيم الساحل. وكان موقفا يرق له كل إنسان، ولا يستبعد أن يكون قد رق له قلب أشودهان ولكنه لم يظهر ذلك. وقال الزعيم بشئ من السخط:

—وكيف ذلك؟ وهو لم يتلق تربية في بيت، ولم ير والديه، ولم ينشأ بين أحضانها يرتوي من حبهما. فكيف يعرف ما هو الحب وما هو العطف؟ وهل يعرف هذه الأمور شخص نشأ في الساحل وحيدا وعاش وحيدا.

ثم أردف الزعيم بعد قليل مخاطبا جنيان كنجي:

—لماذا اخترت يا جنيان كنجي شخصا من هذا القبيل زوجا لابنتك؟ وما كان ينبغي لك أن تفعل ذلك.

ولم يوافق جنيان كنجي على هذا الكلام ولم يقل: نعم. ولكنه كان يعرف في قرارة نفسه أن هذا الرأي شديد إلى حدما. ولم ير جنيان كنجي في بالاني مثل هذه الأخلاق الجافة من قبل. ورأى جنيان كنجي صدق قول الزعيم، ولعله قد ساور قلبه حينئذ أنه أخطأ في تزويج بنته لبالاني. وقد ظهر الآن أنه لا يعرف الحب ولم يتلق ذلك من أبويه أو من بيت تربي فيه. كل ذلك قد بدت آثاره في أول يوم للزواج.

وتقدم أشودهان باقتراح جديد وكأنه قد فهم كل شيء:

—يا بالاني لماذا تسمع هذا كله؟ فالتى ستأتي معك هي البنت. اسألها واعرف رأيها في هذا الموضوع.

وارتاح جنيان كنجي لهذا الاقتراح. وربما أحس بالاني بالارتياح أيضا. وقبل الزعيم هذا الرأي وقال:

—هذا صحيح. فلتقل رأيها. قم يا جنيان كنجي وأحضرها. وكانت كروتما تجلس بجوار أمها وقد ابتلت ثيابها بالدموع، ودعاها جنيان كنجي. وجاءت عند الباب وكانت الدموع تسيل على خديها. وسألها الزعيم بنفسه:

—يا ابنتي. هل تريدين أن تذهبي مع زوجك وأمك على هذه الحال أم لا؟ كما أنه لا يوجد هنا أحد ليقدم كوبا من الماء إلى والدك. وأضاف الزعيم بعد لحظة:

—من العرف أن تذهب العروس مع زوجها عقب الزواج. ولكن لا بد أن تعربي الآن عن رأيك في هذا الأمر.

وماذا تقول كروتما؟ ففي الواقع أنها لا تستطيع أن تقول رأيا قاطعا في هذا الأمر. وهي قد ودّعت فعلا هذا الساحل وذلك الشاطئ. وقد استعدت لمغادرته في أسرع وقت خوفا على مستقبلها. وقد أتى هذا اليوم. ولكن أمها مريضة. وليس في البيت أحد يرعى والدها.

واستغرقت في البكاء ولم تنطق بشيء. وكان الجميع ينتظر جواب كروتما. وأضاف زعيم الساحل:

— بنت مسكينة. وكيف تقول رأيها في هذا الأمر؟ ولكن مهما كانت الأحوال فلا بد أن تقول رأيها.

وذهبت كروتما إلى أمها ووضعت وجهها على كتفها وأخذت تبكي بكاء شديدا. وبكت جكى أيضا وسألتها:

— عن أي شيء سألوك يا ابنتي؟

ولم تحر جوابا. ثم قالت بعد لحظات وهي باكية:

—إني لا أذهب يا أمي

وقالت جكى:

—لا تقولي ذلك يا ابنتي. فلا بد أن تذهبي الآن، وإن لم تذهبي.....

ولم تستطع جكى أن تكمل كلامها. وهي تعرف جيدا ماذا سيحدث إن لم تذهب معه الآن. وساور الخوف كروتما أيضا من عاقبة عدم ذهابها. وما كان يهم جكى شيء من مرضها أو عدم وجود أحد في بيتها للإشراف عليها وعلى زوجها. ولكن أخوف ما تخافه أن يمس ابنتها أي مكروه.

وقررت جكى أن ترسل بنتها فورا بأي وسيلة وقالت:

—اذهبي إليهم يا بنتي وقولي لهم إنك ستذهبين معهم الآن. وأبعدتها عن جسدها بالقوة.

وقالت لها بغضب وهي تعض على نواجذها:

—إذن. أنت لا تريدين أن تفارقي ذلك الشاب المسلم.

واستعادت كروتما كل قواها وذهبت إلى الباب وقالت:

—إنني مستعدة الذهاب.

وعانقت كروتما أمها. ثم انبطحت على قدمي جنيان كنجي تقبلهما ف جذب قدميه وتحول إلى الورااء. وبعد قليل قامت كروتما وباركتها أمها وأوصتها بأن تذكر نصاصها دائما.

ولما استأذن بالاني لم يقل جنيان كنجي شيئا. ولم تظهر على وجهه أمارات الحزن والإرهاق. ولم يبك ولم يتأسف كما فعل من قبل. واحمر وجهه واشتد هياجه.

وتبع كروتما عشرة أوخمسة عشر رجلا من رفقاء بالاني، ورفعت جكي رأسها لتري ابنتها تذهب مع عريسها، ولكنها لم تتمالك نفسها، فسقطت على يدي نلابن فحملتها إلى الفراش.

وزمجر جنيان كنجي وعض على نواجذه:

—إنها لم تعد بنتي من الآن.

ونادتها بنجامي باكية:

—ياأختي!

وجلست كالي كنجي ونلابن بجوار جكي. وسارت كروتما إلى مصيرها المجهول. هل نجت من حافة المخاطر؟ ولم يدع لها أحد، ولم تدع لأحد.

ولعل فريكوتي كان يدعو لها. وهكذا ارتحلت كروتما بنت هذا الساحل إلى مكان لم تألفه من قبل. وهل سيرتفع بعدها ذلك الصوت بالغناء في أجواء هذا الساحل؟ وربما يرتفع ولكن ليس هناك أحد ليسمعه.

الفصل الحادي عشر

شعرت كروتما بوجود فرق كبير بين ساحلها وساحل تريكونابوزا. فبحره زاخر دائما وأمواجه هائجة، ورغاويه بيضاء. حتى أنها وجدت فرقا في طعم الماء الذي يشربونه كما أن لون رمال شاطئه يختلف عن لون رمال شاطئها.

وجاء نساء الأصدقاء والجيران لرؤية العروس من أول يوم وصلت فيه. ولم تكن تعرف طريقة التعارف إليهن والتعامل معهن. وكن ينظرن إليها باهتمام كبير وكانت ممتلئة خجلا وحياء. وكانت كروتما تعرف أنه لا بد من أن تكون سمعتها طيبة بينهن. ولكن ما هي الوسيلة إلى ذلك؟

وذهب بالاني في الصباح الباكر إلى البحر. وكان موسم حصيلة “السردين” وأصبحت كروتما ربة البيت. وكانت تنتظرها فيه أعمال كثيرة. ولم يكن فيه من الأواني الا حلة وقصعة من الفخار ومغرفة من صدف الجوز الهندي، فهو يحتاج إلى أشياء كثيرة ليكون بيتا مكتملا. وهناك في إحدى الزوايا سلة فيها أرز وملح وفلفل. ولم يكن بالاني يشعر بضرورة وجود بيت مكتمل قبل الزواج ولم يوجهه أحد إلى تنظيم بيت ليستعد لاستقبال عروسه. وأصبح إعداد ذلك كله يقع على عاتق كروتما.

وطبخت كروتما الأرز، وأعدت صلصة من البصل والفلفل الأحمر، واستعارت الأواني اللازمة من بعض جاراتها.

وقالت لها امرأة تجوز من الجارات.

—لقد أصبح في ذمتك الآن شاب يا ابنتي، فلا بد أن تدبري بنفسك كل شيء. ولقد سمعت كروتما هذا أيضا من قبل، سمعته في شاطئ “نيركونام” وهل هذا هو الذي تسمعه كل فتاة في كل مكان، أوهي نصيحة توجه إليها وحدها؟ وأحست أن الجميع ينظرون إليها بعين الريبة فهل انكشف سرها؟!—

وتحدثت نساء البلدة عن العروس الجديدة. ولهن كل الحق في أن يتحدثن عنها، وهي لصياد يملك قاربين وشباك، وهل يزوج شخص في مثل هذه المكانة ابنته لمن لا أهل ولا بيت؟

وقالت إحداهن:

—ربما لا يكون لوالدها قارب ولا شبكة.

وعارضتها "كوشاكي" لأن زوجها كان قد ذهب إلى ساحل نيركونام للصيد وعلم أن لجنيان كنجي قاربا وشبكة ومالا كثيرا. وقالت واوا كنجي:

—فلماذا زوج ابنته لهذا الرجل؟

وقالت كوشاكي:

—وما العيب في ذلك؟

وأبدت "كوتا" رأيا آخر:

—لا بد أن في البيت عيبا.

وكانت كوتا تتكلم وكأنها تعرف سرا لا يعرفه غيرها. وأخذت الرغبة تلح على بقية النسوة المعرفة هذا السر وسألتهن عن مقصد كلامها. وقالت بتحفظ:

—لعل البنت قد فسدت وأرادوا أن يبعدها عن الساحل بأية وسيلة.

واندهشت المرأة العجوز وقالت:

—وهل جاءت إذن لتجلب المصائب إلى ساحلنا؟

وضربت العجوز صدرها بيدها استغرابا.

وألحت السيدات الحاضرات على كوتا أن تكمل كلامها.

وكانت كروتما قد أعدت الأرز وانتهت من الطبخ وبذلك تكون قد أتمت أعمالها المنزلية تقريبا. ولا يحتاج منزلها المتواضع الى تنظيم أو تنظيف. ولكن الزائرات ما زلن يحضرن إليه لمشاهدة العروس الجديدة. وشعرت أنهن يتعاملن معها كإنسان عجيب.

وانتشر في الساحل كله نبأ مرض جكى. وهل تجرؤ بنت أن تترك والدتها وهي تلازم الفراش؟ وهل الزوج أولى لها من الأم؟ وأصبح هذا الخبر باعثا على كثرة استفهام الناس عن حقيقة أمر كروتما.

ولما جاء وقت المساء أصبحت كروتما موضع الحديث في بيوت ذلك الساحل كله. وانطلقت الألسن حول أسرارها. فلعلها كانت بيتا فاسدة، وقرر أهلها أن يبعدوها عن المجتمع بأي وسيلة. وإذا كان هذا صحيحا فان الأمر خطير للغاية.

وذكرت كروتما أمها ولا تدري عنها شيئا. وسألت نفسها عما إذا كان من المناسب أن تترك أمها في تلك الحالة ويتركها والدها نهائيا. ودوت في أسماعها كلمات الوالد الأخيرة: إنها لم تعد بنتي من الآن.

وكانت كروتما تعرف أخلاق والدها، فربما لا يقبلها أبدا. وأحست أن تصرفاتها كانت خاطئة. وهل فعلت كهذا الفعل من قبل؟ ولعل أهل ساحلها كلهم يعاتبونها بل ويلعنونها على فعلتها هذه. ولكن والدتها قد باركتها وقد حصلت على أذنها ورضاها. وقدرت مدى المتاعب التي تعانيها أمها المسكينة وليس هناك أحد للعناية بها الآن. أما الأب فلا بد أن يعاتب أمها على موافقتها على ذهاب كروتما مع بالاني. فهي قد عانت كثيرا من أجل كروتما وستظل تعاني متاعب ومشاكل أخرى من أجلها، فهل هذا هو شأن كل أم؟

أما الأب فلن يصفح عنها أبدا.

وفكرت كروتما كثيرا في مستقبلها. كان لها والداها من قبل. وكان والدها كادحا، جمع مالا كثيرا بعرق جبينه، وكانت حياتها حياتها مستقرة وهادئة في كنفهما.

ولم تعرف الفاقة والجوع من قبل. وتركت هذا كله وراءها وانطلقت إلى حياة جديدة وعالم جديد لا تدري شيئاً عنهما. وهل تجد طعاماً وكساءً؟ وهي التي لم تذوق طعم الجوع والفقر. وهل يمكن لها أن تضحك بملء قلبها؟ وهل ستكون لها حرية كاملة في حركاتها وتصرفاتها؟ وكل هذه أسئلة تشغل بالها ولا تدري ماذا قد أعد لها المستقبل. لقد كانت بنتاً محبوبة مدللة. فهل تجد هذا الحب عند الرجل الذي نزلت معه في بيته؟ وهي لم تعرف شيئاً عن طبيعته وأخلاقه. لقد كان ذلك سؤالاً له مغزى عميق، وماذا ستكون طبيعة قلب ذلك الإنسان الذي أصر على أخذها معه في تلك الفترة الحرجة التي كانت أمها تعاني فيها مرضاً شديداً؟ وإذا قال حينذاك إنى لا أريد أن آخذ البنت معي الآن لانتهى كل شئ بكل سهولة، وما هي الحيلة لكسب حبه ورضاه؟ وكيف تعيش عيشة هنيئة مرضية؟ وربما ستصدر منه تصرفات جافة في المستقبل فكيف تواجهها وتتغلب عليها؟ وهل هناك أحد تلوذ به غيره. أن مدار النجاح في حياتها هو حبه ورضاه. وهي لا تدري شيئاً عما يرضيه أو بسخطه، كما لا تدري شيئاً عن طبيعة أخلاقه.

وعقدت كروتها عزمها على أن تتحمل كل شئ في حياتها وقررت أن تكون إحدى نساء الساحل اللاتي قضين حياتهن في كد وتعب وكفاح مرير في سبيل حياتهن. وهي لا تريد أية امتيازات وكل ما تتمناه أن تقضى حياتها كامرأة عادية. وهل ستتحقق أمنيتها هذه أم لا؟ وكان صوتاً مجهولاً من داخل نفسها يقول لها إنها أمنية عسيرة المنال. وكانت هذه الأمنية تخالج قلبها منذ زمن طويل.

وصارت حياتها فعلاً مسرحاً لأمر لم تحدث لبنات جنسها، فربما يتسع نطاق هذه الحوادث أكثر من ذلك.

وأصبحت صور هذه الأخيذة ماثلة أمام ناظرها وحاد فيها عقلها. وكانت تتمنى من أعماق قلبها أن يحبها بالاني، ولكن هل ستتحقق أمنيتها هذه أم أنها تذهب مع الرياح؟ إن هذه الأمنية هي التي تتمناها كل الفتيات. وهل يعرف الحب على حقيقته كما عرفته كروتها وذائقته وآلامه، ولعل هذا هو السبب الحقيقي لمخاوفها التي تساور قلبها دائماً على عدم قدرتها لنيل حب زوجها.

وتسرب إلى ذهنها شك في أن يتبادل بالاني الحب معها. وإذن لماذا تركت بلدها وهجرت بيت والديها وهل كان ذلك تجربة خطيرة؟ ولو بقيت هناك لكانت تجربة أخطر.

عاد بالاني من البحر بعد الظهر. وأحضرت له الطعام بكل عناية وإكرام. ولأول مرة كانت تقدم له الطعام. ولم تكن تعرف إذا كان يعجبه طبخها أم لا وهل يكون شهيا ومناسبا لمزاجه؟

وكانت هذه مخاوف تساور قلبها في تلك اللحظة.

وبدأ بالاني في تناول الطعام. وقد بدا عليه السرور والانبساط. فارتاح ذهنها قليلا. وقالت له من وراء باب المطبخ: إنها كانت تريد أن تهيبئ له طعاما آخر ولكن لم يكن عندنا الحلة. كما أننا نحتاج إلى غربال لغرلة الأرز لأنه ملئ بالحصى، كما أن الصلصة ليست لذيذة. واستعرت المرجل من جارتنا. ونحن نحتاج إلى هذه الأدوات المنزلية كلها. وقال بالاني:

—ولكن لا يمكن شراؤها دفعة واحدة.

—لا بد أن تشتريها كلها.

—لا. بل نشترى شيئا فشيئا.

وواصل أكل الطعام الذي أعدته إليه وهو مسرور وكان الأكل شهيا وممتعا. وكانت تلح عليه في أن يتناول مزيدا من اللقعات حتى شبع تماما.

وقال لها حينما قدمت إليه مزيدا من الأرز في الطبق:

—هذا كثير لا أستطيع أن آكله.

فقالت له:

—لا بأس. وما يتبقى في الطبق سأكله.

وسألته بعد قليل.

—أظن أن الطعام لم يكن لذيذا وشهيا كما يجب.

—بالعكس. فقد كان الأكل لذيذا جدا وأكلت كثيرا.

—هل أكلته كثيرا؟ يا للعجب.

—لم أكن أكل أبدا مثل ذلك من قبل.

وقالت كروتما وعلى شفيتها ابتسامة الزوجة:

—من الآن ستأكل أكثر فأكثر، وإلا فلن أتركك حتى تأكل المزيد.

وضحك بالاني من أعماقه بكل ابتهاج وسرور.

واطمأن الآن القلب الذي احترق كثيرا من الآلام العديدة. فقد بدا بالاني رجلا لطيفا سمح الخلق. وكانت وراء نظرته السارة ملامح الود والإخلاص.

وأكلت كروتما الطعام في نفس الطبق الذي أكل فيه بالاني. وبعد أن غسل بالاني يده أشعل دخان "بيدي" (١)

ودخل المطبخ وجلس بجواري كروتما وقال لها:

—إني أصب لك الأرز والطبخ. ولم تقل كروتما شيئا. وكانت مشاعر قلبها تتوق الى عالم يسوده السرور. وكان نسيم الحب يحرك هذه الزهرة المتفتحة. وقال لها شريك حياتها وفتى أحلامها:

—يا للسماء! ما هذا؟ أنت لم تأكلي شيئا.

١- دخان معروف في الهند. وهو عبارة عن: نوع من اتبغ الملفوف في ورق خاص أصفر اللون معروف بأوراق "بيدي" وهو أصغر حجما من السجائر العادية.

—إنني شبعت.

ونظر إلى الحلة وسأل:

—الأرز موجود. ولكني شبعت.

—لا. لا يكفي هذا. كلي أيضا.

ووضع بالاني قليلا من الأرز في طبق كروتما. ومنعته كروتما بالقوة. ولكنها أكلت ما وضعه في الطبق بيده.

ودخلت كروتما في حياة زوجية لا كعشيقة أو عروس عادية ولكن كربة بيت ناضجة. وصار بالاني أيضا رب البيت.

وبعد أن فرغت كروتما من غسل الأواني وتنظيف المطبخ سألها بالاني:

—قولي. ما هي اللوازم التي نحتاج إلى شرائها فورا.

—وهل عندنا المال الذي يكفي لشراء مانحتاج إليه؟

وأخرج بالاني الكيس الملفوف في ذيل إزاره وعد ما فيه من النقود. وكانت فيه أربع روبيات. وأخبرها عن مكاسب ومصروفات ذلك اليوم. ولم يمكن التحصيل على ما يرام. وقد سدد بعض القرض الذي أخذه لأجل الزواج.

وسألته كروتما:

—وكيف التقسيم المعتاد عندكم في هذا الساحل؟

—بمعدل خمسين في المائة.

وأضافت كروتما:

—لا بد أن تطلب أن يكون التقسيم على أساس النظام المتبع في الساحل المجاور.

وقال بالاني:

—هذه هي العادة المتبعة عندنا.

وحكت له كروتما قصة جنيان كنجي حيث أنه جمع جميع عمال القوارب وطالبوا بجعل معدل التقسيم ستين في المائة. ونجحوا في ذلك.

وقال بالاني:

—لم يحدث شيء من هذا القبيل في ساحلنا.

وسألها مرة أخرى عن اللوازم التي تحتاج إليها الآن في المنزل. وقالت كروتما:

—هل ستذهب الآن لتشتريها؟

—نعم.

—استرح قليلا ولا تخرج قبل أن تستريح من متاعب العمل المضنى في البحر. وحتى لا يقول الناس إنني أرسلتك لشراء الأواني فورا. فروح عن نفسك الآن قليلا ثم اخرج بعد أن تخف حدة حرارة الشمس. ووافق بالاني على رأيها. وبسط حصيرا على الأرض واضطجع عليه ثم نادى:

—كروتما.

ربما كانت تنتظر هذا النداء. ثم أردف.

—تعالى هنا.

ودخلت إلى الغرفة في خجل مع ابتسام، وربما خطر ببالها شعور بالاستقرار. وستسعى جاهدة لتكون زوجة وفيه صالحة. وضمّها بالاني إليه وأحاطها بذراعيه المفتولتين. واستسلمت له بقلبها وجسدها راضية مطيعة. وأغمضت جفنيها وراحت في غفوة عاطفية أشبه ماتكون بسنة من النوم الحالم. فإنها قد أحبت رجلا وأحبها ولكنها لم تلتق بجسدها مع رجل من قبل وربما كانت تتوق إلى ذلك ولكنه لم يتحقق إلا في الأونة، من غير أن تخرق شريعة الآداب والأخلاق، فهي قد أصبحت اليوم متزوجة وضمها رجل إلى صدره بحق وسلطة. وخضعت له بطاعة ورضى وهي قد أحبت رجلا من قبل ولكنه لم يمس جسدها ولم تستلم لأحد من قبل. وقد أصبحت الآن ملكا لبالاني وحده. وقد صانت نفسها وحفظت عفافها لهذا الرجل المنتظر. وستحافظ عليها كذلك مدى حياتها.

ولم تدر كم الوقت الذي قضته في هذه الفترة التي أمضتها بين عواطف الشباب الفائرة، والتي التقى فيها القلبان وتلاشت فيها الحواجز كلها. ودخلا في مملكة الأحلام وحاما في روضة البهجة والسعادة والهناء.

ولما عادت إلى عالم اليقظة تملكها الخجل وساورها الخوف مما بدر منها من تصرفات وحركات لم تعهدها من قبل. وهل كان ذلك كله لائقا بفتاة محافظة؟ وماذا تكون انطباعات زوجها عنها. وخافت من أن تكون تصرفاتها خاطئة متطرفة. وفهم بالاني مايجول بنفسها وما يختفي في طيات عواطفها. وقد صار زوجها لها وصارت في حوزته. ولكن هل كان من المناسب أن تعامله في أول يوم من زواجها بهذه الطريقة؟ وماذا تكون الفكرة التي أخذها عنها من جراء تصرفاتها الطائشة؟ كانت فتاة هادئة خجولة. فكيف اندفعت الآن إلى هذا كله بدون تفكير؟ وكان في كل لحظة ينبعث في داخل نفسها خوف شديد من أن يخطر بباله سؤال يهدد حياتهما الزوجية كلها. وخيل اليها فورا صورة ذلك السؤال الخطير.

—إنك تعرفين هذا كله من قبل؟

وفي مكنتها أن تحلف أنها لم تعرف شيئا من هذا من قبل. ولكن هل يصدق قولها؟ وما هي حيلتها في جعله يصدق قولها؟ وإن لم يصدقه فسيكون ذلك ضربة قاضية لحياتهما الزوجية.

وأرادت أن تقول له ما دار في نفسها قبل أن يوجه لها السؤال الذي تخيلته. ولكنها لم تجد في ذهنها صورة واضحة لما ستقوله في هذا الشأن.

وهل هذا هو شأن كل فتاة؟ وهل بمجرد أن يصير رجل أجنبي زوجها لها يزول عنها كل الخجل أمامه؟

وفكرت في مصدر هذه العواطف والمشاعر. ولم تستطع أن تصدق نفسها أنها فتاة عادية. وكانت قد سمعت من نساء الساحل عن قصص عجائز غير عادات عشن فيه في الأيام الغابرة. وكأنها كانت تسمع من داخلها صوتا يقول: أنت فتاة كانت تحب رجلا آخر ياكروتما.

أي أنها كانت تشعر بمتعة وبهجة عند ما تذكره. أو بعبارة أخرى أن حب الرجال لم يكن غريبا عليها ظفرت برجل تخلت عن كل التقاليد والقيود واندفعت إلى تصرفات حرة مخجلة.

وهل هزت مشاعرها تلك العلاقة الغرامية من قبل أم أنها وليدة الظروف الجديدة؟

ولم يحدث شيء مما كانت تخافه كروتما. فلم يسألها بالاني عن شيء.

وحان وقت المساء وأراد الخروج من البيت وسألها مرة أخرى عن اللوازم التي تريدها للبيت. وقالت:

—اشتر ما تستطيعه، في حدود المبلغ الموجود معك. ثم بينت له الأشياء المطلوبة، وكانت قائمة طويلة فعلا.

ولما انفرت كروتما في البيت خطر فريكوتي على ذهنها. وماذا يكون مدى حزنه الآن؟ وكيف حاله؟ ولم يسدد الدين له بعد، وأمها مريضة، وربما لا يحصل على مبلغه أبدا. وهكذا سيفلس في تجارته أيضا.

ولم تستطع أن تمحى ذكريات فريكوتي من قلبها. ولكن أليس من الإثم أن تذكر رجلا أجنبيا بعد أن صارت زوجة لرجل آخر.

ولكن كأن شخصا خفيا يقول لها من قرارة نفسها: إنك لا تستطيعين أن تنسى فريكوتي يا كروتما. وهو من أضغاث أحلام تدور مدى الحياة. ولعل فريكوتي مازال يشق عنان السماء بغناؤه.

ولم يطمئن قلبها بعد. وربما لا تقدر لها طمأنينة القلب في حياتها.

وعاد بالاني ومعه الحلل والقصع والمغارف. وسخر منه الناس في الطريق. ولم تعجب كروتما أشكال الحلل والقطع وألوانها وأحجامها. وأبدت له خبرتها في الأمور المنزلية كزوجة مهتمة بلوازم المطبخ. ووافقها بالاني وقال:

— وهل اشتريت الحلل والقصع من قبل؟

وضحكت كروتما. ولم ينم الاثنان في تلك الليلة وأخذا يتجادبان أطراف الحديث في موضوعات شتى تهمهما في حياتهما، وسألته في أثناء الكلام:

—لما أخذتني معك بينما كانت أمي مغشيا عليها؟

وقال بالاني:

—ليس من الرجولة أن يترك الرجل زوجته في بيتها بعد الزواج. وليس هذا بمناسب.

وفهمت من كلامه أن تركها في بيت أبيها أمر لا يليق به.

وبين لها بالاني الوضع الذي كان سائدا حينذاك، فما كان أصحابه موافقين على تركها هناك، فوافق هو أيضا على ذلك. ثم قال بتحفظ:

-هل كنت راغبة في المجئ معي؟

—نعم كنت راغبة.

وظلت القصة الطويلة التي كانت وراء تلك الرغبة في طي الكتمان.

وأرادت كروتما أن تقول له شيئاً هاماً عن أبيها:

—وقد فقدت أبي. ولم يعتبرني منذ ذلك الحين بنتاً له. وهذه هي طبيعته وسجيته.

ورد بالاني بدون أدنى مبالاة.

—إذن اعتبرني أنك لست بنتاً له فاعتبرني أنه ليس لك أبا.

وهذا هو الوعد الصريح الذي حصلت عليه لاستقرار حياتهما. وأليس معنى قوله هذا أنه لم يكن لك أب فأنا موجود؟ وأضاف بالاني:

—إن أباك رجل جشع وخشن الطباع وكذلك زعيم ساحلك، فإنه قد أغلظ لنا القول.

وتملكه شعور في هذه اللحظة بأن كرامته قد أهدرت في ساحلهم. فقال بحماس:

—ولو أنني كنت وحيداً وليس لي أهل ولا أقرباء، أو لست من أبناء البحر؟ ولي حق مشترك في ثروات هذا البحر الواسع. وما هو العيب الذي يعدونه في؟ وأنا أعيش كما يعيش الصيادون الآخرون، بيد أنني أفرقهم في أمر آخر، وهو أنني أجيد مهنتي جيداً وأقدر على توجيه القارب ضد أي تيار أو عاصفة وأعرف كيف أتفادي أي دوامة. ولا ينبغي لأحد أن يعيبنى ويتعب نفسه للعثور على نقائصي.

وسكنت كروتما وتمنت أنها لم تطرق هذا الموضوع.

وغضب بالاني وهو لا يكن أي احترام لوالدها ولا يبالي بزعيم ساحلها. بل وإذا اقتضت الضرورة فهو لا يطيع زعيم ساحله أيضاً. ثم سأل:

—لماذا أخضع لأي إنسان يا بنت؟ لا داعي لذلك مطلقاً.

ولكن كروتما أرادت أن تفهمه عن شيء:

—إن أمي امرأة طيبة.

ولم يرد عليها، ولكن أفكاره تحولت إلى اتجاه آخر:

—أقول لك صراحة: إنني لن أذهب إلى هناك إلا إذا أتى أبوك بنفسه.

وقد عقد زوجها أيضا عزمه على أمر كما عقد أبوها من قبل عزمه على شيء.

وقالت كروتما بصراحة: أنها قد فقدت أباه وأما وليس لها إلا زوجها. وعليها أن تكون زوجة مطيعة وأن تتحمل المسؤولية. وسمع منها بالاني كل شيء، فإنها ستكون وفيه له ومطيعة لأوامره ومستعدة لأن تتحمل كل المتاعب ولكنها تتمنى أن يحبها ويشرف عليها.

ولم يقل لها صراحة أنها هي يجب أن تحبه من قلبها. وربما لم يرد وعدا منها بذلك كما لم ترد هي وعدا منه كذلك. أليس من الواجب عليها أن تقول له إنها تحبه من أعماق قلبها. وما كان ينبغي لها أن تنتظر منه أن يطلب منها ذلك صراحة. وهل هذا يدل على أنها لا تحبه وإذا طلب منها بالاني ذلك لردت فوراً بأنها تحبه حجاباً.

ومرت المحادثات في الليلة الأولى بسلام ودون صدام، وتوصلا إلى تفاهم عام. وقررا بناء بيت لهما.

وقالت كروتما وعلى شفيتها ابتسامة:

—ليس لي أنا أيضا أهل ولا أصدقاء. ولا أملك بيتا ولا مسكناً.

وعند ما جاء وقت الفجر علت الأصوات والضوضاء في الساحل. وحان موعد ذهاب بالاني إلى البحر. وكانت كروتما تعرف بعض العادات اليومية السائدة في مجتمع الصيادين. وقد سمعت عنها من النساء الجارات قبل الزواج.

ولما خرج بالاني من البيت سألته بحيرة:

—هل ستذهب مباشرة إلى الشاطئ والقارب؟

ولم يفهم بالاني مرادها. وأجاب:

—نعم. ماذا يريدون؟

ولم تدر كروتما كيف تفهمه مقصدها، ولكنها قالت:

—لا يجوز لرجل أن يخرج من البيت هكذا.

—إذن كيف أخرج؟

—لا بد أن يكون الذهاب إلى البحر طاهرا ونظيفا.

ووقف بالاني حائرا وسألها:

—ماذا تقولين؟

وقالت بخجل:

—اغتسل ثم اذهب.

واغتسل بالاني واغتسلت معه كروتما أيضا.

ولما وصل بالاني إلى الساحل سأله الرئيس نفس السؤال:

—هل اغتسلت يا بالاني؟

الفصل الثاني عشر

لقد كانت كروتما فتاة تعلمت كثيرا من دروس الحياة من أبويها. فهي تعرف كيف تدبر البيت وكيف تنظمه. وكان أبوها جنيان كنجي مثالا حيا في تدبير المنزل. وقد كسب المال

وجمعه، ولم يكن ينفق الأموال إلا في الأشياء الضرورية ولا يسرف أبدا. وقد رأت بعينها أنه قد جمع المال بكده وعرق جبينه. وقد حافظ عليه بنظام في حياته ثم اشترى القارب والشبكة حتى أصبح الآن صاحب دخل مرموق.

وكانت حينما تنفرد بنفسها تفكر في بيتها، ففيه لها عبر وعظات لمستقبل حياتها. ذهب بالاني إلى البحر بعد أن تطهر وأفطر وكانت في انتظار عودته بتلف. وأعدت له في ذلك اليوم نوعين من الطعام. وقد احتل بالاني مكانة أكبر في قلبها الآن. وكانت حصيلة السردين وفيرة في البحر بشكل لم يسبق له مثيل في الأيام الأخيرة. وحصل بالاني على حوالي ثلاثين روبية من حصته.

وأثناء نشر الشباك في الشاطئ قال "أيابان" لرفقائه:

— ما رأيكم أيها الزملاء في أن نذهب اليوم إلى "أريباد" ونتغدى هناك؟

ولم يعارض أحد في هذه الفكرة. وكان لدى الجميع مبالغ كافية. وقد أنعم عليهم البحر الأم فما هو المانع في أن يتمتعوا في ذلك اليوم؟

ولم يقل بالاني شيئا. وسأل "وبلوتًا كنجي":

— لماذا لا تقول شيئا يا بالاني؟

وسخر منه "أندي كنجي"

— ماذا تقولون؟ فإن العروس ستعد له الطعام والطبخ اللذيذ في البيت. فكيف يأكل في الخارج؟ ولاشك أنه يشعر بمتعة كبرى في الأكل معها.

وتساءل "كوشا أيابان" عن الحرج في ذلك. فهو شعور عام لدى الشباب دائما.

وكلهم متزوجون وأصحاب أولاد. وقال "ويلايودهان" على ضوء تجارب المتزوجين العامة:

—إن الطعام لذيذ في بيت العروس إلى أربعة أيام. ثم لا يكون في البيت طعام ولا يجد له لذة.

وعندما فرغ الجميع من نشر الشباك والغسل سأل ويلوتا كنجي:

—هل تأتي معنا يا بالاني؟

ورد بالاني:

—أتى معكم. ولكنه لم يرتح لذلك كثيرا.

وتوجه الجميع إلى الشارع وركبوا السيارة إلى أريباد.

ولما طال الا انتظار نزلت كروتما من البيت وذهبت إلى الشاطئ، فلم تجد فيه أحدا. وكانت القوارب مركونة والشباك منشورة في رماله.

وفي هذه الحظة جاءت إلى هناك "بارو" زوجة آندي. وسألت كروتما عن أحوالها:

—لماذا تقفين هنا يا عروس، تنظرين إلى البحر؟

وقالت كروتما بشئ من الخجل:

—لا شئ.

وفهمت بارو حقيقة الأمر وقالت:

—لعلك تنتظرين زوجك. لقد ذهبوا جميعا إلى أريباد. فعندهم اليوم مكاسب كافية يا بنت!

كانت هذه هي العادة الجارية في ساحل كروتما أيضا ولكنهم كانوا يذهبون إلى "ألبى". وهؤلاء يذهبون إلى أريباد. وهذا هو الفرق. ولكنها لم تكن تظن أن بالاني سيذهب في ذلك اليوم أيضا.

واستمر الكلام بين كروتما وبارو بعض الوقت. وشغلت ذهن كروتما أفكار كثيرة. فلا بد أن يترك بالاني هذه العادات. فهو إذا وفر المبلغ الذي سيصرفه في أريباد يستطيع أن يدبر أشياء كثيرة في البيت. وبينما كانت هذه الأفكار تخالج قلب كروتما قالت بارو:

—وعندما يعود اليوم من أريباد سيكون معه إزار جديد فاخر للعروس وردت كروتما:

—ولكن ليس في بيتنا كوب لشرب الشاي وكل ما هناك قصعتان فقط.

وقالت بارو العجوز:

وفي أي بيت يوجد هذا كله يا بنت؟ لا تفكري في هذه الأشياء إلا في موسم الجمبري. ثم يمكن بيعها عند ما تحدث المجاعة في أيام القحط في البحر.

ورأت كروتما كلبا يحوم حول بيتها ليدخل إلى المطبخ فهولت عائدة إلى البيت.

وطال انتظارها لبالاني، ولم يعد إلا بعد أن مضت أربع أو خمس ساعات بعد غروب الشمس وفي يده كيس صغير.

وفكرت كروتما في نفسها وحاولت أن تتظاهر أمامه بالخصام والزعل ولا تتكلم معه بشئ.. ولكن هل يعجبه هذا أم لا؟ وتظاهرت بابتسامة جديدة وقالت:

—الآن فقط عادت القوارب من البحر؟

وقال بالاني بدون أن يفهم مغزى هذا السؤال:

—لا. أنظري هذا.

وأعطاه الكيس الذي في يده وسألها أثناء فتحه:

—هل الرداء هو الذي يحصله الصيادون هنا من طرح الشباك في البحر؟

وضحك الزوجان. وكان في الكيس إزار خفيف جميل سرت به كروتما. وسأل بالاني عن ثمنه في السوق أولاً، فقد اشترى خمسة أزر، أخذ كل من ويلوتا كنجي وويلايودهان، وكوشورامان، وأيابان، وبالاني واحدا منها.

وقد كان طفل وويلايودهان مريضا، ولم يكن في بيته شئ لشراء الدواء وذهبت زوجته إلى بيت بارو لتقترض منها بعض النقود. وكذلك كان الحال في بيت أيايان. ولكن الأزر الجديدة وصلت إلى هذه البيوت كلها.

وسألته كروتما بابتسم:

— لماذا اشتريت لي هذا الإزار الجديد وليس في البيت كوب نشرب فيه الماء؟ ولعله لم يفهم معنى هذا السؤال في غمرة الابتسامة العريضة التي أهدتها إليه. وقهقهه

وقال:

— هل تعرفين لماذا اشتريت هذا الإزار؟

— لماذا؟

— لكي نذهب إلى مهرجان "مئارشالي". البسيه الآن، أنظر إليك.

ولبست كروتما الإزار الجديد. ونظر إليها بالاني بعين مليئة بالمشاعر وعواطف الحب. واستقرت نظرتة على نهديها. ثم تحولت إلى الورااء فاستقرت هذه النظرة الشاخصة على مأكمتها الملوفة في إزار واحد.

وتقدم بالاني نحوها خطوتين أو ثلاث فقالت:

— إن البدن كله عرق وتراب.

هل أخطأ في شراء الإزار حيث أنه لا يوجد في البيت كوب لشرب الماء؟

وكانت أمنيته أن يرى زوجته تلبس ملابس جديدة.

وهل الحياة كلها جد ونظام؟ وهل هي عبارة عن مجرد كسب المال وتدبير لوازم البيت؟
أليس فيها أمور عاطفية ومسرات قلبية؟

ولم تركروتما هذه العادة من قبل في بيت أبيها. وربما ظنت أن هذا كله من الإسراف.
ولكنها تفرح بفرح زوجها حينما يراها في الملابس الجديدة.

وشعرت كأنها نسيت أن تعاتبه على شراء هذا الأزار الآن. والتحم الجسمان في معانقة
عذيفة التحاما يهز مشاعر القلب. ويحرك عواطف النفس.

واستمررا في العناق وقتا طويلا بدون أن يفكرا في الافتراق. أو أنهما نسيا نفسيهما. ولم
تفترق أيديهما بل إنها لا تريد ذلك.

وربما خيل إلى كروتما أن الأزار الجديد من لوازم الحياة، وأنها لا تكمل بالأواني
والقوارب والشباك، بل لا بد من أن ينضم إليها الأزار الجميل أيضا.

ولما كان الاثنان يتناولان طعام العشاء في اناء واحد، لا حظ بالاني أن البشر يتألق في
وجه كروتما وأن عينيها تنضحان فرحا. وأخذ لقمة بيده ووضعها في فمها فقالت:

—يا للعجب! إن مثل هذه اللقمة الكبيرة لا يسعها فمي.

وكانت على حق. فانها كانت لقمة قدمتها يد العامل الذي يقاوم البحر ليلا ونهارا ويواجه
الأمواج العاتية والأعاصير الهوجاء. وحينئذ قدم إليها لقمة أصغر كما أنها قد وضعت بيدها
لقمة في فمه. وقال حينئذ:

—إن هذه اللقمة لا تكفي حتى خلال الأسنان.

وضحكا كثيرا أثناء العشاء. ثم قالت كروتما:

—أريد بعد الإزار بلوزة من الحرير ورداد فأخرا.

وبعد أن أفاقا من عالم الأحلام وعواطف الشباب والحب، دخلت كروتما عالمها العادي، وبدأت تفكر في شئون الحياة اليومية. ولها كل الحق في أن تعرف كم روبية حصل عليها بالاني في ذلك اليوم. وأرادت أن تعرف المصاريف التي أنفقتها فيه،

فسألته:

—كم حصلت اليوم من صاحب القارب؟

—حوالي ثلاثين روبية. ثم أردف بغير تفكير:

—هناك كيس من النقود فعديها.

وقتحت كروتما الكيس فإذا به روبيتان فقط. وقد أنفق ثمانية وعشرين. وإذا كان قد أنفق هذا المبلغ في شئون البيت بتدبر لكان يكفي لعدة أشياء. ولكنها تشعر بخجل من أن تقول ذلك بصراحة. وجلست إلى جوار زوجها مستندة إلى كنفه وقالت:

—هل يكفينا بيت ذو غرفة واحدة للنوم والطبخ؟

وقال بالاني:

—لا يكفي. وإنما نحتاج إلى أشياء كثيرة.

كانت كروتما تعرف ضخامة هذه الأشياء. فقالت في نفسها ضاحكة: إنها ستحول بالاني الذي ليس له أهل ولا بيت إلى أحد الصيادين المرموقين. وعقدت عزمها على تحسين مركزه. ووجدت في نفسها شجاعة كافية لأن تصرح له بذلك. وعرفت مدى ثقته بها. وقد كان يسر بالاني أن تحاول زوجته تحسين مركزه الاجتماعي والمادي، وعليه أن يسير حسب نظام خاص تخططه له فقالت بابتسام:

—لا تنفق النقود هكذا. ثم أضافت واضعة كفيها على خديه:

—إنني لن أسمح بذلك.

—ألا أشرب الشاي وأكل الطعم؟

إنها تعد له هذا كله. ثم وجهت إليه سؤالاً هاماً:

—فماذا نعمل عندما يكون لنا أولاد؟

ولم يفهم معنى كلامها. وماذا يعمل هو عندما يكون له أولاد. فقال:

—هم يكبرون بأنفسهم.

وبينت له طريقة حياة منظمة، كما تبين لطفل لا يعرف شيئاً عن الحياة. وأليس من هدف الحياة لكل صياد أن يكون له قارب وشبكة؟ ولا يستشني بالاني من هذه القاعدة العامة. وأقنعتة بذلك. وسألها:

—إذا كان هدف كل صياد في هذا الساحل تحقيق ذلك في حياته لكان أهالي الساحل كلهم أثرياء فلماذا إذن لا يستهدفون ذلك؟

وجاء جوابها في صورة سؤال آخر:

—وما هو الحرج إذا استهدفنا تحقيق هذه الأمنية؟

وذكر حينئذ فلسفة شائعة يقولها كل صياد: إن الصياد يكسب ماله من إرهاب أرواح ملايين الحيوانات فلا يستطيع أن يدخره وهو يصيد غدرا هذه الأسماك التي تعيش في الماء في حرية وسعادة ليكسب المال. وأن هذه الملايين تفتح عيونها وتلفظ أنفاس الموت في شبابه الغادرة.

وأن الذى هذه حاله يوميا لا يفكر في مثل هذه الأمور. وأن المال الذى يجمع على حساب هذه الأرواح ليس جديرا للادخار ولا يقدر هو عليه. والا لماذا يعانى أهالي الساحل المجاعة والقحط؟

وليست هذه الفلسفة مخترعة بواسطة بالاني، ولكنها فلسفة متداولة بين الصيادين منذ مئات القرون وقد سمعتها كروتما أيضا من قبل. ولكن أباهما جنيان كنجي تكلم ضد هذه الخرافة. ولم تقتنع بأراء أبيها في ذلك الوقت. وبدا لهذه الآراء اليوم وزن وقيمة. ولكنها لم تعرض تلك الآراء. وليست لديها همة للخوض في مناقشة جدية.

وقال بالاني.

—لماذا يدخر الصياد. وهذا البحر واسع ممتد الثروة وفيه كل شئ؟ وإذا لم ندخر فسيبارك البحر الأم ويدر بركاته.

وسألته كروتما:

وكيف يعانى الصيادون المجاعة عندما تقل حصيلة الصيد؟

—لا بد أن يعانوها أيضا.

وتذكرت كروتما قصة أبيها وأمها- قصة شرائهما القارب والشبكة. وشعرت فورا باحتراق شديد في قلبها. وسرت آثاره في جميع أجزاء جسمها.

وكيف أنهما اشتريا القارب والشبكة، وأن فريكوتي المسكين قد أفلس في هذا السبيل.

وسأل بالاني.

—هل تتكلمين في ضوء تجارب أبيك وأمك؟

وبدأ أن ملامح وجهه قد تغيرت. وأضاف قائلا:

—تعلمت منهما الحرص والطمع. والناس جميعا يسألون: متى تذهب إلى بيت الزوجة للضيافة. وبدأت النساء يسألنها أيضا عن ذلك. ولم يكن لديها جواب تقوله لهن. ولا بد أن يدعو أهل الزوجة الزوجين إلى بيتها للضيافة بعد مضي بضعة أيام من الزفاف. ولكن كروتما كانت تشك في هذا الأمر فقالت:

—عندما غادرنا البيت كانت أمي على فراش الموت. ثم إنه ليس هناك أحد يأتينا حتى يدعونا للضيافة.

ثم سألت بعد قليل ضاحكة:

—وهل دعانا أحد من أقارب الزوج بعد وصولنا إلى هنا منذ أيام؟ وأليس ذلك أيضا من العرف المتبع؟

ولو أن كروتما كانت مازحة في كلامها، إلا أن فيه معان قد تحرّج بها بالاني. وتألّم بالاني قليلا ولم يدرك أنها تمزح. وأعطى لكلامها معنى آخر وتغيرت حالته وقال:

—ألم يعرفوا من قبل أنه ليس هنا أحد يستضيفك؟ ثم لماذا أرسلوك؟

واصفرّ وجه كروتما وظهر الغضب على بالاني ولم تكن تتوقع ذلك. ولم يكتف بذلك بل أضاف:

—“معنى ذلك أنهم وجدوا رجلا وصيدا مسكينا، ليس له أحد يحزن عليه أو يفرح له فوضعوا على رأسه بنتا بالغة لا تصلح للساحل. ولو لقي حتفه في البحر فلن يوجد من يعنيه أو يأسف عليه. وهذا هو الذي حدث فعلا”. وكان ذلك بمثابة لطمة كبرى لكروتما، فكيف تصبر على أن تسمع أنها فتاة غير صالحة للساحل؟ وهل هذه الدعوى حقيقة؟ وخيل إليها أن شعورها بالذنب قد اتخذ صورة حية ماثلة أمامها. وزوجها يقول ذلك قبل أن يمضي أسبوع على زواجهما.

وبكت كروتما بكاء شديدا وقد أخفت وجهها بيديها واقشعر جسدها كله. ونظر إليها بالاني
طويلا. وكانت تتنفس بتنهدي. ولعل قلبه قد رق لها. وسمعت في هذه الأونة قولاً نفذ إلى أذنيها
وكان له وقع السهام:

—“إن هذا ليس برأى اختلقته. بل إن هذا هو ما يقوله الجميع”. ثم أضاف بعد قليل:

—وسمعت هذا كله بابو.

وهكذا سالت الدموع في ذلك البيت لأول مرة بعد الزواج.

وحاول بالاني أن يهدئ خاطرها.

واستمر هذا الجو المتعكر مخيما طوال الليل.

وكانت تقول أثناء بكائها الشديد بصوت منقطع:

—إني لن أكون وبالا على الساحل.

وناشدته أن يصدقها في أنها لن تعمل شيئا يكون سببا في عدم عودة زوجها من البحر،
ولن تتسبب في غضب البحر الأم لكي يرسل أمواجه العاتية، وتخرج الأفاعي إلى الساحل،
وتحيط الحيوانات البحرية المفترسة بالقوارب. ولكنها ستعيش امرأة صياد وفيه وكانت تسأله
مرات كثيرة: هل يصدقها أم لا؟ ولكنه لم يجب بشئ على أسئلتها.

وهل كانت تستطيع إلا أن تضع وجهها على صدره الواسع وتبلله بدموعها التي تذرف من
عينيها؟

وسألها بالاني:

—لماذا تسأليني دائما عما كنت أصدقك أم لا؟ ويبدو أيضا من كلامك أنك تشكين في
ذلك—وألقيت جمرة أخرى على قلبها الملتهب. وهل كان عنده شئ من الشكوك في

أسرارها؟ ربما قام بعض الظالمين والحاquدين ببث إشاعات عديدة عنها. وسواء أعلم زوجها أسرارها أولم يعلم، أليس من الأفضل أن تخبره بكل ما وقع؟ ولعله يعفو عنها حينئذ. ولكن كيف تقول له كل ما حدث؟ ولكن من الأحسن أن تصارحه بكل شئ قبل أن يشيع أحد وشايات كاذبة حولها.

وكانت تقدم لحظة وتحجم أخرى لتقول ما يدور في ذهنها. وماذا تقول؟ وكيف تبدأ قصتها؟ وهل تقول له انها أحببت رجلا آخر؟ وهل يكون عند الزوج الصبر الكافي لأن يسمع هذا الكلام من زوجته؟ أو هل تقول له إنه كان لها زميل أثناء الطفولة يلعب معها؟ وهذا أيضا لا يصح. وإذا بدأت كلامها من هذه الناحية فربما تنطلق في كلامها بدون تحفظ في غمرة ذلك الذكريات الجميلة. وربما أنها تمدح فريكوتي أثناء كلامها. ويظن بذلك أنها ما زالت تحب فريكوتي. أم أنها تقول له إن شابا مسلما في الساحل قد سيطر عليها بسحره؟

وهذا أيضا أمر لا تستطيع أن تفكر فيه. كما أن هذا يؤدي إلى إساءة سمعة فريكوتي بطريقة مؤلمة والحقيقة أن فريكوتي ليس خبيثا ولم يسحرها ولم يخنها، ورأت صورة ذلك الشاب المسكين الذي نحل جسمه حزنا. واحمرت مقلته من كثرة البكاء المتواصل، رأت كل ذلك ماثلا أمام عينيها. وكان من الممكن أن ترى صورته في الظلام الحالك. وخيل إليها أنها وصلت إلى هنا بعد أن حطمت كبده، وجرحت قلبه، وضيعته من الوجود. وجعلته بيأس من كل شئ في هذه الحياة الدنيا. وسيردد نفس أغنية الوداع في ساحله، حتى إذا اشتعل رأسه شيبا، وسقطت أسنانه ووهن عظمه. وسيغنيها حتى ينفطر قلبه ويموت.

وكانت تراه واقفا أمامها فتتحرك شفتاها لتقول له شيئا ولم تشعر أن زوجها بجوارها. وانطلق صوت مسموع من فمها بدون أن تشعر:

—إنني أحب.

وقالت هذا لفريكوتي المائل أمامها. واهتزت نفسها لهذا الكلام.

وسألها بالاني:

—ماذا تقولين؟ هل تقولين إنك تحبين؟!—

وصحت كروتما من غفوتها. وخافت من أن يكون قد بدرت منها عبارات خاطئة. وجمعت كل قواها وقالت:

—نعم.

—من.

—زوجي.

وحان موعد نزول الصيادين إلى البحر. وتجمع الناس في الشاطئ. وألحت على بالاني ألا يذهب إلى البحر قبل أن يغتسل وقامت وغسلته بنفسها. ووصل بالاني إلى الشاطئ متأخرا قليلا. ولم يحصل له سابقة في التأخر عن الموعد. وانتظره رققاؤه بعض الوقت.

وقال ويلايودهان على سبيل الفكاهة:

—هكذا حال المتزوجين. فهم لا يستطيعون الصحو إلا متأخرين. وكانت نكتة بريئة ومطابقة للواقع. ولكن بالاني لم يعجبه هذا الكلام. فقال:

—أسكت يا عم ويلايودهان.

وقال ويلايودهان:

—لماذا تغضب علي يا ولد؟

وظن بالاني أن ويلايودهان يريد أن يقول شيئا آخر، وربما يكون ذلك عن كروتما.

وأنزل القارب إلى البحر. وكان بالاني بحوار دفته ولم يكن هناك أي أثر لوجود أسراب الأسماك، وكانت القوارب تحوم هنا وهناك بدون أن تطرح الشباك. ولكن بالاني وجهه قاربه إلى أعماق البحر بسرعة فائقة. وظن الآخرون أن في ذهنه هدفا معينا. وتسربت المخاوف

والشكوك إلى قلوبهم. ورأوا أن عضلات يديه قد تصلبت. وكان يطير بالقارب بمجدافه الجبار، وكأنه يريد أن يخترق به خط الأفق وكان اتساع البحر الممتد بلا حدود يضيق أمام نظرتة الطموحة ويستجمع قواه من جديد. وقد وصل القارب إلى أعماق المياه بعيدا عن عرض البحر.

وسأل "آندي":

—إلى أين تتجه بالقارب يا رجل؟

وأمسك الجميع عن التجديف. غير أن القارب كان تقدم بسرعة من شدة حركة دفته وسرعة مجدافه. وبدا لهم أن بالاني قد تحول إلى ماردي جبار.

وخاف "كومارو" ووثب إلى بالاني وقال:

—يا ابن الكلب. إنك وحيد وليس لك أحد ليسأل عنك. ولكن نحن لنا أهل وعيال فلا تلقنا إلى المصيبة. ثم أضاف كومارو في سورة غضبه:

—إنك قد أتيت بامرأة فاسدة وحق عليك أن تغرق في البحر وتموت وهذا مصيرك. وأما نحن فأصحاب عيال.

ونحوا بالاني عن الدفة بقوة. وأخذ منه ويلا يودهان المجداف وحول القارب إلى الورا وسكت بالاني، وكان مرهقا للغاية بعد هذه المحنة الشاقة. ثم اشترك معهم في التجديف. ووصل القارب عائدا إلى المكان الذي تقف فيه القوارب الأخرى وطرحوا شباكهم. ولم يجمع أحد شيئا من المحصول في ذلك اليوم. وكان في شبكة قارب بالاني بعض الأسماك الصغيرة. وحصل كل منهم على معدل رويية ونصف من ثمن بيعها.

وسأل ويلايودهان أثناء اغتسالهم في الشاطئ بعد نشر الشباك على الرمال:

—ماذا أصابك يا بالاني؟

وكان الجميع متلهفين على معرفة ذلك السر. فبالاني من أمهر الناس في قيادة القوارب وتوجيهها. ولكنهم لم يروه ثائرا وتائها مثل اليوم. وقال بالاني:

—لا أدري ماذا حدث، فقد نسيت نفسي.

وقال أندي:

—إن لنا أطفالا صغارا يا ابني.

وأبدى كومارو رأية قائلا:

—أرجو ألا تعطوا في المستقبل دفة القارب لبالاني. فسوف يغرقنا في البحر. ووافق الجميع على هذا الرأي.

وتيقن بالاني أن حظا سيئا قد أصابه بدون شك.

الفصل الثالث عشر

كان من العرف السائد أن يستضيف أهل العروس الزوجين في بيتها الذي تربت فيه. ولكن لا يوجد أحد في بيت كروتما يقوم بهذه المهمة. فما زالت جكى تلازم الفراش منذ يوم الزواج. وتقوم جارتها نلابن برعايتها ومساعدتها، وتشرف بنجامي على شئون البيت ولم يكن جنيان كنجي يهتم بزوجه المريضة. وناشدته نلابن مرات عديدة ليعرضها على أحد الأطباء، ولكنه لم يكن يعط لذلك أي أهمية. وهو لم يفرغ بعد من المشاغل المتعلقة بالزواج. وكان كل يوم يذهب إلى حجرة جكى ويلقي عليها نظرة عابرة. هذا كان كل ما يظهره من الاهتمام في أمرها.

وتحدثت إليه جكى يوما في دعوة كروتما وبالاني إلى البيت للضيافة حسب العرف السائد. ولكنه ثار في وجهها حينئذ وصاح قائلا:

—“إني لن أذهب. ولا أريدها أن تأتي إلى بيتي”. وغضبت جكى وأغمى عليها. وأخيرا أتى جنيان كنجي بطبيب إلى البيت ليعالجها.

وبدأ الناس يسألونه عن عدم دعوة البنت وزوجها للضيافة بعد أربعة أيام من الزواج حسب التقاليد. فكان يثور في وجوههم جميعا. وهكذا أصبح في خصام مع الجيران والأصدقاء في الساحل.

ولكنه كان يمكث في البيت في معظم الأوقات. وكان ينزل القارب يوميا إلى البحر. ولكن المحصول كان ضئيلا. ونشب الخلاف بينه وبين عمال القارب أيضا.

وفي ساحل تريكونابوزا أصبح أمر عدم استضافة أهل العروس للزوجين موضوع الحديث بين الناس جميعا. وهم يعرفون أن لها أقارب. فلماذا لم يأت أحد من بيتها ليدعوها إليه؟ ربما لأنها غير مرغوبة عندهم وقد نبذوها من المجتمع. لأنه حتى الفقراء لا يتخلون عن هذه العادة. فلا بد أن هناك سرا خفيا وراء ذلك.

وكانت كروتما تنتظر مجئ أبيها في كل لحظة. ولم تكن تتصور أنه سيتركها بهذه الطريقة. وخافت من أمر أمها أيضا، ولكنها لم تجرؤ أن تقول شيئا لزوجها وأخيرا قررت أن تفتحه في هذا الموضوع.

وانتهزت فرصة استراحتة بعد الطعام فقالت:

—من يدري أن أمي لا تزال على قيد الحياة أم لا؟

ولم يقل بالاني شيئا. ونظرت إلى وجهه باهتمام. ثم قالت وهي مترددة:

يا ليتنا نذهب لنزورها.

وكان رده حاسما وصارما:

—لا تتعبي نفسك في هذا الآن.

وما كانت تتوقع أن يجيب عليها بهذه الشدة. وخافت فعلا من الحالة التي طرأت عليه. وقد فوجئت بهذا التحول الخطير في هدوئه وتواضعه. وتظاهرت بالابتسام وقالت:

— وكيف تتكلم هكذا؟

وسألها غاضبا:

— وماذا إذن؟

سوف يكون لنا أيضا بنات ويكون لهن أزواج فينتقمون منا لهذا كله.

ورد عليها بالاني ردا مفاجئا:

— سأحتمله حينئذ.

ولم يكن لديها جواب فسكتت. وفي مناسبة أخرى سألته:

— هل تأذن لي لأذهب وحدي فأزور أمي؟

— ولم يكن له اعتراض على ذلك. ولكنه قال:

— إذا ذهبت..... فلا تعودي مرة أخرى.

وكظمت كروتما الغيظ الذي كان يخالج نفسها وقالت:

— يا للعجب. لا أدري ماذا في قلوب الرجال. ثم اصطنعت ابتسامة على شفثيها.

وظل قلبا جكى وكروتما يحترقان. وكانت الأيام تمضي وهما تنتحبان وليس هناك أحد يطفئ نار قلبيهما، ويهدئ سوء حالهما.

وذات يوم حينما علم فريكوٲي خير اشتداد مرض جكى ذهب إليها ولم يكن جنيان كنجي موجودا في البيت وعندما رأته انفجرت باكية. وتحير فريكوٲي حينما سمع نحيبها ورأى الدموع تذرف من عينيها.

وكان قد حدث تغير ملموس في طبيعة فريكوٲي. ولم يعد الآن ذلك الشاب الذي يفور حماسا ونشاطا.

وقالت جكى في أثناء بكاءها:

—إنني أموت يا مودالالي.

وفهم فريكوٲي أن صحتها معتلة جدا. ولكنه أراد أن يسليها فقال:

—ماذا تقولين يا جكى. أنت لست مريضة لهذا الحد.

وأشارت إليه جكى ليجلس بجوار سريرها. وكانت تنظر إليه باكية. ولم يكن يدري ماذا يقول لها. وقالت وهي تنظر إليه:

—أريد أن أتكلم معك في أمور كثيرة يا كوشومودالالي.

وطلب منها فريكوٲي أن تقول كل شئ تريده.

وأرادت أن تتكلم معه أولا في مسألة المبلغ فقال لها:

—لا تفكري في هذا الأمر.

ولعنت جكى زوجها. ووصفته بأنه طماع وجشع وقالت:

—ماذا نفعل نحن المساكين؟ فإنه لن يسدده.

—لا تتعبي نفسك في هذا الموضوع ولا تفكري فيه.

—ليس الأمر هذا فقط يا مودالالي!

ولم تستطع جكى أن تكمل كلامها. وبعد قليل استعادت قواها وأضافت:

—إن ابنتي لم ترسل إلى مكان سعيد. ولعلها تعاني الآلام في كل لحظة.

ثم أردفت جكى قائلة:

—“إنني على فراش الموت. ومع ذلك لم تأت ابنتي لتراني”. وكانت تتكلم بعاطفة

الأمومة، أليس لها الحق لأن تتألم؟

وقد كانت وراء ابنتها غرام وقد تم زواجها من رجل آخر ومن يدري أن ظلال تلك القصة لا تتابعها؟ وأن الماضي لن يكون له أثر في صفحات حياتها الجديدة؟ وفوق ذلك كله أن كروتما ذهبت مع رجل ليس له أحد في هذه الحياة الدنيا. وما هو الدليل على أن بالاني سيحب كروتما. وقالت جكى:

—أشعر أنني وضعت بنتي في قارب صغير ثم أرسلته إلى عرض البحر.

وقال فريكوتي:

—لا تظني هذا الظن. فإن بالاني عامل كادح وأنه يهتم بها.

وهزت جكى رأسها وهي غير مقتنعة بهذا القول. ثم أضافت وعلامات الحزن على

وجهها:

—كنتها تلعبان معا في هذا الساحل أيام طفولتكما!

أصاب هذا القول النقطة الحساسة في قلب فريكوتي واستعاد ذكرياته الماضية واهتزت مشاعره. ولاحظت جكى هذا الانفعال الذي ظهر على ملامح وجهه. فهي أيضا تلم بخيوط تلك القصة التي تمس أعماق القلوب الشابين. ووقالت وهي المريضة كأم نصوح:

—لم يسمح لي القدر لألد ولدا—. ثم أضافت وهي في بالغ الحزن:

—ولكن لي ابن.

ونظر فريكوتي في وجه جكي وكأنه يستفسر عن يكون ذلك الابن الذي تقصده. ونظرت إليه كأنما تريد أن تخبره عن هو ثم قالت وهي ممسكة بيده:

—أنت ابني يا فريكوتي.

وجاء قول جكي كالبلسم الشافي لقلبه الجريح. وشعر بارتياح عواطفه الملتهية. ولم تعد كروتما منذ الآن حبيبة له فقط. ولكن رابطة أوثق ربطتهما إلى الأبد. ولم تعلق جكي آمالا كبيرة على الحياة الزوجية لكروتما. وتذكرت تلك الأيام التي كانت تجمع كروتما وفريكوتي في الساحل. واتخذت جكي فريكوتي ابنا لها. وذهبت آماله أدراج الرياح. وهل يمكن أن تكون كروتما له مرة أخرى؟ وهل تتوقع أمها ذلك؟ وفي غمرة هذه الشكوك والمخاوف المتراكمة قالت جكي مخاطبة فريكوتي:

—يا بني. لا بد أن تتزوج فتاة جميلة وتعيش حياة سعيدة. وإنني أتمني لك نجاحا باهرا في تجارتك.

وجلجل هذا الكلام في أذن فريكوتي. فقد قالت كروتما من قبل أيضا. ولكنه لم يجب على قول جكي كما أجب على قول كروتما من قبل

وأضافت جكي فورا:

—ولا تخرج كروتما من الآن. وقد أصبحت متزوجة. ولا ينبغي لك أن تضايقها فإنك أخوها و عليك أن تقبلها كأخت لك.

واندهش فريكوتي لسماع هذا الكلام الذي نفذ إلى أعماق قلبه. وأن العدالة والشرعية تسمحان له بأن يتدخل في شئونها من هذه اللحظة. وليس هذا توهما. بل إن صوتا يتردد في أذنيه:

—إن فريكوتي قد صار أخا لكروتما. وليس لها شقيق من أبويها فلا بد أن تكون أخا لها يا بني.

وقد قالت له جكى هذا الكلام بنفسها. وقالت له كلاما كثيرا. فإن جنيان كنجي قد يترك كروتما وهي تعيش مع رجل ليس له أهل ولا أقارب ولا بيت. كما أن أمها على فراش الموت. ومن لها في هذا العالم ليشراف على ابنتها؟ إنه فريكوتي فقط.

وجددت جكى تلك العلاقة القائمة بينهما، علاقة الاخوة. ثم سألته:

—هل ستكون أخا لكروتما دائما يا بني؟ مجرد أخ.

وامتألت عينا فريكوتي بالدموع. ورأت جكى الجموع تذرف منهما. وعرف جيدا سبب هذه الدموع وما وراءها، وبينت جكى أسرار تلك القصة الغرامية:

—إنني أعرف أنك كنت تحب كروتما. واعتبرها من الآن أختا لك. وهذه هي دلالة حبك لها، أليس كذلك؟

ولم يرد فريكوتي بشئ على ذلك. وسالت الدموع على خديه. ويشترط لحبها أن يكون أخا لها.

ومضت لحظات من الصمت. ثم سألته جكى:

—أليس كذلك يا بني؟

وأجاب فريكوتي بغير شعور:

—نعم.

—فليعش كل منكم أخوة متحابين.

وأردفت بعد ثوان:

—“وإن كانت هنا الآن لقلت لها هذا الكلام وأنا في فراش الموت”. وطلبت منه جكى مرة أخرى أن يكون أختا لها. وناشدته أن يرعاها حيث أنه ليس لها أحد. وأن يخبرها أيضا ان لم تحضر قبل أن تموت أنه أصبح لها أختا.

ووافق فريكوتي على هذا كله. وألحت عليه مرات ومرات بهذا الرجاء.

وسمعت جكى في تلك الليلة فريكوتي يغني في الساحل. وكانت تلك الأيام أيام محنة لجنيان كنجي. وكان المحصول ضئيلا. وظن أن سبب ذلك عدم ذهابه بنفسه مع العمال في القارب.

وتكبد خسارة أخرى. فقد كان له على تاجر الجملة “قادر” بعض المبالغ من بيع الأسماك له. ولكنه جمع ماله وهرب من الساحل خلسة.

وقرر أن يذهب بنفسه إلى البحر. وواصل قيادة قاربه كالمعتاد. ولكنه كان يجلس بجوار الدفة، ولم يكن واقفا كالمعتاد. ولم يكن القارب يسير بسرعة الطير بمجدافه الجبار الذي تحركه يده القوية. وهو عاجز عن الوقوف بجوار الدفة والإسراع بالقارب. وكأنه أصبح يخاف من الوقوف فوق أطراف الدفة الدقيقة وشعر بهزة خفيفة تسرى في جسده كله.

وتوقف سباقه مع القوارب الأخرى. وهل يرى أهالي الشاطئ ذلك المنظر الرائع بعد

الآن؟

وعاد بقاربه إلى الشاطئ قبل ساعات من مواعده المعتاد. وسأله العمال عن سبب ذلك.

فقال:

—دعونا نعود الآن. وبهذا نكتفي اليوم.

ولم يكن جنيان كنجي يشعر بالاكْتفاء يوماً ما من قبل.

وفي أثناء عودته إلى الشاطئ أفلت المجداف من يده وسقط جنيان كنجي في الماء.

وأنقذه العمال وانتشلوه إلى القارب: ثم لم يجلس إلى الدفة.

ولم يساوم جنيان كنجي في ذلك اليوم على حصيلته وباعها فوراً. وعاد إلى البيت مرهق الأعصاب، منهار القوى وكانت بنجمامي في انتظار أبيها. وأعدت له الأرز والطبخ وقالت لها جكي من الداخل:

—إن أباك قادم يا ابنتي. فأحضري له الطعام.

وأحضرت بنجمامي الطعام. وأكل جنيان كنجي لقيمات قليلة ثم قام. وقالت بنجمامي مندهشة:

—أمي. إن أبي لم يأكل شيئاً.

وبعد أن غسل جنيان كنجي يديه دخل إلى حجرة جكي وجلس بجوارها. ونظرت إليه باهتمام كبير. وامتلات عيونهما بالدموع. ولأول مرة في حياتها ترى الدموع في عيني جنيان كنجي. وسألته:

—ماذا سنعمل، وهذا هو المقدر لنا.

وتراجعت الدموع في عينيه ولم يسمح لها بأن تتساقط على الأرض. فما زالت قوة إرادته باقية لهذا الحد. وسأل:

—ألا تستطيعين القيام من السرير؟

—إنني حاولت كثيراً. ولكن ماذا أفعل؟

وسأل بعد صمت قصير:

—ثم ماذا أعمل؟

وهل بدأ جنيان كنجي يفكر في الحياة التي يعيشها وقد فارقتة جكى؟ وهي حياة غير متكاملة. ولا يستطيع أن يسير فيها إلى الأمام. وماذا يكون جواب جكى على هذه التساؤلات الخطيرة؟

ولا حظت جكى على جنيان كنجي أن حماسه وملامح نشاطه قد انكشيت. وحكى لها ما حدث له في البحر.

—إن رجلاي قد خارت قواهما أثناء العودة.

ولم تكن جكى تظن أن حادثا مثل هذا سيحصل لزوجها في البحر تفكر في هذا من قبل. والآن قد حدث فعلا وربما يحدث مثله في المستقبل أيضا. وقال لها:

—وماذا أفعل يا جكى؟

سألها هذا السؤال حائرا. ولمن يوجه هذا السؤال غيرها؟ ومن له الحق في أن يجيب عليه غيرها أيضا؟ وكانت جزءا لا يتجزأ من نظام حياته ونجاحه. والآن قد لازمت الفراش واختل ذلك النظام. بل إن حماسه قد قل، وضعف نشاطه.

والذي يجلس على ذلك السرير الآن هو جنيان كنجي اليائس الحائر.

وأمسكت جكى يد جنيان كنجي ووضعتها على صدرها وقالت:

—وماذا تعمل بعدي؟

ورد جنيان كنجي باكيا

—لا تقولي هكذا. ثم ماذا أعمل؟

وشدت يديه على صدرها. وشعر أن قلبها يدق بعنف وصدرها يهتز. وكأن يده ترتفع من شدة نبض قلبها.

وسمع صوتا نفذ إلى أذنيه، وهي تنظر شاخصة إلى وجهه:

—تزوج امرأة أخرى.

قالت جكي ذلك ثم ظهرت آثار الضعف على جسمها كله. وأصبحت نبضات قلبها بطيئة. واستقر نظرها على وجهه. وسألها جنيان كنجي:

—ماذا تقولين؟! أتزوج امرأة أخرى؟

ولم تقل شيئا. وهي تعرف ضرورة وجود شريكة لحياته وهي قد اقترحت وسيلة لذلك. ولم يفكر جنيان كنجي في هذا الأمر من قبل. وقال:

—لماذا لا تتكلمين؟

وأغمضت جكي جفניה غمضا خفيفا. وساور جنيان كنجي الخوف وهزها ونادها:

—جكي!

وكان الصمت التام. ولم يعد فيها حراك.

—هل فارقتني؟

وسقط جنيان كنجي على صدرها. ولم تترك بعد يديه من قبضتها.....

الفصل الرابع عشر

وظلت بنجامي تبكي: ومن لي بعدك يا أمي! وكانت نلابن تواسيها وقد أوصتها جكي ببنجامي.

ورفع أجاكنجي وزملاؤه جنيان كنجي عن جثمان جكى وأبلغوا الخبر إلى زعيم الساحل. وحضر الزعيم. وتشاوروا في الطقوس التقليدية في مثل هذه المناسبة وتحدثوا في أمر إخبار كروتما. وسأل أحد الحاضرين:

—هل أخبرتم البنت؟

وسمع جنيان كنجي الحزين هذا السؤال فقال صارخا:

—لا. لا حاجة إلى ذلك.

وقد كان من رأي جنيان كنجي أن كروتما هي السبب في موت أمها.

وظل الحاضرون صامتين بعض الوقت. وكأنهم يفكرون في أسباب هذا القرار الحاسم الذي اتخذه جنيان كنجي. وينتظرون رأى زعيم الساحل في هذا الموضوع. وأبدى الزعيم رأيه:

—إنها رأت أمها طريحة الفراش، ومع ذلك تركتها وذهبت. فلا ينبغي أن نبلغ نعيها الآن.

وعاد الجميع بذاكراتهم إلى ما جرى وقت الزواج. وكان ذلك حدثا مشؤوما. وما زالت بنجامي تنادي أختها. ومن لها غيرها؟ ولكن من الذي يعبأ برأيها؟ وبدأت إجراءات مراسم الدفن. وكان فريكوتي واقفا هناك صامتا. وفكر في إتمام دفن جكى بدون كروتما. ولكن ليس له الحق في أن يتدخل في شئونهم. وما مدى حزن كروتما إذا دفنت أمها دون أن تحضر؟ وربما تساءلته حينما يتقابلان:

حتى أنت يا مودالالى لم تخبرني بذلك. كما أن له الحق تجاه المرأة المتوفاة.

وخيل إلى فريكوتي أن عليه أيضا بعض الواجبات نحو هذا الأمر. ولم يتبين له بكل وضوح. وقد أصبح لكروتما أبا وأصبحت له أختا.

ولم ينم فريكوتي في تلك الليلة. وقام عندما انتصف الليل وأغلق المحل ومشى عبر الشاطئ والهواء الطلق يحمل إلى ذهنه ذكريات جميلة. وصوت البحر الموسيقي ينفذ إلى أذنيه، وهو يذهب مسرعا الى "تريكونابوزا" ليخبر كروتما بوفاة أمها.

ما حقه في القيام بهذه المهمة؟ وإذا سأله أحد في هذا الشأن فبماذا يجيب؟ وكيف يفتح الكلام مع كروتما؟

كل هذه أسئلة كانت كافية لأن يحجم فريكوتي عن الإقدام ولكنه مضى قدما، فعنده حجة قوية، وذلك أنه أخوها وقد اتخذته أمها لها ابنا وكروتما أخا. وهل تكون هي بدورها أختا له؟ وكيف تتم المقابلة بينهما؟

ووصل فريكوتي في لساعات الأولى لصباح اليوم التالي إلى ساحل تريكونابوزا. وقابل هناك صيادا متوجها إلى البحر. فسأله عن مسكن بالاني. وقد تعرف هذا الصياد على فريكوتي لأنه رآه من قبل عندما زار ساحل "نيركونام" يوما. وسأله:

—لماذا تبحث يا كوشومودالالي في هذا الوقت المبكر عن بالاني؟

وأخرج فريكوتي من هذا السؤال قليلا. ولكنه أجاب:

—إن أم زوجته قد توفيت.

وكان هذا الصياد يعرف جنيان كنجي وجكى معرفة شخصية. وأثنى على جكى حينما سمع هذا النبأ. ثم وجه إلى فريكوتي سؤالا محرجا لغاية:

—لماذا جئت يا كوشومودالالي لإبلاغ هذا النبأ؟ أليس هناك أحد من الصيادين؟ وفكر فريكوتي فعلا في هذا السؤال. وأنه من المحتمل جدا أن يوجه إليه في أي وقت.

واستعد للرد المناسب إذا اقتضت الضرورة. وما كان يظن أن رجلا أجنبيا يوجه اليه مثل هذا السؤال ويحتاج إلى الرد عليه. ولكنه أجاب:

—قررُوا ألا يبلغُوا بالاني وزوجته هذا الخبر. ولذا جئت بنفسى لأخبرهما. ثم بين له ما جرى هناك من النقاش عقب موتها.

وكان سؤال الصياد “كوشوناتان” ما زال يتردد في أذنيه:

—إذن لماذا أتعبت نفسك في هذا الوقت المتأخر من الليل يا كوشومودالالي؟ ولم يكن لديه أي جواب أوحجة غير وصية جكى له بأن يتخذ كروتما أختا له. وإذا بدأ في سرد هذه القصة فسيضطر إلى بيان جميع الخطوط التي وراءها. فكيف يصبح شاب مسلم أختا لبنت من الصيادين؟ ولماذا اتخذته أمها أختا لها. وتردد فريكوتي في الجواب ثم قال: إنه جاء لإبلاغها بوفاة أمها إشفافا عليها عندما سمع قرارهم بعدم إبلاغها ذلك النبأ.

وهل صدقه كوشوناتان أم لا؟ على كل حال فقد دله على منزل بالاني.

ووصل فريكوتي إلى منزل بالاني المتواضع. وكان الجوهادئا. وقد نزلت القوارب إلى البحر.

ولم يكن فريكوتي يدري ماذا يقول لكروتما. وكيف يبدأ الكلام معها؟ وهل يفاجئها بنبأ وفاة أمها؟ أم يجعلها تعرف ذلك من سياق الكلام.

ووقف برهة من الوقت عند باب المنزل مرتبكا لا يدري ماذا يفعل. ثم انطلق لسانه بصوت دون أن يشعر:

—يا كروتما!

ولم يجبه أحد. وناداهما مرة ثانية

— من بالباب؟

وتعرف فريكوتي فورا على صوت كروتما، وقال:

—أنا ياكروتما.

—أنت من؟

—ألم تعرف في صوتي إلى الآن؟

—من؟

—فريكوتي.

وساد صمت رهيب لفترة قصيرة قطعه صوت فريكوتي:

—إني حضرت لأخبرك بنبا هام.

وسألته كروتما مرتجفة:

—“حتى بعد أن تركت بيتي وأهلي تلاحقتني أيضا ولا تتركني أعيش في هدوء”.

وأضافت بعد لحظة صمت:

—لا. إني لن أفتح لك الباب. ولا أريد أن أراك.

ونفذت هذه الكلمات إلى أعماق قلبه. صحيح أنها تنشد الهدوء. ولكنها لا تجده هنا أيضا.

وفكر فريكوتي في أن يعود دون أن يخبرها. أو يخبرها بوفاة أمها من خلف الباب. ولكن

كيف يفاجئها بهذا النبا المؤلم؟

وطلب منها مرة أخرى أن تفتح له الباب وقال:

—ألم تعرفيني يا كروتما؟

وأجابت من الداخل وهي تعض على نواجذها:

—نعم إني أعرفك.

—ثم لماذا لا تخرجين؟

ولم ترذ عليه بشئ. واستطرد قائلاً:

—إني أعرف أنك الآن متزوجة كروتما ولكني أنا فريكوتي ولم أتغير.

وقالت يائسة:

—إني لا أستطيع أن أراك.

وقال فريكوتي بدهاء:

—لا تقولي هكذا. ولا بد أن نتقابل مرة أخرى يا كروتما ونتحدث وجها لوجه.

—يا للعار!، لا يمكن هذا أبدا. فإن زوجي ذهب إلى البحر في مواجهة العواصف والأمواج العاتية.

وساد صمت تام فترة من الزمن ثم نطق:

—كروتما.

ولبت نداءه بدون أن تشعر.

—نعم.

—أنا أخوك الآن.

—أخي! كيف؟

واستطاع أن يصور تلك العلاقة الوثيقة بينهما في شكل جديد دون أن يقطعها، وسمّاها بتسمية جديدة دون أن يطرأ تغيير جذري عليها.

وشعرت كأنها تحس بارتياح عميق في نفسها وقال فريكوّتي:

—نعم يا أختي. إني أخوك. وهل لك أخ آخر؟

—لا. ليس لي أخ آخر.

—إذن فإن أخاك هو الذي يدعوك الآن وقد أوصتني أمك أن أشرف عليك كأنك أختي.

—أمي؟

—نعم، افتحي الباب لأقول لك.....

وأضاءت كروتما المصباح وفتحت الباب وخرجت إليه. ولم يدر فريكوّتي كيف يخبرها بذلك النبأ المفجع ولكنه أخرج الكلمات من فمه بصورة حزينة:

—يا كروتما. إن أمك جكي قد ماتت.

وصرخت كروتما. وقبل أن يقدم الجيران لسماع سبب نحيبها كان فريكوّتي قد غادر المكان.

وحاولت نساء الجيران أن يهدئنّها ويخففن من روعها من شدة وقع هذا الخبر الذي سمعنه منها.

ولكنها لم تقل حتى في هذه اللحظة الرهيبة عنم أخبرها بذلك الخبر. وقالت النسوة أنّها ربما وأت ذلك في النوم.

وبعد ساعات من البكاء أفاق كروتما من صدمة هذه المفاجأة. وكادت الشكوك تساور قلبها أيضا عن صدق هذا الخبر. وربما كان ذلك من كيد عاشق فاشل. وإذا ماتت أمها حقيقة فلماذا لم يأت أحد من أهلها ليخبرها بهذا النعي؟

وقد ذهب وزوجها إلى البحر. وعليها أن تعد الطعام قبل أن يعود. وأوى شعورها بمسؤولية الزوجة إلى الانشغال بأعمال البيت كالمعتاد.

وكانت تتوقع كل حين وآخر مجيء أحد من بيتها ليبلغها خبر وفاة أمها.

وعاد بالاني في ذلك اليوم قبل الموعد المعتاد.

وقالت له كروتما باكية:

—إن أمي قد ماتت.

وتظاهر بأنه لم يسمع قولها. وبدت على وجهه علامات الانفعال التي لم تلاحظها عليه من قبل. ومازالت تبكي ثم قالت:

—أنا الذي قتلت أمي.

وسألت بالاني بدون أدنى رأفة:

—من جاء هنا ليبلغك هذا الخبر؟

وحارت في العثور على جواب. ونظر إليها متفحصا. وقالت:

—كوشومودالالي.

—أين هو الآن.

—ذهب بعد أن أخبرني هذا الخبر.

وما هو السبب الحقيقي لانفعال بالاني؟ الأجل مجئ فريكوتي؟ أم لعدم إبلاغ خبر الوفاة بطريقة صحيحة؟ وسألها بالاني:

—هل أرسله والدك؟

ولم يكن في وسعها أن تجيب على هذا السؤال. وأضاف:

—ألا يوجد أحد من أبناء الصيادين في ساحلك ليأتي بهذا النبأ؟

كيف وبماذا تجيب على ذلك؟ ولم يكن الوقت أوان المناقشات القانونية والعرفية.

وقد تمكن شئ في قلب بالاني ولا تعرف حقيقة ذلك الشئ.

وليس لها أن تقول حينذاك إلا شيئاً واحداً:

—هل تذهب؟

—أين؟

—إلى نيركونام.

وشد بالاني شفثيه وابتسم. وفهمت كروتما أنه لا يريد الذهاب. وقالت:

—لقد ماتت أمي التي ولدتنني.

ولم يغير بالاني موقفه قيد شعرة. وقالت كروتما: إن أمها كانت تحبه كابنها ولم تفعل أمها شيئاً يغضبه له إن خروج كروتما معه يوم الزواج كان بإصرار من أمها.

ثم قالت كروتما:

—أقسم بالله البحر أن أمي هي التي ألحت عليّ بالخروج عندما أبديت ترددا فأرجوك أن

تذهب الآن.

وقبلت قدميه وهي تبكي. ولكنه لم يحرك ساكنا ووقف كتمثال صامت. مع إن جكى هي التي علمت بالاني ما هي الأم وقد ماتت الآن. ولا بد أن تمس وفاتها مشاعره أيضا. وقال قولاً كأنه ينبعث من أعماق نفسه:

—إن زملائي قد أعادوني من البحر وأنزلوني في الشاطئ.

وقالت كروتما:

—الذهاب إلى نير كونام؟

—قالوا ذلك. ولكن السبب الحقيقي ليس هذا.

—ماذا إذن؟

وقال بالاني بعد لحظة:

—لقد رأى كوشوناتان فريكوتي يأتي إلى هنا ويشيع بابو أنواعا من الأكاذيب والأقاويل في الساحل كله.

وارتجف صوته وانخفض وبعد قليل من الصمت أضاف:

—هم أصحاب عيال. ولهذا أعادوني إلى الشاطئ.

وفهمت كروتما كل شيء. وقد حدث هذا أيضا. ولم يكن لديها إلا سؤال واحد وجهته إليه:

—وهل أنت تشك في أمري؟

ولم يستطع أن يجيب بإيجاب أو نفي. ثم قال:

—أين ذهب ذلك الشرير بعد أن قال هذا الخبر؟

—لم أره قط بعد ذلك.

—لماذا ج نفسه إلى هنا؟

وكان هذا هو الوقت المناسب لتقول له كل شيء. وقررت أن تصرح له بكل ما حدث. ولكن لسانها لم يطاوعها ولم تجد الكلمات التي تقولها. وسألها بالاني:

—ماذا قال لك؟

—قال: إن أمي قد ماتت.

وهذه هي الفترة الحاسمة لتقرير مصير هذه الأسرة الصغيرة. وانتشر هذا الخبر في الساحل كله. وكان الجميع يعرفون أن جكى العجوز كانت مريضة جدا. ربما يكون خبر موتها صحيحا. ولكن لماذا جاء ذلك الشاب المسلم لإبلاغ هذا الخبر؟

وقال كوشوناتان:

—وكان مرتبكا. وقد لا حظت ذلك بنفسي.

وقال بابو: إنه رأهما يمرحان و يلعبان ليلا ونهارا في ساحل نير كونام. ثم أردف يقول:

—إنه يغني في الليل فتخرج إليه. ولهذا أحدثت شغبا يوم زواجهما. ونجح بالاني في الوصول إلى غرضه. وأصبح الكل حزينا على وقوع بالاني في هذا الفخ.

وتساءل آخر:

—وكيف نأخذه معنا في القارب؟

ومعنى هذا السؤال أن بيت بالاني ليس نظيفا. وأن وجوده في القارب يجلب المتاعب والكوارث لكل من فيه في أي وقت. وسأل ويلايودهان:

—من قال إن بيته ليس نظيفا؟

وانضم أندي لصف ويلايودهان وسأل كوماران الذي أثار هذه المسألة:

— يا رجل. هل تستطيع أن تؤكد ذلك؟

ومن يقدر أن يؤكد أن بيته نظيف؟

لا يستطيع أحد أن يتعمق في هذا الموضوع أكثر من ذلك. وأغلب ظن كل واحد أن بيته نظيف. لأنه لا يحدث شيء من الكوارث. ولكن هناك بعض الشكوك في تصرفات بالاني. حيث أنه أخذ قاربه في ذلك اليوم إلى أعماق البحر. ألم يكن ذلك لحدوث خلل في عقله؟ والقصة التي يشيعها بابو تحدث بلبله في أفكار الجميع. ولكن الاعتقاد السائد أن كروتما فتاة طيبة.

وحاول الجميع ماعدا كومارو أن يصدقوا أن بيت بالاني نظيف.

وأثار كومارو سؤالاً جديداً لم يستطع أحد أن يجيب عليه بإقناع:

— هل كان من تقاليد الصيادين أن يرسلوا شاباً مسلماً بالنعي؟ بل لماذا جاء في وقت

الفجر؟

أما في بيت بالاني فما زال الموقف غير مستقر وطلبت منه كروتما أن تذهب إلى بيتها لكي ترى جثمان أمها وتطلب منها الصفح والغفران. ولم تكن تناشده بذلك بحق الزوجية بل بحق امرأة يحترق قلبها حزناً وأسى. ولكنه لم يتكلم. وسألته:

— هل أنت واثق بي؟

وأجاب:

— نعم، إنني سأثق بك.

ولكنه يريد أن يعرف منها أشياء كثيرة. وهذا واضح من وعده لها بأن يثق بها. وكانت في أتم استعداد لتقول له كل شئ يريده ولا تريد أن تخفي عنه شيئاً ولكنها عاجزة عن عرض ذلك كله في هذا الوقت. فهو وقت عسير وشاق بالنسبة لها. اما بالاني فهو قاصر عن تفهم خطورة تلك اللحظات التي تقضيها. ولعله لا يستطيع أن يفهم المعنى الكبير المترتب على وفاة الأم. وأهمية تلك الفترة التي تقضيها فلذة كبدها.

وبكت كروتما بكاء شديداً. وخطرت ببالها فكرة جديدة وطلبت منه السماح لتذهب وحدها، بشرط أن تعود في نفس اليوم.

ولم يعطها جواباً صريحاً على هذا الالتماس أيضاً. وخيل إليها حينئذ عما اذا كانت تستطيع أن تذهب بدون إذنه. ومعنى ذلك أنها لن تعود إليه أبداً. وهي ليست مستعدة لذلك. فقد ولدت بنتاً لصياد وستموت كذلك. وكانت هذه هي أمنية أمها الفقيدة. وهي مستعدة لتموت تحت قدميه. ولا تعتقد أن أباه الذي لم يرق قلبه ليبلغها نبأ وفاة أمها سيقبلها. وليس لها الحق في أن تطالبه بذلك فهي لم تنزل على رأى أبيها وقد تركت بيتها إلى الأبد لكي تتبع زوجها. وستموت في هذا الكوخ المتواضع.

وتذكرت كروتما نداء أختها بنجامي: يا أختي!

وحينما تدفن أمها تحت تراب الساحل لاتزال تبكي يائسة وليس لها أية حيلة، كالطير المحبوس في قفص محكم الغلق، وقد صارت في ذلك البيت!

وسيكون فريكوتي آخر في الساحل.

وطارت طمأنينة قلب بالاني وجلس شارداً الفكر، شاخصاً ببصره إلى أفق بعيد، ولم يعرف من قبل ما هو الفكر. وحيثما نزل، كان الفكر يلاحقه.

وتقربت كروتما إليه وسألته:

—ألا تأكل الطعام؟

وقال:

—لا أشعر بالجوع.

—وما هو السبب؟

وسألها:

—لماذا جاء ذلك الولد المسلم هنا؟

وقالت كروتما الحق المر:

—إذا سألتني: لماذا فأقول: إنه جاء ليهلكني. وما غرضه غير هذا؟ هي الآن تواجه تلك المشكلة بحذافيرها. وعندها الجراءة الكافية على ذلك. أما بالاني فقد دخل في الموضوع بتفاهم وحكمة وسأل:

—من هو يا كروتما؟

واستعدت لتقول كل شئ بتفهم تام. ولا تحتاج إلا إلى كيفية البدء في صميم الموضوع. حتى كيفية البدء والختام لا تهمها. وحينما عزمت على المصارحة بكل شئ لم يعد لديها خوف من طريقة أو أخرى في سرد القصة بأكملها. وقالت:

—كنا نلعب في الساحل سويا منذ الطفولة. ثم استطردت في سرد القصة كاملة. وسمعتها بالاني بدون انفعال أو تغير.

ألم تكن لهذه القصة خطورة ما حتى يلتزم بالاني الصمت؟ وخافت كروتما من صمته الرهيب.

وبعد أن سردت بعض فصولها سألتها:

—ألا تصدق ما أتقول.

وأخبرها بالاني أنه يصدق ماتقول.

امرأة تسرد قصة غرامها بنفسها لزوجها. وليس فيها مرحلة تبعث على الشك. ألم تكن ترسم بذلك صورة سوداء لنفسها؟

ووصلت في حوادث قصة حياتها إلى سن الثامنة عشر. ولم تستطع أن تنطلق بها على نفس المنوال. ولم تذكر كروتما شيئاً عن ذلك المبلغ ولا عن تلك الأغاني. وكذلك لم تقل له ماذا حدث وقت الوداع الأخير. وهل خيل إلى بالاني أنها أخفت عنه شيئاً أم لا ؟
وقالت كروتما:

—ليس لي أخ. وهو بمثابة أخ لي .

ولم يكن لهذا القول أي وقع يذكر على موقف بالاني. وسأل بعد أن سمع هذا كله:

—إذن ما يقوله الناس من أنك مطرودة من ساحل نير كونام صحيح، أليس كذلك؟

ولم يكن لدى هذه الزوجة جواب على هذا السؤال غير جواب واحد. وهو أنها ستعيش دائماً في هذا الساحل عيشة امرأة صياد صالحة.

الفصل الخامس عشر

إن بالاني لم يشك فيما قالته كروتما عن قصة علاقتها بفريكوتي. ولكن تلك القصة مازالت لطخة عار في جبين حياته الزوجية، وصار بالاني كنيبا فاتر النشاط. وهل يستطيع له أن يفند رأي بابو علنا؟ ويعرف بالاني أنها عفيفة السيرة. ولكن بابو إذا قال له أمام الناس أنها لا تصلح للساحل، فكيف يعارض قوله، ويثبت براءتها؟ وقد أخذها معه من قدمي أبيها. ولا يسمح واجبه كصياد أمين لأن ينيذها، وإذا تركها فأين تذهب؟

وصارحته بكل شيء، وهو مصدق لقولها، وهي تعده بعين باكية، وب نظرة الاعتراف بأخطائها، أنها تعيش في المستقبل عيشة صالحة طاهرة ويطلب منه أن ينسى ما حدث، ولا ينكر بالاني أنها توفي بوعدها كاملا غير منقوص.

ولا يقدر أن يقبلها بحب وحنان، وأن معانقته إياها لا تتحمس كما كان قبل وهي تتأوه بعبارات مفهومة في غمرة الدموع، وتمسكه بكل قوة بيديها الناعمتين مخافة أن يفلت من قبضتها، وتتوهم أن قبضتها تلين في كل آونة. وتسأله عما إذا كان يصدقها؟ ولا تسأله عما إذا كان يحبها؟ وهل تشك في أن تخسر حق هذا السؤال؟

ولأول مرة في حياته تخاصم بالاني مع الناس. وذات يوم تحدث إليه بابو صراحة أشياء من سيرة كروتما. وقد سمع بالاني هذه القصة من كروتما نفسها. ولكن كيف يسكت عندما يسمع شخصا أجنبيا يطعن في سيرة زوجته؟

واشتد النقاش بينهما، ووجه بالاني ضربة إلى بابو. ولم ينحصر صدى هذا لخصام بينهما فقط، فإن بابو من عائلة كبيرة، وأفرادها كثيرون. بدأوا يتساءلون: كيف تجرأ بالاني على ضرب صياد من عائلة "تينغوم كوتام"؟

ومن ناحية أخرى توقف برنامجهما لتنظيم البيت. فإن محصول الصيد كان ضئيلا جدا في تلك الأيام. وليس لبالاني أي رغبة في العمل. وفوق هذا وذاك أن كروتما لا تجرؤ على أن تسأله عن حصته اليومية.

ألا يريد أن يزينها ويصحبها إلى مهرجان "آبيليام" في "مانارشالا"؟

وهل يوسع بيته ويدبر لوازمه؟ وكان له مشروع من قبل لشراء قارب وشبكة، وقد صار الآن في حكم الملغى. وليس متأكدا في تحقيقه. وواجه المشاكل حتى في قضاء ضرورتهما اليومية. تحتاج كروتما إلى البلوزة والإزار. وما كان لبالاني الاقميص مرقع.

وسألته كروتما يوما:

—هل سأذهب إلى الشرق لبيع الأسماك ابتداء من الغد؟

ولم يجب بالاني فورا، وبينت له الفوائد المترتبة على مثل هذه التجارة. ولكنها لن تقوم بها إلا إذا أذن لها به. وقال:

—حسنا. فاذهي!

واشترت سلة خلال يومين. ولما عادت القوارب إلى الشاطئ في اليوم التالي كانت كروتما حاضرة فيه لتشتري الأسماك من أصحاب القوارب لكي تبيعها في القرى الشرقية. ونزلت للعمل ولم تمض إلا مدة قصيرة على زواجها. وسألت “كوشوبن”:

—لماذا جئت يا بنت لشراء الأسماك؟

—أنا أيضا من بنات هذا الساحل.

وقد صار هذا موضوع الكلام بين أهالي الساحل. وانقسموا إلى مؤيدين ومنكرين لهذه الفعلة.

ولم تتعود كروتما على هذا العمل من قبل. وهل فكرت أنها سوف تضطر للقيام ببيع الأسماك في القرى المجاورة كما فعلت أمها؟ وهل ظنت جكى في حياتها أن ابنتها أيضا ستحمل سلة ثقيلة وتتجول في القرى الشرقية؟ وهل كان لكروتما أيضا مشروعا لا دخار مبلغ المال من كسب يدها؟

واشترت خمسة من البائعات المتجولات من أحد أصحاب القوارب حصيلة يومه من الصيد بالجملة، وأسرعت بها زميلات كروتما إلى الشرق، ولكنها لم تقدر أن تسرع مثلهن بسلتها، فأنها غير متمرنة عليه. ولا تعرف طرق الأمكنة المخصصة للبيع ولا البيوت. وبدأت تنادي بالأسماك عند باب كل بيت. وكان البعض قد اشترى الأسماك فعلا من زميلاتها اللاتي سبقنها. وسأل البعض عن نوعية أسماكها، فلما عرفوا أنها من النوع الصغير لم

يعجبهم ذلك. وفي بيوت أخرى لم يوافقوا على السعر المطلوب. ولما يئست من طول تجوالها وعدم الإقبال على أسماكها شعرت بتعب شديد وقررت أن تبيعها بأي ثمن.

وهكذا عادت يومها، مرهقة الأعصاب، وقد خسرت في تجارتها.

ولكنها استفادت من هذه التجارب بعض الشيء فقد عرفت الطرق ووسائل البيع. وعندما عادت كروتما إلى البيت وجدت بالاني ينتظرها وفي فمه دخان "بيدى". فكانت في غاية التعب والإرهاق وقد خارت قواها وظنت أنه سيسألها عن حالها رافة بها. أليس لها حق لأن تتوقع منه ذلك؟ على الأقل كان لا بد أن يستفسر منها عن مصير هذه المهمة التي قامت بها لأول مرة في حياتها، أولم تقم بها من أجله أيضا؟ ولكن بالاني لم يعبا بشئ من ذلك؟ وجلس في مكانه كأنها لم تخرج من البيت. وهل لها حق الاعتراض على معاملته هذه؟ أو أن تأسف على هذا الإهمال الذي بدا منه؟ لا. ليس لها أي حق في ذلك. ولكنها زوجة له، وعليها واجبات نحوه، وإن لم تكن لها حقوق.

فسألته:

—هل أكلت شيئا؟

وأجاب:

—نعم.

ولما فرغت من الاغتسال لم تجد غيارا لملابسها، فلبست ما كان عليها، ثم قصت عليه أخبار تجارتها في ذلك اليوم قبل أن يسألها، فقالت: ولو أنها خسرت اليوم، فقد حصلت على بعض التجارب التي تفيدها في المستقبل.

وفي اليوم التالي كانت حصيلة الصيد من أسماك "رنكة" واشترتها بكل ما معها من النقود، وذهبت خلف البائعات الأخريات كالיום السابق، وكانت في انتظارها العائلات التي وعدتها بأن تشتري منها الأسماك يوميا. وباعت كروتما بثمن أرخص من زميلاتها. ولو كان

ربحها ضئيلاً فقد كسبت بعض الزبائن، حيث قرر هؤلاء الزبائن الشراء من هذه السماكة الجديدة لأنها طيبة الخلق وسلعتها رخيصة.

وبعد بضعة أيام نشب خصام عنيف في الساحل فوقفت البائعات المتجولات جميعاً في صف واحد ضد كروتما حسدا وكراهية. وشتمنها وهي لا تستطيع أن ترد بالمثل لأنها لم تتعود على مثل هذه المناقشات الحادة، والمناوشات. وبكت دهشة وأسى. فقالت إحداهن غاضبة.

—هذه كانت تعيش في أحد السواحل وتحب شاباً مسلماً فقد جاءت الآن إلى ساحلنا لنفسه.

وأضافت أخرى:

—ستجد تجارة رابحة. وفي جميع البيوت يرغب الرجال في الشراء منها وهي بنت مداعة.

وهكذا تكلم الناس في وجهها علناً عن السوء في سيرتها وهي عنه بريئة. وبدا كل شيء في عينيها حالكا. وانسدت أذناها ورجعت إلى بيتها باكية، ولم تجد في هذا الوجود أحداً يقول كلمة في صالحها. ولم يعرف أحد صدق حقيقتها. وقد حرمت حتى من حقها للحياة كسائر نساء الصيادين!!

ولما عاد بالانى من البحر لم يسأل شيئاً عن عدم ذهابها للتجارة إلى الشرق في ذلك اليوم. وإنما نظر إلى وجهها باهتمام. وأن وجهها المبلول ليس بجديد عليه، ولكن وجهها قد بدا أكثر وجوماً وفتورا من المعتاد. واستفسر عن سببه، وأجابت بعدم سبب خاص. وماذا تستطيع أن تقول له غير ذلك؟ وهل يناسبها أن تحكى له كل ما حدث؟

وهل معنى هذا أن كل امرأة في ساحل تريكونابوزا بريئة من كل نوع من الأخطاء؟ ولم يحدث شيء من هذا القبيل لواحدة منهن إلى الآن؟

وعندما يشتد النزاع بين السيدات في نير كونام، تقول كل واحدة منهن حكاية عن الأخرى حتى يظن أن وراء كل منهن قصة حب وغرام، ولا تعرف شيئاً عن نساء هذا الساحل، وإلا لكانت كروتما أيضاً تبادلهن بعض قصصهن. ولم لا تفعل ذلك؟ وما هو ذنبها؟

أو لم يلعب البنون والبنات معا في هذا الساحل أيام الطفولة! وقد رأت فعلا الصغار من البنين والبنات في هذا الشاطئ يمرحون ويلتقطون الصدف ويجمعون الأسماك المتناثرة ويلعبون في الرمال.

وهؤلاء النساء اللاتي يلمنها أيضا قد نشأن في هذا الساحل. وفكرت كروتما في حيلة تجمع سيرتهن في حياتهن الغرامية!

وهل شاعت في هذا الساحل قصة امرأة فاسدة في قديم الزمن؟ وهل تطير روح سماكة بريئة في سمائه في الليالي المقمرة؟ ولكنها لم تسمع بعد هنا أنشودة أسطورية من هذا النوع.

وألغت الذهاب للتجارة إلى الشرق، وشرعت في مهنة أخرى. إنها تشتري الأسماك من الشاطئ فتقوم بتمليحها وتجفيفها، ثم تبيعها في أيام قحط الحصيلة في البحر، أو إلى أصحاب المحلات التجارية.

وهكذا بدأت حياة عزلة في تجارتها وبيتها وشئونها كلها. ولم تكسب هنا أيضا صديقة لها من الجيران، أو من زميلاتها في العمل. وقضت الأيام في قعر بيتها في هدوء وصمت عميقين.

وكذلك تسربت الوحشة والعزلة إلى حياة بالاني أيضا. يذهب يوميا إلى العمل، ولكن نشاطه قد اضمحل، وحيويته قد تضاءلت. وعاش كأنه هجر رفقاءه وأصحابه، وتعادل مستوى حياتي كروتما وبالاني، وأصبحت بدون حماس ونشاط. وسادها الركود والخمول، ولم يكن ركودا طبيعيا. ولكن حماسا متوقدا قد انطفأ في لحظة واحدة، وأن عناقا قويا قد تحطم على صخرة مفاجئة على غير توقع. وأن مشروعا طويلا المدى قد انهار بسوس اليأس والألم. وكيف تكون إذن حياتهما الزوجية؟ أو ليس في الدنيا علاقة زوجية باردة وواهية؟

ربما كان بالاني قد ارتاح بهذه الحالة، وكذلك كروتما. بينما أصبحت كروتما موضوع حديث الناس في الساحل، بدأ الناس يطيلون ألسنتهم في بالاني أيضا، ويتمتمون أشياء كلما يرونه في طريقه إلى البحر أو في عودته، وأحس بنفسه هذا التحول الجذري الذي حدث في أذهان الناس عن أمره.

وقبل أن يدخل في حياته الزوجية منذ بضعة أشهر أخيرة، لم يكن له أي ارتباط ملحوظ بالحياة الاجتماعية في الساحل، وحينما يسير كان الناس يستفسرون عن أحواله وصحته، واشتهر بينهم باستقامته وخلقه الفاضل. وقد ظن أنهم ينظرون إليه بعين الريبة والاحتقار. وأي فرق بين الحالتين؟ ولم يرتكب بالاني أي ذنب في حق أحد. ولم يسلموا إلى يد هذا المجدّف الخبير المجداف منذ ذلك اليوم الذي سار فيه بقاربه طائشا إلى أعماق البحر.

ويخاف منه الجميع، ولعلمهم يعتقدون فيه أنه مصاب بلمسة الشيطان. أو هم يظنون أن زوجته كروتما غير نظيفة السلوك، وتسبب الدمار للساحل أوهم تلقوا الإنذار من زوجاتهم لنلا يذهبوا إلى البحر مع زوجها.

وهكذا تقول لهم المعتقدات الموروثة الشائعة بين أهالي الساحل، ولا يوجد أحد في هذا العالم ليدافع عن كروتما المسكينة وكذلك عن بالاني. وكان في مكنة الجميع أن يشيعوا أي شئ عنهما. وقد كان عند "كنجان والأكاران" عدة قوارب، ولكن أصبح لا يملك الآن إلا القارب الذي يعمل عليه بالاني. وهو يعتبر المورد الوحيد لرزقه ورزق أولاده، حيث أنه لا يستطيع أن يقوم بأي عمل آخر لكبر سنه ومكانته بين أهل الساحل.

ولما وصلت إلى سمعه هذه الإشاعات من كروتما داخله الخوف من أن يشتغل معه زوج امرأة فاسدة، وأصبح قلقا على مستقبل قاربه.

وخاف أن يكون وجود بالاني في قاربه سببا لتعرضه للعواصف والأمواج العاتية وثورة البحر الأم. وتشاور "كنجان والأكاران" مع عماله الآخرين في أمر بالاني، وأبدى الجميع مخاوفهم من وجود بالاني معهم في القارب. واشتدت هذه المخاوف يوما بعد يوم بسبب

الإشاعات المتكررة من نساء الساحل حول كروتما. واجتمع كنجان والاكاران بعماله يوما فقال كومانان:

—أنت خائف على قاربك فقط، أما نحن فخائفون على حياتنا، وإذا حدث لنا شيء فمعنى ذلك أن اثنتي عشر عائلة ستصبح مشردة.

حتى صديقه “ويلايودهان” لم يعارض هذا الرأي. وقال كنجان والاكاران: نعم. نعم ان كلامك حق، فإن البحر الأم لا يتهاون في مثل هذه الأمور.

وكان الكل مجمعين على هذا الرأي. فهم يعتقدون أن شريعة البحر ثابتة لا تتغير. وقال كومانو خائفا:

—وإذا جاء ذلك الشاب المسلم إلى ساحلنا ونحن في عرض البحر فماذا يكون مصيرنا؟

وارتعدت فرائص كنجان والاكاران حينما سمع هذا الكلام وقال:

—نعم، ماذا يكون مصيرنا إذن؟

وقال “أندي كونج” يائسا:

—يقال إنه يتردد على ساحلنا بين حين وآخر.

وسأل كنجان والاكاران:

—هكذا؟ ولماذا لا نقتله إذن؟

وقال ويلايودهان:

—ألا يكون ذلك سببا في جلب مصائب أقدر مما نتوقعه؟

وكانت نساء الساحل تعيش في قلق دائم. وحينما تنزل القوارب إلى البحر يخيم الخوف والاضطراب عليهن حتى تعود قافلة القوارب بسلام إلى الشاطئ. وأضاف أندي كونج قائلاً:

—إن البحر الأم يتسامح معنا في أعماق المياه بقدر دعاء نساءنا في الساحل. وإذا كنا في الزمن القديم لما أصبح لنا أثر في الوجود الآن، ولكننا أشلاء في قاع البحر.

وقال “ويلوتا كونج” إنه سمع من بابو أنه رأى فريكوتي قبل أيام قلائل وهو يسير في الساحل في منتصف الليل يغني بعض الأغنيات. وكان الجميع يعطفون على بالاني ويرثون لحاله. ويفكرون في كيفية تخليصه من هذا المصير. وسأل كنجان والاكاران متلهفاً:

—وما هو المخرج الآن من هذا المأزق؟

ورأى كومارو أن المخرج الوحيد هو إبعاد بالاني عن العمل في القارب.

وحكى كومارو مرة أخرى قصة تصريفه دفة القارب إلى أعماق البحر مثل من أصابته مسة من الشيطان. فقال:

—إنه من المحتمل أن تنتابه هذه المسة في أية لحظة. وكلما أركب معه ألاحظ وجهه لأعرف التغيرات التي تطرأ عليه.

ووافق الجميع على صحة رأي كومارو. ولكن فصل بالاني من العمل كان أمراً مؤلماً لهم جميعاً. لأنه كان يعمل في قارب كنجان والاكاران منذ الصغر. وحصل التجارب الكافية في عمله حتى أصبح صاحب دفة القيادة. وبفضل كفاءته ومهارته في تصريف الدفة، وقد أحرز كنجان والاكاران تقدماً مرموقاً في كسبه.

ووجه سؤالاً عاماً إلى الجميع:

—يا كومارو: منذ أن ترك بالاني دفة القيادة في القارب، ألم تصبح حصتك من أرباح الحصيد أقل مما كانت عليه من قبل؟

وأما كوما رو فقد وافق على هذا الأمر. ولكن ما هو إذن المخرج الذي ينقذ مستقبلهم من الدمار الكامل؟ وكيف ومن يبلغ بالاني هذا القرار؟ ولا يقدم عليه “كنجان والا كارن” بنفسه لأن قلبه لا يطاوع على ذلك. وقال وتوجها لكوما رو:

—فليخبره أحد منكم.

ولا يجروُ أحد على إبلاغه هذا الرأي، فما هو الحل إذن؟

وتقدم “كروتا” باقتراح جديد:

—علينا أن نغادر الشاطئ إلى البحر قبل موعد وصول بالاني. أليس هو الطريق الذي يتبعه أصحاب القوارب في السواحل لتغيير عماله؟

وأن كنجان والا كاران يعرف جيدا هذه الطريقة المتبعة في السواحل. ولكن العامل المفصول سيخاصم صاحب القارب فيما بعد. وفكر كنجان والا كاران في رد فعل بالاني بعد هذه العملية، وكيف يواجهه مرة أخرى؟

وانصرف الجميع بعد أن اتفقوا على اتباع هذه الطريقة في اليوم التالي. ودبر كنجان والاكاران عاملا آخر يشتغل في قاربه بدلا من بالاني.

ووصل بالاني إلى الشاطئ في صباح اليوم التالي مبكرا كالمعتاد، فوجد القارب قد غادره، وصاح فيهم بأعلى صوته. ولم تسمع هذا الشاطئ صوتا عاليا مثله من قبل. وكان بمثابة احتجاج شديد للهجة من طرف أحد أبناء البحر حينما علم أنه حرم من حقه في العمل فيه ظلما وزورا. وقد خلق لمصارعة أمواجه وتياراته. وقاوم الأعاصير وثورات الطبيعة منذ عشرات السنين. وها هو ذا يحرم في هذا اليوم من ذلك كله. وانتشر صدى هذا الاحتجاج الذي انبعث من أعماق قلبه في أرجاء الشاطئ بل ودخل إلى وإحاته وأطراقه. وقد أنكر خدماته ذلك القارب الذي أحبه وعمل فيه عدة سنوات ماضية بكل إخلاص وهمة.

ويتوجه إلى تاركا ابنه البار وحيدا كئيبا في الشاطئ معلنا قراره القاسي بأن بالاني لا يصلح للعمل في البحر!!

ولا تهدأ ثأثرته المتحمسة. ويعرف مدى مغبة هذه العملية وألقى جسمه القوي إلى البحر وصارع الأمواج ليلحق ويستعيد حقه المسلوب. ووثب إلى الغرب تجاه القارب مثل وحوش البحر مطالباً حقه في أن يعيش كصياد وكابن بار للبحر الأم. ولكن موجا هائجا جبارا قد طارده من أمامه وألقاه إلى الشاطئ بقوة وعنف. وقد نثل بالاني في محاولة. وخارت قواه وضعفت عضلاته المفصولة. وقام من مكانه وهرب إلى بيت صاحب القارب “كنجان والاكاران” ليوجه إليه سؤالاً:

—ألست صالحاً للعمل في البحر؟

ولم يجد كنجان والاكاران جواباً. ولكنه تجرأ فقال:

—أنظر يا بالاني إنه لأجل.

—إنه كذب محض. وزور وبهتان. وليست بفاسدة. إنني أعلم ذلك جيداً.

—لكن هذا هو الذي يقوله الجميع يا بالاني!

وقال بالاني بألم وسخط بالعين:

—وهم يقولون ذلك.

ثم مشى.

الفصل السادس عشر

لما عاد بالاني إلى البيت من الشاطئ اندهشت كروتما. ولم تكن تدري شيئا عما حدث.
وسألته:

—ماذا جرى لك اليوم؟

وأجاب بالاني:

—يقولون إنك فاسدة، ولهذا قرروا أنني لا أصلح للعمل معهم في البحر.

فكان لهذه الكلمات وقع الصاعقة على نفس كروتما فهي وإن كانت تعرف أن الناس يقولون عنها هذه الشائعات إلا أنها لم تسمع ذلك من فم زوجها من قبل. وها هي اليوم تسمعها منه هو أيضا. ولو أنه قالها حكاية على لسان الآخرين.

وهكذا تسببت كروتما في طرد صياد ماهر عن العمل مع الآخرين في الساحل.

وسألها بالاني:

—إنك تعرفين أنك ابنة صياد، فلماذا كنت تضحكين وتلعبين مع ذلك الشاب المسلم في أيام الصغر؟

وكان هذا السؤال في محله، ولكن أحدا لم يوجهه إليها من قبل بمثل هذه الصراحة، ولو أن أمها نصحتها من عدم التمادي في هذا أيام أن كانت صغيرة، إلا أنها لم تقل لها ذلك بهذا الأسلوب. وفهمت كروتما مغزى هذا السؤال جيدا غير أنها لم تجد جوابا على ذلك إلا الاعتراف بخطئها، وطلب العفو من زوجها. فقالت والدموع تنهمر من عينيها:

—لقد حدث ما حدث، وانتهى كل شيء. والآن أرجو صفحك.

ولم يكن غضبه موجها إليها فقال لها:

—لماذا أتهمك وليس الذنب ذنبك؟

وشعرت كروتما بارتياح كبير، إذ علمت أن زوجها قد عفا عنها وقبل عذرها. ولم يكن بالاني يعاتبها إلا على عدم بعدها عن مواطن الشبهات. وأضاف بالاني قائلاً:

—لقد تركوا البنات تفرح وتلعب مع شباب مسلم. وهي الآن تعاني نتائج ذلك الإهمال. أليس من واجب الوالدين الاعتناء الكامل بأولادهم الصغار.

واستطرد بالاني في كلامه مركّزا نظره على وجهها:

—لعل والدك قد اشترى القارب والشبكة ملحا ببنته أمام ذلك الشاب.

وخذعه.....إن هذا لأمر عجاب!

وكان هذا الشك من بالاني في محله. وهو الواقع فعلا. وقد أرادت كروتما عدة مرات أن تفصح له عن هذا السر بصراحة، ولكنها أحجمت عن ذلك. وأدركت أخيرا أنه كان عليها أن تخبره عن ذلك أيضا بكل صراحة.

وقال بالاني لها محذرا:

—انظري! عليك أن تربي مولودك الجديد كما رباك والدك، وإذا كان بنتا فعليك أن تعدّيها لتكون دمارا لمستقبل أحد الصيادين. هل فهمت؟

وفهمت كروتما معنى كلامه جيدا، ووعدت بأنها ستكون في حذر تام لئلا يتكرر لمولودها ما حدث لها. فهي قد أخذت درسا قاسيا وعبرة كبرى من حياتها. ولأول مرة سمعت منه عن الجنين الذي في بطنها، ولأول مرة تعرف أنه لا يتهمها على رغم الشائعات الكثيرة التي تقال عنها. وكان ذلك مبعث ارتياح كبير لها. ودنت منه وجلست بجواره، فلم يظهر عليه أي تضجر أو ضيق منها، ثم سألته:

—وماذا ستعمل الآن لكي نعيش؟

ولعنت الناس الذين عرقلوا طريق حياتهم.

—إن هؤلاء الظالمين يسدون الطريق أمامي للعمل في تجارة الأسماك لكسب قوت يومنا. وهاهم الآن يعرقلون طريقك للعمل في البحر الذي هو مصدر رزقنا. وتنفس بالاني الصعداء، وقال بكل حزم وعزم:

—إنني صياد وسأعيش صيادا وأموت صيادا.

ورأت كروتما نفسها أمام رجل كامل الرجولة مفتول العضلات. واطمأنت إلى أنها تحت كنف رجل مصمم على كسب قوته بعمل يده رغم مناوأة الآخرين ووسائلهم.

وقال بالاني وهو يعرض على نواجذه:

—من ذا الذي يستطيع أن يدعي أنني غير صالح في البحر؟ وإنني خلقت لأعمل في البحر وكل ما في البحر من حقي. ومن ينكر على هذا الحق؟

وقد دخل قلبه شعور قوى بأنه صاحب حق شرعي في البحر كصياد مثل الآخرين. فهو أحد الوارثين لثروة البحر الأم غير المتناهية.

وأضاف قائلاً:

—إن الصياد لا يعمل في الحفر أو الحرث. وأن بالاني لن يذهب إلى ذلك أبدا. ثم طمأن بالاني زوجته قائلاً:

—لا تتعبى نفسك كثيرا في التفكير. فإن بالاني سيعيش من محصول البحر. لقد بدأ بالاني يذهب إلى البحر وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره، ولم ينقطع عن العمل منذ ذلك الحين إلا في هذا اليوم. وكان في هذه اللحظات يرى القوارب وهي تسير في عرض البحر، وكان محصول السردين والرنجة متوفرا في ذلك اليوم.

وشعر بالاني باستياء بالغ لما حدث له. إذ حرم هو وزوجته من المعيشة بمحصول البحر الذي هو حق طبيعي لكل صياد وصيادة. وسألته كروتما:

—هل أذهب للتجارة في الأسماك؟

لكن بالاني منعها من ذلك وقال:

—لا. عليك، لا تخرجي من البيت لنلا تتعبي، فأنت حامل.

—إنني لا أشعر بأي تعب، فأنا لم أصل بعد إلى هذا الحد.

فقال لها بالاني بكل حزم وثقة:

—أنا الذي أتيت بك إلى هنا، وإنني متكفل بمعيشتك، وليس عليك أنت أن تعلمي شيئاً.

وهكذا شعرت كروتما أنها تعيش مع رجل يقدر المسؤولية، ويحترم زوجته ويعمل على راحتها، وأنه لا توجد زوجة في الساحل كله لها زوج مثل زوجها في الشجاعة والرجولة، وأدركت معنى الحياة الزوجية الحقة، فهو يقول لها أنه متكفل بجميع لوازم حياتها، وأنه يشفق عليها من العمل. وتوصلا إلى تفاهم تام نحو مستقبل حياتهما، ولم يتق عند بالاني إلا نصيحة يوجهها إليها:

—يا كروتما، عليك أن تراعي دائماً في حياتك التقاليد والعادات المتبعة في هذا الساحل وأن تعيش كأحدى بناته.

وهكذا يصارحها بالاني لأول مرة بهذا الشكل، ويتحدث معها مثل هذا الحديث الودي في تحديد مستقبل ونظام حياتهما الزوجية. والمحافظة على التقاليد والعادات شئ معروف بين الزوجات. ولكن من حق الزوج أن يطالب زوجته بذلك. كما أن هذه المطالبة تعتبر جزءاً لا يتجزأ من المراسم المتبعة في الزواج، حيث ترد في مراسم الزواج هذه العبارة:

“عليك أن تحافظي على الآداب والتقاليد الموروثة”

وانحنى كروتما على صدره تملؤها السعادة والطمأنينة، وقد بللت دموع الفرحه صدرها.
ووجهت إليه سؤالاً منبعا من أعماق قلبها:

—لماذا تقول لي ذلك؟ لقد ارتكبت خطأ مرة، وهل من المعقول أن أعدل عن الصراط
السوي مرة أخرى؟

ومسح بالاني بيده على ظهرها وقال:

—لا تبكي يا كروتما. فليس هناك ما يدعو للبكاء.

وتوثقت عرى المحبة والوئام بينهما، واطمأن كل منهما إلى الآخر. فليس لبالاني أحد
سواها كما أنه ليس لها أحد سواه. وقررا أن يسيرا قدما في طريق حياتهما المستقبلية.

وعادت القوارب على الشاطئ من عرض البحر، وتجمع حولها تجار الأسماك. وتخيل
بالاني ما يدور في خلد زملائه الآن فلعلمهم يذكرون أنهم قد نجحوا في تحقيق مؤامرتهم
ويتساءلون فيما بينهم عن مستقبل حياته بعد أن أقصوه من العمل في القارب. ولكنه ليس من
أولئك الذين يعترفون بالهزيمة فهو يشق طريق حياته بكل إصرار وعزم.

أما كروتما فقد كان يدور في خلدتها سؤال واحد تريد جوابا صريحا عنه، فسألت بالاني:

—أليس من الممكن أن يكون قد حدث لزوجات هؤلاء الصيادين أيضا مثل ما حدث لي؟

—من غير شك. وهن يخفين ذلك.

وقررت كروتما أن تستطلع أسرارهن، وأن تسألهن عن ذلك، وقالت:

—إنني سأكشف أسرارهن جميعا وأنتقم منهن في يوم من الأيام.

وأصبحت على اتفاق تام في كل شئ ولم يبق أمامهما إلا أمر واحد، وهو كيفية العمل من
أجل المعيشة وكسب قوتها. وقالت كروتما:

—ماذا سنعمل؟ ولماذا لا تقول شيئاً عن هذا الأمر؟

وكان هذا السؤال يشغل تفكير بالاني أيضا ولكنه لم يصل بعد إلى قرار نهائي بالنسبة لهذا الأمر. وأضافت كروتما:

—عندي اثنا عشرة روبية.

وماذا يفيد هذا المبلغ الضئيل؟ فحتى شراء شبكة اليد الصغيرة يحتاج إلى ما لا يقل عن ثلاثين روبية. وتوصلت كروتما إلى فكرة جديدة:

—لماذا لا نشترى صنارة؟

—إذا اشترينا الصنارة فكيف نحصل على القارب الصغير؟ وحينئذ نحتاج أيضا إلى شخص يعمل معك. وهل هناك أحد مستعد للعمل معك؟

وقال بالاني غير مبال بهذه الفكرة:

—اتركي هذا الأمر الآخر. إذا حصلت على القارب فإنني أستطيع أن أعمل فيه وحدي لكسب قوت يومنا.

وأشارت عليه كروتما بأن تستأجر قاربا صغيرا ليعمل عليه بالصنارة. فقال لها:

—ومن الذي يؤجر لنا قاربه. وكلهم يخافون عليها منا؟

—وما هي الحيلة إذن؟

وفكر بالاني قليلا ثم قال:

أعطني المبلغ الذي عندك لأشتري به صنارة.

وأعطته كروتما المبلغ، فخرج لشراء الصنارة، وأيقنت كروتما أنها زوجة رجل قد عقد عزمه على أن يشق طريق حياته بنفسه ، وبدأت تتخيل لهما بيتا مؤثثا بكل لوازمه وقاربا خاصا وشبكة، وأنها في العام القادم ستذهب إلى مهرجان "أيليام" في ثياب جديدة زاهية. ودعت أن لا يكون الجنين الذي في بطنها بنتا، فهي قد عانت بنفسها نتيجة كونها بنتا. حتى لو شاء القدر أن يكون المولود بنتا فإنها لن تسمح لها باللعب واللهو مع الصبيان حتى لا تتكرر قصتها ومأساتها. وإن كان المولود ابنا فإنها ستحاول لكي لا يكون سببا لمأساة بنت أخرى.

ودخلت كروتما إلى المطبخ لتعد الأرز والخضار وتمنت أن يأكلا سويا هي وبالاني في هذا اليوم، كما أكلا في أول يوم لرفاههما.

وهكذا عاشت كروتما في أحلام اليقظة، ووجدت نفسها قادرة على أن تتحمل كل شيء في سبيل حياتهما. فهي الآن في كنف زوج يحبها ويعفو عنها ويسهر على راحتها وشكرت الآله على أن أنقذها من هذه المصائب، وحماها من شرورها.

وعاد بالاني بعد غروب الشمس، وهو يحمل عددا من الصنارات الكبيرة والصغيرة ثم نظمها في الحبال وأعدّها للصيد.

وحينما نام أهل الساحل والصيادون خرج بالاني ومعه الصنارات، وأصرت كروتما على أن تعرف وجهته التي يريدّها فأخبرها بالاني بأنه سيذهب إلى الشاطئ لينزل أحد القوارب المركونة على الرمال إلى البحر ويصيد عليه بصنارته، ثم يعيده قبل أن يصحو الصيادون. وقال لها:

—لا بد أن أعيش من البحر كما يعيش الآخرون.

وأخذ كروتما خوف شديد من أن ينزل بالاني إلى البحر وحده وهناك عديد من المخاطر يمكن أن تحيط به، وقالت:

—اسمع.....

ماذا تريدان؟

—وكيف تذهب وحيدا إلى البحر؟

—إني ابن البحر.....

ولما مشى عدة خطوات قالت له كروتما:

—أرجوك ألا تذهب بعيدا عن الشاطئ.

وواصل بالاني سيره، ولم يرد بشئ.

وجلست كروتما تحت شجرة جوز الهند في فناء البيت ولم يقرب النوم جفونها. ورأت بالاني بعينها ينزل بأحد القوارب إلى البحر، وأخذت تدعو له من أعماق قلبها.

وعاد بالاني قبل أن يستيقظ الساحل بالقارب ومعه بعض الأسماك التي جمعها بصنارته. وفي الصباح الباكر توجه بحصيلة صيده إلى سوق "كارتيكابالي" فباعها بثماني روبيات.

وفكر بالاني في شراء قارب صغير، ولكن شراء قارب جديد يحتاج إلى مبلغ كبير لا يستطيع أن يدبره إلا بعد أيام كثيرة وبدأ يفكر في شراء قارب قديم في حدود مائة وخمسين روبية. وعرضت عليه كروتما فكرة بيع حليها ليشتري القارب بثمنها.

ولكن بالاني لم يحب هذه الفكرة، وقال لها:

—أليست هذه الحلي من مال أبيك الطماع؟

فقالت كروتما:

—لا. إنها ملك لي وقد أعطتني اياها والدتي.

—ولكن كيف يبيع زوج مال زوجته؟

—وهل هناك فرق بين مالي ومالك؟

ولم يجد جوابا يرد به على هذا السؤال، وهو يعرف أنه من العيب في عرف الصيادين أن يبيع أحد مال زوجته ليشتري به قاربا.

وأخيرا قبل بالاني عرضها وباع الحلي واشترى قاربا صغيرا. وانتشر في الساحل كله خبر شراء بالاني للقارب وأخذ الناس يحيكون الشائعات ويتكهنون عن مصدر النقود التي اشترى بها بالاني هذا القارب.

وقال البعض: لا بد أن فريكوتي هو الذي قد دفع ثمن القارب.

ولم يفشل بالاني في مشروعه الذي رسمه لنفسه. وكان يكسب كل يوم ما يتراوح بين خمسة روبيات أو عشرة. ولكن طموح بالاني لم يكن ينتهي إلى هذا الحد فقط، وفكر في أن يشتري قاربا كبيرا بجميع لوازمه. ويكون هو الممسك بدفته وينزل به أيام محصول الجمبري إلى عرض البحر ومعه عماله.

ووجهت إليه كروتما سؤالا:

—إذا اشتريت قاربا كبيرا فكيف تذهب به وحدك، وربما لا تجد من يشتغل معك؟

—حينها أملك القارب فإنهم سيأتون للعمل معي مثل الكلاب.

وقرر شيئا في ذهنه فقال:

—إن بالاني لن يذهب منذ اليوم إلى البحر في قارب أحد من الناس.

وظهرت على كروتما أعراض الوضع، وكان بالاني منذ بدء هذه الأعراض على كروتما يعود مسرعا من البحر إلى بيته.

وذات يوم عاد بالاني إلى البيت فوجد فيه بعض النساء فيشرنه با لمولود الجديد، وقلن له وعلى شفاههن ابتسامة: “إنها بنت” وقدمتها إليه، ولم يكن يعرف كيف يحملها، فهو لم يحمل طفلا من قبل في حياته.

ولما انفرد الزوج والزوجة سألها بالاني:

—لماذا أراك مهمومة هكذا؟ ألكون المولود بنتا؟

فقالت كروتما؟

كنت أتمني أن يكون صبيا، أليست هذه أمنيتك أنت أيضا؟

—لا؟ لا فرق عندي بين أن يكون ابنا أو بنتا.

—أنت لا تقول ما في نفسك.

—ولماذا؟ وما هو الفرق بين أن يكون ابنا أو بنتا؟ ولكن كروتما أكدت له ما عزمتم عليه

بالكلمات الآتية:

—مهما كان الأمر فإنني لن أسمع بأن تكون هذه البنت كروتما أخرى:

وقال بالاني مبتسما:

—وأنا أيضا لن أكون جنيان كنجي آخر.

وتغير مجرى حياتهما، فقد شعر أنهما مرتبطان بشخص قد دخل حياتهما ومصيره مرتبط بمصيرهما. وقد سر بالاني سرورا كبيرا بطفلته الصغيرة، وحينما كان يذهب إلى البحر للصيد بصنارته كان يتذكر عيني طفلته الجميلتين فيتوق قلبه للعودة إلى البيت بأسرع وقت ممكن. ولم يكن يعرف كيف يحمل ابنته، ولكن كروتما علمته كيف يحملها ويداعبها. وحينما

كان يكثر من تدليلها تحذره كروتما من ذلك حتى لا تفسد أخلاقها فيسرع إلى تركها من بين يديه خوفا عليها من هذا المصير.

أما بالنسبة لكروتما فإن المولودة الجديدة قد سببت لها متاعب نفسية كثيرة، فهي كلما تنظر إليها تتذكر أمها المتوفاة التي لم تر حفيدتها، كما تتذكر أختها الصغيرة بنجامي التي كانت تعيش معها وهي في مثل سن هذه الطفلة في غاية الحب والحنان.

وذات يوم عاد بالاني من البحر بخبر جديد إلى كروتما، فقد علم أن جنيان كنجي قد تزوج امرأة من قرية "جيرتالا" أو غيرها، وهي تعيش الآن معه في بيته.

وهكذا أصبحت ربة البيت الذي شيدته أمها امرأة أخرى لم ترها، ولم تسمع عنها.

وبدأت تفكر في علاقة زوجة أبيها الجديدة مع أختها الصغيرة بنجامي، وكلما كان بالاني يحمل طفلهما بين يديه تتخيل كروتما أن والدها لا بد أنه كان يحملها هكذا ويدلها.

وبمرور الزمن توثقت علاقة الحب والمودة بين كروتما وبالاني. وبدأت تصارحه بأمور كثيرة، بل إنها أحست باستطاعتها على عتابه إذا دعت الضرورة لذلك. وقالت له يوما:

—يا ليتنا قد أقمنا في بيت والدي بعد الزواج حسب رعبته!

وسألها بالاني:

—وهل يقيم صياد عزيز النفس في بيت زوجته؟

وفي يوم من الأيام قالت كروتما لبالاني وهي تغسل وجه ابنتها:

—كلما أنظر إلى وجهها أتذكر بنجامي في صغرها، وربما تقاسي المتاعب الآن من زوجة أبي.

وسألها بالاني مستغربا:

—ولماذا؟

—هكذا معاملة زوجات الآباء.

—وإذن ماذا نفعل؟

وقالت كروتما بحذر:

—إنني أحب أن أراها.

ولم يقل بالاني شيئاً رداً على هذا القول.

وفي يوم آخر، وكان في غاية الفرح والابتهاج سألته كروتما:

—هل تسمح لي بأن أذهب إلى نيركونام لأزور بنجامي؟

ولم يعجب بالاني هذا السؤال. وسكت، فقالت له كروتما بضحكة مأكرة:

—إن لك الآن بنتاً، ألا تريد أن تزورك عندما تكبر؟

وسألها بالاني بصوت حازم مرتفع:

وماذا تريد أنت في الحقيقة؟ هل تريد أن تزوري بنجامي أو فريكوتي؟

واندهشت كروتما من سؤاله هذا، فما زال ظل فريكوتي ماثلاً في ذهنه ألم تمحه الأيام؟

وأدركت كروتما أنها أخطأت في تقديرها للظروف وقالت له:

—إنني لن أذهب إلى نيركونام ، ولن أتكلم في هذا الأمر مرة أخرى.

وخافت كروتما من أن تضرب حياتها الزوجية التي أصبحت على وشك الاستقرار

والهدوء. وسألته والدموع تنزل غزيرة من عينيها:

—أأست واثقا مني؟

ومازال ذاك الشبب المظلم يحوم حول حياتهما، وما هي الحيلة إلى محوه وإبعاده عن الأذهان؟ ذلك بلا شك يحتاج إلى جهود متواصلة، ووقت طويل.

الفصل السابع عشر

هناك أسطورة شائعة بأن روح الزوجة المتوفاة تحوم حول غرفة نوم زوجها وتظل داخلها في أوقات الليل، أو أنها تصبح جزءا من أنفاسه. وقد قالت جكى قبل موتها لجنیان كنجي أن يتزوج امرأة أخرى ولماذا أوصته بذلك؟

فلعلها كانت تحس أن هذه هي أحسن نصيحة توجهها إلى زوجها نظرا لظروفه أو لرغبته في أن تتمتع بحياة زوجية هانئة. وأرادت أن تتحقق رغبته هذه.

فهو حينما أغمضت جكى عينها وهي على فراش الموت قال لها جنیان كنجي هامسا في أذنها وهو يرفع جفنيها: وماذا أعمل بعدك يا جكى؟

وكان الجميع يعرفون أن جكى هي اليد اليمنى لجنیان كنجي، وهي السبب لنجاحه في عمله وجمع ثروته. ولم يعرف الساحل امرأة مثلها في التدبير والنشاط.

وماذا كان بوسع جنیان كنجي أن يفعل ومعه بنت صغيرة ليس لها من يرعاها. فقد ذهبت أختها الكبرى إلى بيت زوجها ولم تعد إلى بيت أبيها مرة أخرى، وهو أيضا لم يدعها إلى زيارته. وكان صدى وصية جكى له بالزواج يرن في أذنيه دائما. واستشار مرة جاره أجاكنجي:

—ما رأيك في زواجي مرة ثانية؟

وأجابه أجاكنجي:

—هذا هو الأحسن. فإن ابنتك تحتاج إلى أم ترعاها.

—ولكن ليس هناك مثيل لجكى.

—نعم، لن تستطيع امرأة أن تسد محلها.

وترك جنيان كنجي بنجامي عند نلابن لترعاها، ثم خرج هو وأجاكنجي للبحث عن عروس مناسبة لمكانته الاجتماعية وحالته المالية، وقد أسدى له أجاكنجي نصائح قيمة عديدة في هذا الموضوع. فهو لم يعد كما سبق من القوة والنشاط، وقد أصبح محتاجا إلى وعاية راهتمام خاص.

وعلم أن صاحب القوارب المشهور “بالى كونات كانتان كوران ” قد مات، وأن أرملة “بابي كنجي” تعيش وحيدة وهي في حاجة إلى رجل يرعاها. وأبدى جنيان كنجي رغبته في أن يتزوج منها، وأن الحظ قد شق طريقه إلى جنيان كنجي من بيت هذه المرأة.

ووافقت بابي كنجي على أن تكون زوجة له. وتمت مراسم الزواج، وانتقلت بابي كنجي ومعها ابنها إلى بيت جنيان كنجي. ومازالت بابي كنجي تحتفظ بجمالها وأناقته. ولكن بنجامي لم تعجبها المرأة الغريبة التي أتت إلى بيتها. وهربت إلى نلابن فنصحتها بأن تعيش مع زوجة أبيها، وألا تتكلم بشئ يخرجه، وأن تعتبر امرأته كأمها، ولكن بنجامي أخذت تبكي بدون أن تدري ما هو سر بكائها.

ولأول مرة في حياته يشعر جنيان كنجي بخجل نحو بيته القديم، وقال لبابي كنجي ضاحكا:

—بيننا هذا البيت من مدة طويلة حيث لم نكن نملك القارب والشبكة، وكذلك ما كانت جكى تهتم بمنزلها، ولم ننشئ بعد بيتا جديدا.

وقرر جنيان كنجى أن يشتري قطعة من الأرض ويبنى عليها بيتا جديدا يناسب مكانة زوجته الجديدة، بابي كنجي، التي كانت تعيش عيشة الرغد في بيت كبير قبل أن يموت زوجها الأول.

وتذكر جنيان كنجي في تلك اللحظة وصية جكى عند وفاتها لبيتزوج امرأة أخرى ترعى شؤون بيته ويشرف على أموره، وشعر كأن روح جكى تطلق في أجواء بيته.

ودعا جنيان كنجي ابنته الصغيرة بنجامي من بيت جارتها نلابن لكي يقدمها إلى زوجته الجديدة. وقالت لها نلابن:

— اذهبي يا بنتي!

وقالت بنجامي، والدموع تنهمر من عينيها:

— إني لا أذهب.

وقالت نلابن:

هيا، وسأذهب معك.

ومسحت نلابن الدموع من عيني بنجامي ونصحتها لنلا تبكي. وأخذت بيدها إلى بيت جنيان كنجي، ونظرت بابي كنجي إلى البنت وسألتها:

— لماذا تبكي يا بنتي؟

وقال جنيان كنجي:

— إنها صغيرة ، ولعلها تتذكر أمها.

ثم ضم جنيان كنجي بنته إلى صدره وقال:

—إنها مثل أمك، فلا تبكي يا بنجامي.

ألم يتزوج جنيان كنجي بناء على وصية أمها، ألم تكن تقصد جكي عندما أوصت له بذلك أن تكون زوجته الجديدة عونا له على رعاية بنجامي؟ أليس من حقه أن ينصح ابنته لتطيع زوجته الجديدة، وتعتبرها كأم لها؟

وأما “جنجادتان” بن “بابي كنجي” من زوجها الأول كان يعيش مع أمه في جو غريب، ولم يألف الحياة مع زوج أمه، أو بنجامي. وكان شابا يافعا، وأصبح عبئا ثقيلا على أمه، وكما أن بنجامي تفكر دائما: لماذا أتى هذا الشاب إلى بيت أبيها؟، كان “جنجادتان” أيضا يفكر: لماذا أنت به أمه إلى هذا البيت؟ وهل تزوجت أمه من جديد لكي تساعده في حياته؟ أو لأن تعيش في كنف زوج جديد؟

ما زال جنيان كنجي يتذكر الوجبة اللذيذة التي أكلها في منزل بابي كنجي عندما ذهب إلى “بالي كونات” لشراء القارب. وهذه الوجبة قد صارت مصدر إلهام له ليعيش عيشة الرخاء والبلذخ. وقرده أن ينتهز الفرصة التي تتيح له تناول ثلاث وجبات لذیذة من هذا القبيل.

ولكنه لم يشعر بعد بالطعم الذي ذاقه في وجبة بالي كونات، ولم يصل الطعام الذي يقدم إليه في منزله إلى المستوى الذي ذاقه هناك.

وكانت جكي قد اشترت سريرا قبل موتها، ولكنها لم تنم عليه. ولم تقدر أيضا لأن تصنع مرتبة مناسبة لذلك السرير. وفاجأها الموت قبل أن تحقق بعض أمنيات زوجها جنيان كنجي.

وبعد وصول بابي كنجي إلى بيته صنع جنيان كنجي مرتبة فاخرة في طراز المرتبة التي رآها في بيت “بالي كونات كانتان كوران” ولكن صحة بابي كنجي بدأت تتدهور، ونضارة وجهها تذبل. وربما لم يعد الجو الساحلي الجديد يناسبها. وشعر جنيان كنجي أنها قد فقدت جمالها السابق.

وأعاد جنيان كنجي إلى ذاكرته ذلك المنظر العجيب الذي قصه على جكى لما عاد من بيت بابي كنجي منظر حياة الحب والجمال بين كانتان كوران، وبابي كنجي- وهو الذي صور في ذهنه صورة حياة هائلة وممتعة.

وأراد أن يمثل نفس المشهد. ولكن حرارة الشباب قد فقدت في قبلاتهما، ولم تصحب عناقهما القوة الكافية، ولم تدم.

وتلعب ذكريات جكى وكانتان كوران في قلوبهما. وأنى لهما تلك السعادة التي يحصلانها لو التقيا في الشباب؟

ويتصنعان الضحك والمرح في حياتهما الجديدة. ولكن لون التصنع يسودهما ومرارة الذكريات الماضية تتخللها. وبينما كان جنيان كنجي صيادا دؤوبا على العمل لا يصبر على التقاعد أو التكاسل مطلقا، كان كانتان كوران ينزل إلى الشاطئ عندما تصل القوارب من البحر حاملة محاصيل الصيد، وهو في لباس الوقار والعزة ثم يعود إلى بيته بعد أن باع محاصيل قواربه. وما زالت أمنية جنيان كنجي لأن يمثل دور كانتان كوران عالقة في ذهنه. وأنى له الآن؟

وذات يوم قال جنيان كنجي لبابي كنجي:

— في هذه الأيام أصبحت حصتنا من محصول الصيد ضئيلة جدا.

ولم تعقب عليه بابي كنجي بشئ. وربما تتعود على مثل هذه التعقيبات من قبل، وأضاف يقول:

—وما كنت أحصل على حصة القارب والشبكة فقط، بل كنت أحصل أيضا على حصة صاحب الدفة. فضلا من أن محصول قاربي دائما ضعف محاصيل القوارب الأخرى.

وأردف قائلا ووجهه يشرق بذكريات طيبة:

—وإذا قدمتها إلى جكى فتنضاعف وتتكاثر.

ثم قصت على بابي كنجي قصة مساعي جكي في سبيل كسب المال من بيع الأسماك المجففة، والذهاب إلى القرى المجاورة للتجارة والاشتغال فى تصليح الشباك وغيرها في الشاطئ. وأثناء كلامه نظر جنيان كنجي إلى وجهها فرآه كئيبا. فاستطرد قائلاً:

—إنني لا أريد أن تفعلني كذلك، فإن جكى قد تعودت على مثل هذه الأعمال من صغرها، وأما أنت فلم تقض حياة على هذه الشاكلة.

ولكن جنيان كنجي قد شعر بأن بابي كنجي آسفة على أن تسمح لها والظروف لكي تساعد على نفس المنوال. وأن كل شئ في هذا المنزل، حتى السرير الذي نامت عليه من كسب جكى.

وأما جنجادتان فقد أصبح مصدر قلق آخر لبابي كنجي. وأراد أن يغادر هذا المكان في أقرب فرصة ممكنة. وقال لها:

—لا تعجبني نظرة تلك البنت. وربما تقول شيئاً يوماً ما. وأريد أن أغادر هذا المكان قبل أن يحدث ذلك.

وأرادت بابي كنجي أن ترسل ابنها جنجادتان إلى مكان آخر. ولكن من أين لها بعض النقود لمصاريف سفره. وهي تعرف أن جنيان كنجي لا يملك أي مبلغ في هذا الوقت. وتخل أن تفتحه في هذا الموضوع.

ولجأت بنجمي إلى حيلة أخرى، فإنها تلازم أباهما دائماً فلا تترك فرصة لبابي كنجي لتتقرب إليه، وهي بدورها لم تحاول إبعاد بنجمي عنه.

ورأت بابي حياة الرخاء والسرور، وقد فقدت الآن كل شئ. واختارت جنيان كنجي ملاذا لها في أخريات أيامها، لا لتعيش حياة زوجية هانئة، بل لتقضى بقية حياتها في كنف زوج محترم وهي خائفة من خالقها ومؤمنة به، وليست براغبة في المطالبة من زوجها بأي حق

مشروع لها، تقضى أيامها في طاعة زوجها. ولكنها تشعر بالأسف لأنها لا تقدر على أن تساعد زوجها جنيان كنجي كما ساعدته زوجته الراحلة جكى.

وهل كانت جكى قد أوصت جنيان كنجي لأن يتزوج امرأة من هذا النوع؟ أم كانت تتمنى له زوجة وفيه كادحة مثلها؟

وكبرت بنجامي، وما كانت تبالي بزوجة أبيها. وتخاصم دائما جنجادتان، وفي رأيها أنهما غريبان في بيتها، وليس لهما أي حق فيه، وذات يوم كانت بابي كنجي تمشي في الشاطئ ووراءها بنجامي، وسخرت بنجامي تحاكي مشيتها ضاحكة. وفي نفس الوقت كانت نلابن تراقب هذا المشهد من فناء بيتها. وانفجرت بابي كنجي بالبكاء.

ولما عاد جنيان كنجي قالت له بابي كنجي:

—عليك أن تعتني كثيرا بتربية بنتك هذه، فإن الدلال يفسد أخلاقها، ولا بد أن يكون الحنان والحب في القلب.

ولم يفهم جنيان كنجي حقيقة الأمر. ولم ترد بابي كنجي أن تصارحه بشكواها ضد بنجامي، وخافت أنه ربما لا يعجبه أن يسمع عيوب ابنته. ولذا كانت بابي كنجي حذرة للغاية في كلامها، وأن جنيان كنجي يعطف على ابنته كثيرا بعد أن فقدت أمها وأختها الكبرى.

ثم قالت بابي كنجي:

—إنها تسخر مني، ولا تعبأ بي مطلقا، وأن الجيران هم الذين يلتقونها مثل هذه العادات.

ونادى جنيان كنجي ابنته بنجامي وكانت في بيت جارته نلابن وجاءت بنجامي خائفة من نداء أبيها، ومنعته بابي كنجي من ضربها. ومع هذا لم يستطع أن يملك غضبه فضرب ابنته تأديبا. وهكذا أبدى سخطه نحو جيرانه الذين يفسدون أخلاقها.

وبكت بنجامي وراحت تدعو اسم أمها، وحنّت لها قلوب الجيران. وأتت نلابن مسرعة
وضمت بنجامي إلى حضنها، وسألت بابي كنجي:

—ما هذا يا امرأة؟ هل تريدان أن تقتلي هذه الطفلة المسكينة؟

وأجابت بابي كنجي:

—لا أبدا. فكل ما أريده أن لا تفسد أخلاقها في المستقبل.

وبدت من جوابها هذا كراهيتها نحو الجيران، وسألت نلابن:

—ما هو الذنب الذي اقترفته لكي تفسد أخلاقها؟

ثم التفت نلابن إلى جنيان كنجي، فقالت غاضبة:

—إياك أن تسمع كلام هذه المرأة فتقتل البنت المسكينة!

وسألت بابي كنجي:

—ما دخلك أنت في هذا الأمر؟

—إن جكي قد استودعت عندي هذه الطفلة قبل أن تموت. وأن المال الذي تأكلين منه
الآن من كسب يد أمها، جكي.

وأن بابي كنجي امرأة متزنة، وذات أخلاق فاضلة، ولكن طبيعة امرأة صياد عريق قد
ثارت فيها وتغير لونها وانفجرت غيظا فقالت:

—هذا صحيح، ولكن لا تسترخي في كلامك بهذه الطريقة، فإني امرأة عاشت مع صاحب
القوارب الشهير كانتان كوران وقد عرفت الحياة على حقيقتها.

وأجابت نلابن فورا:

—ولكنك الآن زوجة جنيان كنجي وتأكلين من مال جكي، فاسكتي!

وسكت جنيان كنجي حائرا، لا يدري ماذا يقول، ونسيت بابي كنجي أيضا نفسها في غمرة الغضب. وقالت لنلابن:

—ما حقك هنا؟ ما علاقتك بجنيان كنجي؟ اخرجي من البيت.

وثارث نائرة نلابن غيظا، فقالت بكل صراحة ووضوح، إن لها حق التدخل في الأمر، لا لأجل أي شئ إلا أن جنيان كنجي صديق زوجها منذ صغره، وأنها تحب زوجها حبا جما، وبالتالي فإن من حقها أن تراعي مصلحة رفيق زوجها الذي سيراعي شئونها هي وأولادها. ومن ناحية أخرى فإن جكي من أول يوم وصلت فيه إلى هذا البيت صديقة لها، وتوثقت بينهما علاقة الود والصدقة على رغم المشاجرات حينها فأخر، وكررت من جديد قصة استيداع جكي ابنتها بنجامي عندها قبل موتها، وتكلمت كثيرا عن قصص علاقات الود والجوار منذ ولادة كروتما وبنجامي في هذا البيت فقالت:

—مع أنهما لم يخرجوا من بطني ولكنهما بمثابة أولادي من الصغر، وهذا هو حقي يا امرأة!

والتفتت نلابن إلى جنيان كنجي وسألت:

—يا جنيان كنجي اترك هذه المرأة المفسدة، وإنني أتكفل بتربية بنجامي.

وأردفت كلامها فورا:

—أنت تستحق هذا كله. وإنك قد ضايقت وعذبت امرأة طيبة، فماتت مدينة. وأنت رجل جشع، وشردت بنتك الكبرى، وأخيرا بقيت لك الآن هذه الصغيرة فقط، فلا أقول شيئا أكثر من هذا.

ولم تهدأ نائرة نلابن، وتوجهت إلى بابي كنجي فقالت:

—إن من تقاليدنا المتبعة في هذا الساحل إن المرأة إذا مات زوجها لا تجري وراء رجل آخر.

ولم تستطع بابي كنجي أن تكف نلابن عن التماذي في كلامها، وعجز جنيان كنجي أيضا أمام لسانها الطويل. وهذأت نائرتها قليلا بعد أن أمطرت وابلا من الكلام الحاد. ولكنها غير مستعدة للتخلي عن حقها في بنجامي..وسألت:

—هل تأتي معي يا ابنتي؟

ووقف جنيان كنجي حائرا، ومشت بنجامي مع نلابن، إن بابي كنجي لم تسمع مثل هذا الكلام في حياتها. وسمعت أنواعا من الشتائم والعتاب. وسألت وهي تملك غضبها وحرزها البالغين:

—ألهذا أحضرتني إلى هنا، إنني امرأة عشت حياة شريفة إلى اليوم، وما رأيت مثل هذا من قبل.

ولم يقل جنيان كنجي شيئا. وأضافت بابي كنجي:

—لم تجرؤ امرأة من نساء الصيادين العاديين أن تتحدث أمامي من قبل، وإنني من عائلة زعيم ساحل “يوناني”

وقال جنيان كنجي وهو يهدوؤها:

—هذه هي عادة الناس هنا، ولا تبالي بذلك.

—ولماذا لم تقل شيئا؟

—وماذا أفعل؟

ثم قالت بابي كنجي:

—هذا هو من سوء حظي.

وتحول غضب بابي كنجي نحو بنجامي، فقالت:

—إن ابنتك المدللة قد ذهبت مع تلك المرأة لما دعتها!

وقال جنيان كنجي:

—في الواقع هي التي ربّتها هي وأختها وأشرفت على شئونهما.

—هكذا؟

ثم قالت بابي كنجي وهي لا تستطيع السيطرة على أعصابها:

—فإنها أيضا ستفسد كأختها الكبرى.

واندهش جنيان كنجي من هذا الكلام، وكان ذلك بمثابة لعنة كبرى، وأنه قد أضاع ابنته الكبرى، كروتما، ولم تبق له الآن إلا بنجامي وقد خاف على مصيرها، ومضت بابي كنجي في كلامها بدون مراعاة شيء:

إنها أيضا ستحب شابا مسلها كما فعلت أختها، ثم تتيه في هذا الساحل.

ونفذ هكذا الكلام إلى قلب جنيان كنجي كالسهم الصائب. وفهم كل شيء، وبدأت أمامه قصة علاقة كروتما بفريكوتي بجميع تفاصيلها، وأدرك سر اهتمام كروتما برد مبلغ فريكوتي فورا، هل كانت جكي أيضا شريكة في هذا الأمر؟ وصار جنيان كنجي منذ هذه اللحظة كرجل مسه الجنون، وهرب إلى بيت نلابن وجذب بنجامي من حضنها، وضربها بعصاه ضربا مؤلما وهو يسألها:

—هل ستحبين شابا مسلما مثل أختك؟

وتحيرت نلابن من هذا المنظر، وبكت بنجامي صارخة، وهي تدعو أمها؛ وأما جنيان كنجي فأخذ يردد أثناء ضربها قوله:

—قولي إنك لا تحبيني أبدا فتى مسلما!

وقالت متألمة من شدة الضرب:

—إنني لن أحب فتى مسلما يا أبي!

وهل فهمت تلك الصبية الصغيرة فحوى هذا الكلام؟ ولعلها قد فهمته. وأنها ولو كانت صغيرة فقد عاشت في هذا الجو. ثم أرسل جنيان كنجي ابنتها إلى البيت.

وقد شوهد جنيان كنجي في تلك الليلة ينشب المكان الذي دفن به جثمان جكي، كأنه يريد أن يستفسرها عن أمر يخفي عليه، أو يبحث عن سر يجهله، وتعرفه. وما هو ذلك السر الكامن؟

الفصل الثامن عشر

أفاق جنيان كنجي من ذهوله بعد عدة أيام، ولكن بدت على وجهه آثار الكآبة، وأصبح في خمول وجمود في حركاته وأعماله، وكان ذلك أمرا متوقعا، نظرا لما أصابه من نكبات في حياته المالية والاجتماعية.

وأصاب قاربيه العطب وأصبحا لا يصلحان للعمل في البحر إلا بعد ترميمهما، وكذلك الشباك أيضا. وترميمهما يحتاج إلى مبلغ كبير مع أن حالته المالية حرجة للغاية، كما أن حالته الصحية لا تسمح له بمواصلة العمل بجد ونشاط كما كان من قبل.

وأصبحت بابي كنجي هي التي تشرف على شئونه. وطلبت منه أن يقترض بعض المال ليصلح به القارب والشباك ووعدها بذلك. ولكنه لم يجد أحداً يقترض منه سوى "أوسيب" بينما قدمت بنجامي إلى أبيها مبلغ عشرين روبية كانت تحتفظ بها من مدة.

وأخذ منها جنيان كنجي هذا المبلغ وبكى وقالت بنجامي:

— لو كنت مستمرة يا أبي في جمع الأسماك المتناثرة على الشاطئ وبيعها لكان معي الآن مبلغ أكبر. ثم أردفت قولها:

— أو لو كانت أمي موجودة لكانت تكفيني.

ولم يقل جنيان كنجي شيئاً، ولعل أفكاراً عديدة تجمعت في ذهنه وأعادته إلى ذكريات ماضية.

وأما جنجاداتان فما زال مصرراً على أن يغادر البيت ولكن بابي كنجي لم تعرض هذا الأمر على جنيان كنجي حتى الآن وهي تقضي أيامها في حياتها الجديدة بصبر ورضى من أجل ابنها ومستقبلها، وما زالت بنجامي تضم نحوها البغض والكراهية. وفي رأى نلابن أن جنجاداتان ليس له أي حق في أن يعيش في هذا البيت، وفوق هذا كله الركود الذهني الذي أصاب جنيان كنجي.

وما كانت بابي كنجي تتوقع أنها ستواجه هذه الصعاب وهذه الظروف ولم تكن تريد أن يعاني جنيان كنجي شيئاً من المتاعب بسببها، فهي لا تريد له ذلك أبداً، لأنها تعتبره زوجها ورب الأسرة.

فربما أسفت لأنها لم تستطع أن تكسب له مالا مثل جكي. ولعلها قد فكرت فعلاً في أن تعمل في تجارة الأسماك في القرى كما فعلت جكي في حياتها.

وبابى كنجي قد تعودت على رعاية زوجها الأول، وأدركت معنى الحياة الزوجية. وأحبت جنيان كنجي أيضاً من كل قلبها، وهي تعرف جيداً كيف ترعى شئون زوجها وتشرف على

رفاهيته وصحته، وتمنت أن تزول مشاكلها الحالية. وحاول جنيان كنجي أن يستقر مقامه مكان رجل آخر كما حاولت بابي كنجي أن تحل محل امرأة أخرى. وكما كان جنيان كنجي يذكر جكي في أوقات شدته، كانت بابي كنجي تذكر زوجها "كانتان كوران" ولم تشعر بابي كنجي بعد بالاستقرار والهدوء، وخافت أن تزداد الحالة سوءا وربما تكون هي السبب لهذه الأحوال السيئة المتوقعة ففي أيام جكي كانت حالة جنيان كنجي قد تحسنت، أما الآن فقد أصبحت حالته متدهورة.

وبينما كانت جكي زوجة لصياد عادي، كانت بابي كنجي زوجة لصاحب القوارب والشباك.

ولم تقرر بابي كنجي أن ترى القوارب مركونة في الشاطئ، غير صالحة للعمل. وقررت أن تستدعي "أوسيب" لإنقاذ الموقف.

وذات ليلة كان جنيان كنجي غارقا في التفكير فتقربت عليه بابي كنجي وقالت:

—إلى متى سنظل هنا هكذا؟ ومتى تصلح قواربنا؟

ورفع جنيان كنجي رأسه ونظر إليها ولم يقل شيئا. وسألته:

—هل سنستدعي أوسيب؟

—نعم.

وكان جوابه سريعا، وهل كان يفكر في ذلك فعلا حينما سألته؟ وجنيان كنجي أعرف الناس بعواقب الاقتراض من أوسيب. وعلى هذا هل كان جوابه عن تفكير في عواقب هذا الاقتراض، أوجاء عفوا؟

ومثل هذه المناظر والمشاكل ليست جديدة في هذا البيت، وقد شاهد كثيرا منها من قبل ولكن الأدوار كانت تقع بين جنيان كنجي النشط المكافح وبين زوجته الشابة المكافحة جكي.

وقد كانا يفكران معا في بناء مستقبلهما واستقرار حياتهما ورفاهية أولادهما وكانت ابنتهما كروتما وبنجامي تنامان بجوارهما. أما الآن فان هذه الأدوار تدور في جو يغيّر الجو السابق.

وسألته بابي كنجي:

—ماذا أفعل الآن؟

ولم يقل شيئا، ثم قالت:

—إنني عبء عليك، ولم أستطع أن أكسب لك شيئا، فقد كنت أعيش دائما في أسرة تعتمد على كسب الرجال فقط.

وسمع ذلك جنيان كنجي وهو صامت.

وبكت بابي كنجي ثم قالت:

—إنني تسببت في المتاعب لكثير من الناس. ومنذ أن وضعت قدمي في هذا البيت دخله سوء الحظ، فتح جنيان كنجي فاه وقال:

—فماذا نعمل الآن إذن؟

—اعمل ما تريد.

وبدأ جنجاداتان يطالب أمه بخمسمائة روبية. فهي قد أخرجته إلى حيز الوجود وهي الآن مسؤولة عن تحقيق مطالبه، وهو لا يدري كيف تحقق له ذلك. وأما جنيان كنجي فعليه حق أن يساعد بابي كنجي في هذا الأمر، فإنها قد أصبحت في ذمته وتحت رعايته وعندما يطالبها جنجاداتان بشئ تعود إلى ذهنها ذكريات أبيه كانتان كوران وتشعر كأنه هو الذي يطالبها.

واستدعت بابي كنجي "أوسيب" وقصت عليه الموقف، ووافق أوسيب على منح القرض المطلوب وذلك بشرط أن يوضع القاربان ضمانا له. وإذا لم يسدد الدين مع ربحه قبل الموعد المحدد فيكون القاربان والشباك ملكا له.

أما جنيان كنجي فلم يقل شيئا، وسأله أوسيب:

—لماذا لا تقول شيئا يا جنيان كنجي؟ وأجاب:

—ماذا أقول؟ وعلى أي حال فنحن في حاجة إلى القرض.

وفي اليوم التالي كتب أوسيب عقد القرض بشروطه ووقعه جنيان كنجي دون أن يقرأه، وقدم إليه أوسيب سبعمائة وخمسة وتسعين روبية، وخصم خمس روبيات لمصاريف العقد.

ودب النشاط في حياة جنيان كنجي، وبدأ يفكر في ترميم القوارب وإصلاح الشباك، وعقد عزمه على رد دينه قبل الموعد. حتى لا يواجه المشاكل، فإن أوسيب رجل لا ضمير له، ووعدت بابي كنجي أيضا بأن تساهم بجد في تسهيل مهمته.

وألح "جنجادتان" على أمه من جديد بالمطالبة بالمبلغ الذي يريده، كأنه علم بوجود مال في البيت وقال:

—إنه لا يستطيع أن يصبر ولو ساعة في هذا المكان.

وطلبت منه أن يصبر حتى يتم ترميم القوارب ويبدأ العمل فيها، ثم تدبر له المبلغ المطلوب بأية وسيلة وقال:

—لا أستطيع أن أطيل البقاء هنا.

وغضبت بابي كنجي وقالت:

—إذ لم تستطع أن تصبر فماذا أعمل لك؟

—إذن لا تفكري بعد الآن أن لك ابنا.

ولم تستطع بابي كنجي أن ترد عليه بجواب حاسم لأنها أمه التي حملته ووضعتة. وعلى رغم ذكرياتها مع أبيه التجأت إلى جنيان كنجي واتخذته زوجها لها وقالت مبدية عدم حيلتها:

—وكيف أطلب منه نقودا يا ابني؟

—على أية حال لا بد أن ترسليني يا أمي!

وكان يقصد أن ترسله أمه بعيدا عنها لكي تنفرد بجنيان كنجي.

وقالت بابي كنجي:

—إنني جئت هنا من أجلك أيضا يا بني.

—مهما يكن فلا بد أن ترسليني فورا.

ولم ترد بابي كنجي أن تخبر زوجها عن إلحاح ابنها، ولكن الأمر قد تفاقم إلى حد لا يمكن السكوت عنه. وصارت بابي كنجي في قلق دائم، وأما جنيان كنجي فظن أنه فقد كل شيء.

ومن ناحية أخرى يثير “جنجاداتان” المتاعب لهما من جديد، وما كانت تظن بابي كنجي أنها ستلاقي مثل هذه المشكلات العويصة في حياتها الجديدة. وتمنت أنها لو عاشت كامرأة لصياد عادي يكسب قوت يومه، فكان من الممكن لها أن تحمل سلال الأسماك وتبيعها في القرى أو تقوم بأعمال أخرى، ولكن ظروفها لم تسمح لها بذلك ولن تسمح. واختارت رجلا صاحب قاربين ولا تدري ما الذي يخفي لها القدر في المستقبل.

وانتصرت الأم في هذا الصراع الذهني. وقررت بابي كنجي لأن تكذ وتكذب وتجويع.

ولعل هذه هي النتيجة النهائية، وما هو حقها في هذا البيت؟ وإذا أفلس جنيان كنجي فماذا تعمل؟ ومصيرها المحتوم هو التشرذم. فإذا ذهب جنجاداتان ببعض النقود واشتغل بأي عمل

حر ونجح فيه فيكون ملاذا لها في مستقبل حياتها. وإذا استطاعت أن تعيش في هدوء فلا بد أن يعيش معها جنيان كنجي أيضا.

وذات يوم فتحت بابي كنجي صندوق جنيان كنجي وأخذت من المبلغ الذي اقترضه من "أوسيب" مائتي روبية ثم أعطته لابنها جنجاداتان. ولم تكن بنجامي في البيت حينئذ ولكنها رأت زوجة أبيها وابنها يتكلمان طويلا في البيت، واستطاعت أن تسمع كلامها من وراء شجرة النارجيل خلصة، وسمعت بنجامي أن بابي كنجي تنصح ابنها بالاكْتفاء بمائتي روبية وتعهده بإرسال بقية المبلغ فيما بعد. وهكذا حصلت بنجامي على سلاح جديد تستخدمه ضد زوجة أبيها الجديدة. وما كانت تعرف أن بابي كنجي أخذت هذا المبلغ من نقود أبيها. ولكنها قد جمعتة من هنا، وقد أخفته عن جنيان كنجي حتى في الوقت الذي كان يعاني فيه الأزمة المالية لتصلح القوارب والشباك، ثم اضطر بالاقتراض من "أوسيب" وقررت بنجامي أن تخبر أباها بذلك فوراً.

ولما خرج جنيان كنجي إلى الشاطئ في صباح اليوم التالي خرجت معه بنجامي أيضا. وعاد بعد قليل جنيان كنجي إلى البيت ثائرا وفتح الصندوق فلم يجد فيه إلا خمسمائة روبية، وصاح في وجه بابي كنجي:

—هل أخذت شيئا من الروبيات الموجودة في الصندوق؟

واعترفت بابي كنجي بكل شيء، ونسي جنيان كنجي نفسه من شدة الغضب واهتزت عضلاته وقال لها:

—اخرجي من بيتي!

وخرجت بابي كنجي صامتا، وفرحت بنجامي من هذا المنظر وارتاحت حفيظتها.

—اذهبي إلى الشاطئ فلا تعودي إلى بيتي أبدا!

ومشت نحو الشاطئ رويدا رويدا، وأغلق الباب وراءها، وتاهت في الشاطئ الطويل العرض، لقد كانت زوجة “كانتان كوران” صاحب القوارب المشهور، وزوجة جنيان كنجي حاليا.

وانتشر خبر طرد جنيان كنجي زوجته بابي كنجي بين أهالي الساحل كلهم، وأصبح ذلك أحدى الناس رجالا ونساء في كل مكان.

وجلست بابي كنجي تحت شجرة من أشجار النارجيل في زاوية من ذلك الشاطئ، إلى أين تذهب؟ وليس لها أهل ولا بيت. وأما قلب جنيان كنجي فلا يلين ولا يرق. وظن الناس أنه ليس من المناسب أن يروا امرأة متشردة في ساحلهم ولا يعملون شيئا في سبيل إنقاذها.

وتوجه أعيان الساحل إلى منزل زعيم القبيلة. وكان غاضبا من اقتران بابي كنجي، المنحدرة من عائلة زعيم ساحل “بوناني” وزوجة صاحب القوارب “كانتان كوران” الشهير، بجنيان كنجي. واعتبر هذه الواقعة إهانة في حق جميع زعماء قبائل الصيادين. ولذا قال بصراحة، إنه لا يريد أن يسمع شيئا عن هذه المرأة. وما زال غاضبا في أمرها. ولكن المعمرين من أهالي الساحل ألحوا على الزعيم لأن يعمل شيئا لإنقاذ امرأة متشردة في الطريق بدون مأوى. واعتبروا هذا الأمر مشكلة إنسانية عامة بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى.

فقال زعيم القبيلة:

—اعملوا ما تشاءون. واضربوا أيًا منهما ثم اقدفوه في البحر!

وسأل “أيان كنجي” مستلظفا:

—أهذا يصح أيها الزعيم؟

—ثم ماذا أعمل إذن؟

—نرجو أن تدعو جنيان كنجي وتأمرة لاستدعاء زوجته.

—إني غير مستعد لذلك، وماذا أقول له؟

—ماذا نعمل إذن؟ ثم من الذي يحل مثل هذه المشكلات؟

واضطر زعيم القبيلة للنزول على مطالبة الأهالي وإلحاحهم. لا بد أن يعمل شيئاً. وأن امرأة ولدت في بيت زعيم من زعماء القبائل الساحلية تنيه في الشاطئ،

فقال الزعيم:

—هذه هي نتيجة التخلي عن الآداب المتبعة، والتقاليد الموروثة، وإن كانت من بيت صياد عادي فهل تواجه هذه المشكلات؟

وقال الجميع: لا.

وخرجت زوجة الأب من البيت، وصفا الجو لبنجامي، ولزمت أباها دائماً، وتريد أن تطلب منه تحقيق أمنية لها.

ولكنها تنتظر فرصة مناسبة لتفاته في هذا الأمر. وهو أمر هيّن سهل، فليس في البيت أحد في حاجة إلى من يهتم بشئون بيته وابنته الصغيرة. وأما أمنيتها فهي موافقة أبيها على استدعاء أختها كروتما إلى البيت! ولكنها لا تجد فرصة مواتية لتصارحه بذلك، فهو دائماً في دوامة من الأفكار، ودب النشاط في عروقه كأنه يريد استرداد ما فاتته من قوة وحيوية، ويضع الخطط لبدء حياة جديدة، ويعاتب الجميع دائماً، ويعتبر بابي كنجي مصدر الشقاء والدمار، ومن أول يوم وضعت قدمها في هذا البيت بدأت لحظات النحس في حياته. ولعن اللحظة التي قرر فيها الزواج بها فقال:

—لا أدري! كيف غاب عني عقلي؟ وربما افتننت بشعرها اللامع ولونها الجذاب وجسمها

الملى.

وكان يقول عن كروتما أيضا فإنها أحببت مسلما، ولما جاء لها زوج خرج وراءه ولم تعد بنتا له، ولا يعتبرها في حسابانه، ولا يفكر فيها أبدا. وأحيانا يسأل بنجامي في غمرة الغضب واليأس:

—وكيف ستعيشين أنت يا بنت؟

وارتكب عدة أخطاء في هذه الفترة، ولكنه قد قرر الآن أن يبدأ حياة جديدة. وأما بابي كنجي فقد أخذتها نلابن من الشاطئ لتقيم في بيتها مؤقتا. وكانت بنجامي غاضبة على إيواء نلابن هذه المرأة الرهيبة على مقربة منها دون أن تطردها بعيدة عنها.

وإزداد غضب بنجامي شدة إذ أن هذه المرأة في رعاية نلابن التي استودعتها جكى عندها وقت موتها. فكيف تعطي ملجأ لهذه الشريرة؟ وأن جنيان كنجي أيضا ليس براض عن هذه الفعلة، ولكنه يجد سببا يبررها، فإن أجا كنجي كان دائما يضر له الحسد.

وظنت بنجامي أن تصالحا سوف يتم في هذا الموضوع ولا بد أن تستدعي أختها قبل ذلك. وانتهزت أول فرصة فقالت لأبيها:

—أبى لماذا لا تستدعي أختي إلى البيت؟ إنها مسكينة طيبة القلب، وكل ما يقول الناس عنها كذب محض.

وأخذت جنيان كنجي الرعشة من شدة الغضب فسأل:

—من الذي يريد أن تستدعيه إلى البيت؟ وأما فريكوتي فلو أنه أفلس في تجارته مازال موجودا في هذا الساحل. ولن أسمح لعاهرة للدخول إلى بيتي.

وخافت بنجامي ولم تقل شيئا. وسألها جنيان كنجي:

—إن كنت تريدين أيضا أن تتبعي نفس الطريق فلتخرجي من الآن.

واشتد غضب جنيان كنجي لحظة بعد أخرى. وصرخ في وجهها: اخرجي من هنا، اخرجي! اخرجي.....، حتى كاد أن يطردها بالقوة في الحال. ومنذ ذلك الحين بدأ يتكلم دائماً عن كروتما وكذلك بنجامي. ولعلها هي أيضا ستتبع طريقة أختها الكبرى وما كان يذكر شيئا عن بابي كنجي.

وتدخل زعيم القبيلة في هذا الأمر. وتجمع أعيان الساحل عنده. واستدعى كلا من جنيان كنجي وبابي كنجي. وكانت إحدى القضايا الهامة في تاريخ الساحل. واحتشد جم غفير من الناس لسماع القضية ومداوماتها. وكانت بنجامي هي الشخصية الوحيدة التي تدعو لنلا يصل الأمر الى التصالح. ودعت سرا:

—يا إله البحر! ويا أمي! لا يتحقق صلح في هذه القضية!

وسأل زعيم القبيلة لجنيان كنجي:

—ما هذا يا جنيان كنجي؟ لماذا تعمل خلاف التقاليد والعادات المتبعة؟

ومن أخطر التهم الموجهة إلى جنيان كنجي أنه تزوج ثانية بدون اخطار زعيم القبيلة، وأنه لم يستأذن من الزعيم قبل الزواج، ولم يقدم إليه الهدايا المطلوبة. وكان الجميع متلهفين للاستماع الى الجواب الذي يقوله جنيان كنجي لسؤال زعيم القبيلة في هذا الأمر بالذات. واشترك فيه معه أناس آخرون مثل أجاكنجي. وهم أيضا مسئولون أمام الزعيم.

وسأل الزعيم بحزم وصراحة:

—قل يا جنيان كنجي! ما هو جوابك عليه؟

وكان واقفا أمامه رافعا رأسه بدون مبالة. وبدت في وجهه آثار الصرامة والثقة. وكرر زعيم القبيلة سؤاله مرة أخرى، وجاء رد سريع مثل الصاعقة:

—إني لم أتزوجها.

وكان ذلك ردا غير متوقع. واندesh الجميع بهذه المفاجأة، ولم يقل الزعيم أيضا شيئا لفترة وجيزة. ثم سأل:

—ثم كيف جاءت هذه المرأة عندك؟

—إنني أحضرت امرأة للخدمة. وما هو الذنب فيه؟

وانهزم زعيم القبيلة أمام هذه الحجة. وكذلك الحاضرون. ثم توجه إلى بابي كنجي. وسألها:

—هل هذا صحيح يا امرأة؟

وظن الجميع أنها تنكر جميع أقوال جنيان كنجي. وكان واقفا بدون أي خوف ولا وجل. وكأنه قد عقد عزمه لمواجهة جميع الظروف والمتاعب ولن يخضع لأحد ولا لأي أمر. وكرر الزعيم نفس السؤال أمام بابي كنجي وخرجت من فمها كلمة قصيرة هادئة قد حيرت الجميع:

—نعم.

—ألم يتزوج بك جنيان كنجي؟

—لا

—هل كنت خادمة عنده؟

—نعم.

وبهت زعيم القبيلة أمام اعترفاتهما. وأما جنيان كنجي فما كان يتوقع منها هذا الجواب. ونظر إليها الزعيم نظرة الازدراء، كأنها امرأة هتكت حرمت عائلتها وتقاليدها الموروثة فقال لها:

—إنك لتستحقين كل هذه المهانة. وقد عشت مع رجل محترم.....

ولم يكمل الزعيم كلامه على هذا المنوال. وما كان يريد أن يخلى سبيل جنيان كنجي الذي تقف أمامه مرفوع الرأس ثابت الجأش، والتفت إليه وسأل:

—لو كانت خادمة في بيتك فكيف تطرد امرأة إلى عرض الطريق لتتسكع في الشاطي؟

وجاء الرد السريع:

—إنها قد سرقت.

فبهت الزعيم مرة أخرى. ويعرف الجميع أن هذه الأقوال حجة أمام القانون ولكنها لا تتفق مع الحقيقة والواقع. وأن جنيان كنجي قد أحضر بابي كنجي إلى بيته لتعيش زوجة له. والتجأ زعيم القبيلة إلى حيلة أخرى، فهدده:

—إنك رجل متعجرف جدا. وليس هذا بجديد فيك وقد لاحظته منك من زمان وهل تعرف عواقب ذلك؟

وسأل جنيان كنجي مستهزئاً:

—ماذا أعرفه أيها الزعيم، وماذا تريد أن أعرف. فإن جنيان، أمامه البحر وفوقه السماء!

وأضاف قوله:

—لا داعي للخوف مطلقاً. وكل شيء قد انتهى. ولا أريد أن أخضع لأحد، ولا تجهد نفسك أيضاً في هذا الأمر. ولماذا الخوف؟

“والذي يهرب الذهب هو الذي يخاف الشارع العام”.

وهده الزعيم بقوله:

—لا تضحك على أهالي الساحل.

وأجاب جنيان كنجي، قبل أن ينتهي الزعيم من كلمته وأن جسمه قد أخذته هزة غضب:

—اسكت أنت، إن كنت تريد المحافظة على كرامتك ومكانتك!

ولم يقل أحد مثل هذا الكلام لزعيم القبيلة سيما أمام الجمهور. وليس معناه التحدي لشخص واحد، بل هو بمثابة التحدي للمجتمع كله. وحاد الجميع في أمر جنيان كنجي. هل أصابه الجنون؟ أفلا يفكر في مستقبله؟ وماذا حدث له إذن؟

وخرج جنيان كنجي من المكان بدون أن ينطق بكلمة بعد ذلك، وتعرض زعيم القبيلة للإهانة المكشوفة. واندesh المجتمعون جميعا. ومشت بابي كنجي أيضا وراء جنيان كنجي. وهل انهار أمل بنجامي؟ وتوقفت حائرة لما رأت بابي كنجي تمشى وراءه. ولم يمنعها عن ذلك.

الفصل التاسع عشر

وفي اليوم التالي قد غابت بنجامي عن البيت. ولم يعثر عليها في أي مكان. وقال الناس إن البنت قد خرجت من بيت أبيها متضايقه من الحياة فيه مع زوجة أبيها الجديدة. وقالت النساء إنها قد طردت من بيتها، وبدأت نساء الساحل تتحدث عن بابي كنجي باحترام نظرا لموقفها تجاه جنيان كنجي أمام محكمة زعيم القبيلة، وأنها قد أنقذت موقفه الحرج. وأنها طيبة القلب ومخلصة في أخلاقها، ولا غرابة في ذلك لأنها نشأت في عائلة شريفة وعاشت في كنف رجل كريم.

وترقب الجميع مصير جنيان كنجي الذي أهان زعيم القبيلة علنا. وكيف يظهر الزعيم غضبه نحوه؟ ومع ذلك فقد صار قارباه ضمانا لقرض أوسيب، ثم كيف يقضي حياته؟ ولم يعد قادرا على العمل في البحر كما كان يعمل من قبل.

وهناك إنسان آخر يحترق قلبه في هذا الساحل. ويتيه في شاطئه بدون هدف وسط القوارب المكونة والصيادين والصيدات. وهو فريكوتي. وقد صار جزءاً لا يتجزأ من حياة ساحل نيركونام. ويردد أحياناً أغنيته المثنوية الشهيرة. وقد أصبح لغنائه نهج خاص وتغريدة خاصة. وكأنما أنشأها فريكوتي لنفسه، وتتلاشى من الوجود مع صاحبها. ويقضي أيامه ولياليه جيئةً وذهاباً في الشاطئ، واتخذة ملجأً له. وربما لا يجد مأوىً آخر!

وانهار دكان فريكوتي، وتحطم في الأرض. وقد شاهد الشاطئ دكاكين عديدة قد أفلست وانهارت، ولكنه لم ير أصحابها بعد ذلك يتسكعون في طرقاته. وأما فريكوتي فما زال متردداً في أرجائه ولا يفارقه، وقد اتخذه ملاذاً له ومأوىً نهائياً.

يمشي في شاطئه وقت الأصيل كئيباً وكأنه يبحث عن شيءٍ مفقود في وماله. أليس هذا صحيحاً؟ ألم يفقد حياة في هذه الرمال؟ أليس له الحق لنشدان تلك الحياة المفقودة؟

وقد صار فريكوتي من قبل موضوع حديث الناس في الساحل عندما شاع الخبر أنه أحب كروتما. ثم اختفى الخبر فجأة. ورب رجل من أصحاب الدكاكين أحبوا نساء الساحل؟ ثم ذهبت تجارتهم وذهبوا معها. وليس الخبر حبهام دوام. ولم يعرف أحد مدى عمق حب فريكوتي لكروتما. وهل يحب تاجر مسلم فتاة صيادة بحق؟ أليس هذا حبا عابراً؟

ولم يعرف أحد عمق فريكوتي والمعاني الكبيرة الكامنة وراء قصة حبه؟ وكيف نشأت؟ وكيف انهارت؟

وكيف يعيش فريكوتي في هذه الأيام؟ وعندما تصل القوارب إلى الشاطئ يذهب هو أيضاً مع التجار ويكسب بعض المبلغ بطريق "القومسونجية" (١) لقوت يومه. وأحياناً يتوجه إلى قارب جنيان كنجي المكون في الرمال وينظر إليه، وربما يعيد إلى ذاكرته ذكريات الأيام الماضية، ويفكر في قصة ذلك القارب. وذات يوم بينما كان يقف بجواره حضر جنيان كنجي ولا يدري من أين أتى؟ ولم يره فريكوتي منذ مدة طويلة. وكلما يراه من بعيد كان يتفادى

١- القومسونجية: القيام بدور الوسيط التجاري.

مقابلته ويتخلى عن سبيله. وهل ارتكب فريكوتي جريمة في حق جنيان كنجي؟ وهل يشعر كل منهما بتلك الجريمة؟

ولما حضر جنيان كنجي فجأة ارتبك فريكوتي في أول وهلة. لأنه رأى جنيان كنجي وقد تغيرت ملامح وجهه. وقد غاب عنه النشاط والحزم. ويبدو من نظرات عينيه أن خلا ما قد تسرب إلى عقله وقوة عضلاته. وكذلك جنيان كنجي بدوره فلا يرى أمامه فريكوتي السابق. وقد ذبل شبابه، وغابت نضارته وانخمدت حرارته. وبعد برهة من وقفة الدهشة والارتباك، وجه جنيان كنجي سؤالاً غريباً إلى فريكوتي:

—كم روبيات لك عليّ؟

وقد نسي فريكوتي هذا الأمر من زمن طويل. ولم يفكر فيه مطلقاً، ولا يذكر شيئاً عن ذلك.

وسأل جنيان كنجي مرة أخرى:

—كم؟

ولم يحر فريكوتي جواباً، ولم يرد شيئاً من جنيان كنجي. وفي ذهنه تراكمت خواطر عديدة وأفكار شتى، ولكنه لا يجرؤ أن يصرح بها له. وأن موقف فريكوتي في ذلك الحين موقف مجرم يؤنبه ضميره. وما هي طبيعة هذا التعامل؟ وقد أحب كروتما وأحبته حبا عذرياً. وقد تم هذا التعامل مع جنيان كنجي وجكى في الوقت الذي بلغ فيه هذا الحب قمته. وأنه لم يكن يريد استرداد هذا المبلغ، وهل كان الهدف الكامن وراءه إرضاء والديها لكي يسير تيار ذلك الحب العميق في مجراه الطبيعي المطلوب؟ ولا يمكن أن يعتبر بمثابة رشوة لتحقيق غايته أو لتضليل والديها. فإن فريكوتي لم يرد مطلقاً الاستيلاء على كروتما أو التزوج بها، ولم يرغب فيه. وهل طلب سداد المبلغ عندما تزوجت كروتما برجل آخر، وذهبت معه نهائياً؟ وإذا كان رشوة فلماذا لم يحاول استرداده؟ وإذا كان هذا التعامل بناء على طلبها فلماذا لم يتم فيما بينهم؟

لقد أفلس فريكوتي بسبب هذا القرض. وأصبح مشردا لا يملك مأوى ولا ملابس، ولم يبق شئ في هذه الحياة، وصار هائما على وجهه بدون هدف. ولماذا لا يفكر في استرداد ما فاتته في حياته بقدر المستطاع؟ ولماذا لا يحاول القيام بتجربة فتح محل صغير يمارس فيه تجارته الاولى في أضييق نطاق؟ ولماذا لا يرغب في أن يقضي أيام حياته المستقبلية في عز وكرامة وطمأنينة؟ وقد أصبحت كروتما الآن في كنف رجل آخر. ولن تعود إليه مطلقا. وعليه أن ينسى تلك الذكريات الفاشلة.

ولكنه ما زال يعيش عيشة ذلك العاشق الفاشل!

وأخذ جنيان كنجي صرّة في يده، وسأله مرة أخرى:

— كم لك عليّ؟

ولم يقل فريكوتي شيئا، وظل صامتا كأنه مذنب. وأضاف جنيان كنجي:

— كنت أظن أنك رجل مستقيم، ولكن ظني خاب فيك.

وما هو الذنب الذي ارتكبه فريكوتي في حق جنيان كنجي؟ وهل خان كروتما؟ وهل خلق العراقيل أمام تزويج كروتما من شخص اختاره والداها لها؟ وهل تدخل في شئونها بعد الزواج وهل حاول إزعاجها؟

وقد أحبها ولكن ليس عن عمد! ولا لأجل إيصال أي ضرر لها ولا لعائلتها وقد ولد رجلا وأحب فتاة حبا عذريا خالصا. ولكنه تفادى شئون حياتها، ولم يحاول التأثير فيها، ومع هذا كله يقف الآن أمام والدها كمذنب ارتكب ذنبا في حقه. وقال جنيان كنجي:

— إنك قد أعطيتني النقود حينذاك لتخطف ابنتي، أليس كذلك؟ وقد اندفع جوابه بكلمة “لا” إلى شفتيه، ولكنه لم ينطق به، ألم يكن من حقه أن ينكر هذه التهمة؟ ولم يفعل ذلك. ثم قال جنيان كنجي:

—لما أعطيتني كل شئ فور سؤالي بلا تردد قد ظننت أنك طيب القلب وسليم النية ولكن تبين لي الآن أنك لم تكن سليم النية فيما فعلت.

وسأله جنيان كنجي وقد فتح الصرة وبدأ يعد النقود:

—وهل تعرف مدى خطورة الجريمة التي ارتكبتها؟

ووقف فريكوتي متحجراً لا يستطيع الحراك من مكانه وظلت عينا جنيان كنجي مبتلئين ثم أضاف:

—أنت لا تعرف خطورة ذلك. وكيف تعرفها؟ فإنك شيطان ماردا! وقد حطمت أسرة وفرقت عائلة، ودمرت حياتي

أيضاً. وهل تعرف أنك قد ضيقت حياة أناس أبرياء؟

وأن هذا السؤال الذي وجهه جنيان كنجي إلى فريكوتي قد أعاد الأذهان إلى تاريخ أسرته من أول يوم خرجت فيه جكي وهي تحمل سلال الأسماك إلى القرى ليكسب مالا لشراء القارب والشبكة. وإذا ألقى أحد نظرة عامة على ظروف تلك البداية والمراحل التي مرت بذلك المشروع والنهاية التي تحققت فيها أمنية جكي وجنيان كنجي في شراء قارب وشبكة يرى أن في سؤاله هذا وميض من الحق المر.

وقال جنيان كنجي وفي صوته ارتجاف:

—وكانت ابنتي كروتما تمرح في هذا الشاطئ وتلهو مثل طير طليق فأحببتها ولاحتتها، ومنذ ذلك اليوم قد ابتدأت خيوط هذه المأساة أليس كذلك؟

وهذا حق، فإذا لم يحب فريكوتي كروتما لما حدث شئ من هذه المأساة. ولعاشت تلك العائلة التي وضعت خططا معينة في الحياة في تقدم وازدهار ووفاق، ولم تتحطم حياة صياد نشأ كدحا ومكافحا، ووضع هدفا معيناً وهو مستقبل عائلته المحافظة على الآداب والتقاليد

الموروثة في تاريخ الساحل. وماذا بقي لجنيان كنجي اليوم؟ وقد فقد زوجته الوفية، والآن وقد أصبح قاربه الذي اشتراه بعرق جبينه وكدحه المستمر على وشك الإفلات من يده وكذلك الشباك، وانقطعت كل العلاقات الودية التي كان يعتز بها، ولم يبق في يده الآن إلا خمسمائة وخمسة وتسعون روبية. وهذا هو كل ما تبقى من الكفاح الطويل العريض الذي قام به هو وزوجته طوال أيام حياتهما. وأمامه الآن قرض قديم يجب أن يسدده.

وقد تسرب فريكوتي إلى هذه الأسرة كجرثومة لتسوس كيانها وقد أذبل نضارتها. وهل كان جنيان كنجي محقا في سؤاله إذن؟ ولا بد أن يلعن فريكوتي ذلك اليوم الذي وصل فيه لأول مرة إلى ذلك الساحل ممسكا بيد أبيه. وكان ذلك اليوم بداية النحس لأسرة جنيان كنجي.

ولكن تلك الصيبة التي أتت الى الشاطئ لجمع الأصداف من الرمال قد بدأت تحمق في ذلك الصبي المسلم. وسألها صدفا أحمر التقطته من الرمال :

هل تعطيني هذا الصدف؟

وقدمت الى الصدف الأحمر، وهل أعطته مع ذلك الصدف قلبها أيضا؟

ولكنه ليس لمذنب في شيء من هاذ وذاك فانه لم يتدخل عمدا في شئون تلك الأسرة. وقد انحاز الى أعماقها بدون أن يشعر. وقد أصبح الآن عرضة لتهم عديدة. وهاهو الان يقف صامتا في ساحة الاتهام! ولكن من الذي يعرف حقه؟ وكيف يشرحه أمام الدنيا؟ وهناك في الوجود شخص يعرف كل الأسرار على حقيقتها. وما هو الا كروتما، وهل هي بنفسها تصدق حسن نية فريكوتي؟ وهل هي خائفة منه الآن؟ وهلا تحاول الابتعاد عن نظراته؟

وقال جنيان كنجي :

ما على اليوم الا أداء دينك... الدين الذي أعطيتني اياه لتحطيم أسرتي والاستيلاء على ابنتي. وهذه هي نقودك فخذها!

ثم مد جنيان كنجي يده بالنقود الى فريكوتي الذي ما زال واقفا في غاية الصمت، وقال له جنيان كنجي مرة أخرى :

__ هذه نقودك خذها!

ثم قال جنيان كنجي بصوت صارم وحازم :

__ خذ!

وكان ذلك بمثابة أمر حاسم، فامتدت اليه يد فريكوتي أليا ووضح فيه جنيان كنجي النقود ثم قال:

__ هذا كل ما عندي من المال، ولا أعرف حسابك بالتحديد ، وما كانت تذكره إلا جكى.
وإن كان أقل من المطلوب فماذا أعمل الآن؟

ثم مشى جنيان كنجي.

ووقف فريكوتي فترة طويلة في نفس المكان بدون حراك، لا يدري شيئا. ولا يفكر في النقود التي فى يده، ولا يعبأ بها قط. ولماذا لا يعبأ بها؟ أليس هو بمحتاج إلى المال؟ وأنه يتسكع في الساحل ولا يرى مخرجا لقوت يومه. وأليس هذا مبلغ كبير يساعد على توجيه دفعة حياته الحرجة؟ ولكن قد رأى المال بملء عينيه، ثم أضاعه، بل وأضاع حياته أيضا. وها هو الآن أمام مبلغ ينقذ حياته ويعيد كرامته، وقد حصل على ذلك من استرداد دين قديم.

ونظر فريكوتى إلى كفه فرأى أوراقا مالية أمسك بها، وقد كادت تطير في الهواء. ولكن لا يدري أنها نقوده. وماذا يفعل بها؟ وهل فكر يوما من الأيام في استرداد هذا القرض، أليس هو من حقه؟

وسمع فريكوتي فجأة قهقهة عالية والتفت صوبها مرتجفا ورأى قارب جنيان كنجي الذي اشتراه من "بالي كونات كانتان كوران" مركونا في الرمال. ودفته متوجهة نحو البحر كأنه

تتطلع إلى اليوم الذي تنزل فيه إلى مياه المالح. وقد علاها البلى من طول المكث في البر، وظهرت في أضلاعها التصدعات الواسعة، وقد انهار فعلا جانب خلفي من القارب. وكان ذلك قاربا محظوظا أيام أن كان في يد كانتان كوران ثم في جنيان كنجي. كما كان يتقدم القوارب كلها ويطير في عرض البحر كالطير الطليق. ويرقص فوق الأمواج الهوجاء، وها هو يشكو الآن من عدم العناية وضربة الشمس وشدة الجفاف. وهل من منقذ ينقذه؟ وهو يقول بلسان حاله: إلى متى أعيش مركونا في الرمال؟ ألم أكن فخر القوارب في ساحل بالي كونام ثم في نيركونام؟ وألم أكن صاحب حظ وافر طوال حياتي؟ ومتى يتاح لي الفرج؟ وكان مصدر تلك القهقهة العالية جنيان كنجي، وهو يطلق ضحكاته من جانب قاربه مرة تلو أخرى، ضحكة الموت وضحكة اليأس والقنوط!!!

أما بنجامي فتوجهت توا إلى "تريكونابوزا" حيث تقيم أختها الكبرى كروتما. وهل لها ملاذ آخر عندما ضاق بها المقام في بيت أبيها بسبب زوجته الجديدة؟ وما كانت كروتما تتوقع حدثا من هذا القبيل. وتعانقت الأختان عناقا حارا وانفجرتا بكاء بذهول المفاجأة التي جمعت بينهما بعد فراق طويل. ولما خرجت كروتما مع بالاني على رغم إرادة أبيها كانت بنجامي تناديها بأعلى صوتها: يا أختي.....يا أختي! وما زال صدى ذلك النداء يدوي في أذني كروتما حينما فآخر. وحدثت تطورات كثيرة بعد ذلك فماتت أمهما، وتزوج أبوهما من جديد، وكانت كروتما بعيدة عن هذه المشاهد. والآن تنضم إليها بنجامي أيضا وقد احتذت حذو أختها!

ونظر بالاني إلى الأختين المتعانقتين والدموع تنهمر من عيونهما وضحكت الطفلة التي في يده بكل براءة، وكانت تنطق بكلمات غير مفهومة بل ذات دلالات عميقة.

وسأل بالاني:

—هل هذه بنجامي؟ وكيف جئت إلى هنا؟

وقبل أن تجيب عليه أخذت كروتما الطفلة من يد بالاني وقدمتها إلى بنجامي قائلة:

—هذه هي خالة ابنتي!

وأمرت بنجامي الطفلة بوابل من القبلات الحارة وكانت تحلم بها من زمن طويل. ولم يسألها بالاني شيئاً عن أخبار نير كونام، فإنه لا يريد أن يعرف شيئاً عن ذلك الساحل. وما هي علاقته به؟..... لا شيء.

أما كروتما فقد تراكت في خواطرها عدة استفسارات وأسئلة وهي متلهفة لأن تعرفها، وكذلك عند بنجامي أخبار جديدة وعديدة لتبلغ أختها. ولكن بالاني لا يهمه أن يسمع عن أولئك الذين تريد كروتما أن تسمع عنهم. بل ولا يحبهم ولا يرتاح إلى السماع عن أخبارهم، ولا يريد أن يسمع بأذنيه كلمة نيركونام وربما لا يكره بنجامي الصغيرة، ولماذا يكرهها؟ فإنها بريئة. ولكن من أين أتت؟ وما هي الأخبار التي حملتها معها؟ ولا يرى فيها مجرد بنت بريئة حرمت من رعاية الأبوين بل هي تعيد إلى ذاكرة كروتما كل شيء يكرهه بالاني، وهي بمثابة ظل أسود قد دخل بيته. وما هي الذكريات التي تخطر ببال كروتما عندما ترى بنجامي القادمة من نير كونام؟ وما هي الأسئلة التي توجهها إليها؟

وخلق مجئ بنجامي جوا قاتما في بيت بالاني وأثار الذكريات الماضية التي كادت الأيام أن تسدل عليها ستارا من النسيان. وظهرت ابتسامة تلك الطفلة كلمعان في السحب الكثيفة السوداء. وبدأت هي أيضا تبكي خلاف عاداتها. وكلما انفجر بكائها تقول بنجامي لكروتما:

— لا تبكيها يا أختي!

ثم تحملها وتدللها حتى تكف عن البكاء، وأرادت كروتما أن تعرف أمورا كثيرة من بنجامي ولكن وجود بالاني يمنعها من الاستمرار في السؤال عن أناس يكرههم، وعن أمور لا تعجبه. وكلما تنتهز كروتما فرصة تغيب بالاني عن البيت للسؤال عن أشياء كثيرة تزداد رغبته هو في أن يعرف الأمور التي تريد أن تعرفها كروتما من أختها بنجامي!

وهل يعاب بالاني في ذلك؟ فإنه زوج وأب ورب أسرة. وقد تابت كروتما عن كل شيء، وتعدت أمامه ألا تعود إلى سابق حياتها أبدا، ولكن قلبها قد تلوث مرة من قبل! وما هو الدليل على أن ذلك الشاب لم يعد متمكنا في هذا القلب؟ وعلى فرض صدق توبتها وانصراف

ذهنها كلياً عنه، أليس من الطبيعة أن يشك زوج مسئول في مثل هذه الأمور الحساسة؟ وهل تسأل كروتما شيئاً عن فريكوتي؟ وماذا تكون طبيعة ذلك السؤال؟

وصار البيت مسرحاً لتصارع ذهني عنيف بين كروتما وبالاني. وكل يتربص بالآخر، وتتوتر أعصاب الزوجين لأدنى سبب. وما هو مصدر هذا التصارع؟ عدم موافاة الفرص للاستفسار عما يختلج في ذهنها، وتتلهف للعلم به.

وذات مرة سألتها بنجامي في غاية السر:

—إنك قاسية القلب يا أختي!

—لماذا؟

—إلى الآن لم تسألني شيئاً عن أخبار الوالد.

فقالت كروتما:

—اسكتي فإن صهرك سيسمعه.

وخرج بالاني مساء ذلك اليوم إلى الشاطئ قبل الوقت المعتاد كل يوم. وأخذ معه الصنارة ومعدات الصيد، وتناول وجبة العشاء عقب غروب الشمس. وكانت كروتما وطفلتها تنتظران إليه حتى يغيب عن البصر وحيته طفلة بيديها الصغيرتين كما تفعله كل يوم. ولكن لاحظت كروتما تغيراً في العادة المتبعة من جانب بالاني فإنه لم يرد تحية طفلاته بنفس الشاكلة كالمعتاد. وغاب قاربه عن الأبصار وهو يندفع إلى عرض البحر.

وانفردت في البيت الشقيقتان وصفا لهما الجو للحديث المر. وبدأت بنجامي تقص على كروتما كل ما حدث في بيتها بعد أن غادرته كروتما، من موت أمهما الحنون، واستيادتهما إياها عند نلابن، وزواج أبيهما من جديد ووصية جكي بذلك وغيرها من الأخبار.

ثم قالت بنجامي:

—وقد جاء فريكو تي مودالالي، يوما إلى البيت ليقابل والدتنا.

وفجأة غيرت كروتما مجرى الكلام وهي خائفة من هذا الموضوع فسألته بنجامي:

—لماذا لا تهتمين بهذا الموضوع؟ ألا تريدين أن تسمعيه؟

وسألت كروتما فورا كأنها لم تسمع كلام بنجامي:

—لماذا لم تخبريني عن نبأ موت أمنا؟

—ورأى الجميع أن لا داعي اليه.

—الجميع؟

—نعم. وقال الجميع أنك مخطئة وقاسية القلب. وأنهم على حق إلى حد ما فانك قد أسأت المعاملة مع أبنينا، وإنني أعرف أن قلبك قاس لا يحب ولا يلين.

ثم تحدثت عن زوجة أبيهما. وفي معرض الكلام عنها، قالت بنجامي اننا قد فقدنا القوارب والشباك. ووضعها الوالد ضمانا لأوسيب، وأخذ منه الفلوس، وأعطت زوجة أبنينا هذا المبلغ إلى ابنها. ثم فصلت تلك القصة.

وهكذا سمعت كروتما أنهم قد فقدوا قاربهم والشباك. وقد رأت كروتما ذلك القارب الذي يطير في عرض البحر كالطير وفي دفته أبوها. وكان ذلك القارب وتلك الشبكة من إنتاج عرق جبين والديها طوال حياتهما. وقد أحببت هي أيضا ذلك القارب حبا جما. وصار الآن ملكا للآخرين. وبكت كروتما، وسألت:

—فكيف يعيش أبونا إذن يا بنت؟

—لا أدري ماذا يفعل؟

وقد نفذ هذا الكلام إلى أعماق قلب كروتما، وزاد الطين بلةً كلام بنجامي عن مستقبل حياة أبيهما بدون اكتراث ولا اهتمام، فقالت كروتما بدون أن تشعر:

—ما أقسى قلبك يا بنجامي!

وعلقت عليه بنجامي بقولها:

—لماذا؟

—فإنك قد خرجت من البيت بدون أن تعرفي شيئاً عن مصير أبينا، ولا تدرين كيف يعيش هو في هذه الظروف؟

ومن عنده الآن لرعايته؟

—لا تتحدثين كثيراً في هذا الأمر. فما الذي فعلته أنت من قبل؟

وأن بنجامي محقة في كلامها. وهل هي مخطئة فيما فعلت؟ وربما كانت هي مخطئة ولكن هناك فرق بين الحالتين. فإن كروتما قد تركت أمها وأباها مضطرة تحت وطأة ظروف خاصة، عكس ظروف بنجامي. وقالت بنجامي:

—إذا لم تخرجي من البيت حينذاك لما حدث شيء من هذا. وكنت تستطيعين أن تعيشي ربة لبيتنا مثل أمنا.

وتمنت كروتما أنها لو لم تفعل ذلك، وإلا لكانت الأمور كلها تجري على ما يرام. وماذا تعرف هذه الطفلة المسكينة؟ وإذا لم تخرج كروتما من البيت في ذلك اليوم فماذا كانت عواقب تلك الأسرة؟ وأردفت بنجامي، طويلة اللسان، كلامها:

—لما وجدت زوجا نسيت كل شيء وهربت وراءه أليس كذلك يا أختي؟

وتدفقت إلى طرف لسان كروتما جملة ذات معنى خطير: لا، أبدا ما فعلت كذلك، ولكنها شنتت تلك الجملة في كلمات متقطعة غير مفهومة، وكيف تقول ذلك وهي تعيش في كنف بالاني، وتأكل من كسب يده. وتعيش في بيته، وهو الآن غائب عنها. فلا يصح أن تقول أنها لم تخرج حبا له ولا رغبة فيه، وإطاعة لرأيه. وأليس من حقها أن تطيعه وتمشي وراءه؟ وفي الواقع قد خرجت من ذلك البيت لإنقاذ حياتها وشرفها لا أقل ولا أكثر.

وفي أثناء الكلام تحدثت بنجامي عن المتاعب التي لاقاها جنيان كنجي وعن إصابته بذهول في ذهنه، وضعف في عقله ثم قالت غاضبة:

—تقول تلك المرأة أن كروتما كانت تحب شابا مسلما وتفسد الساحل.

وأضافت إلى قولها:

—فأصيب الأب المسكين بذهول في عقله.

وتحجرت كروتما من شدة الحزن، وطاش عقلها وانسدت أذنها وأغرورقت عيناها، ومضت بنجامي في كلامها. وهل معنى هذا أن قصة حبها مع فريكوتي مازال حديث الناس في الساحل. وقد عرفها الآن أبوها أيضا، وهل يعفو عنها أبوها؟

ودخلت بنجامي مرة أخرى إلى قصة فريكوتي وشرحت قصته المؤلمة فقالت:

—قد أفلس تماما يا أختي، وهو يعاني الآن الجوع والحرمان، وبيته في الشاطئ كأنه قد مسه الجنون، وأنه في حالة سيئة للغاية!

ولم تطلب منها كروتما المضي في هذه القصة، وكذلك لم تمنعها عنه. ولا شك أنها في الواقع تواقعة لسماع هذه القصة. وإن كانت في ظروف أخرى فكانت تسألها عن أخبار فريكوتي من عند نفسها.

ولعلها تذكر الآن منظر ذلك الصبي الذي رأيته لأول مرة في الشاطئ وقد جاء إليها ممسكا
يد والده لابسا الطربوش والقميص الأصفر وفي عنقه منديل من الحرير. وقد أهدت إليه
حينذاك صدفا التقطته من الرمال. ولعلّ كل دور من أدوار مسرحية ذلك الحب قد مر
بخاطرها الآن. وكان ذلك بداية انهيار حياة ذات معنى.

وانطلق من فم كروتما هذا السؤال:

—أما زال كوتشومودالالي يغني جالسا على القارب حتى الآن؟

وأجابت بنجامي:

—نعم. أحيانا يغني هناك.

وهل تفهم بنجامي معنى ذلك الغناء؟ وربما لم تفهمه بعد. وسألت كروتما أيضا:

—هل يراك أحيانا؟

—نعم.

—وهل كان يسألك عن أحوالي؟

—حينما يراني يبتسم.

وهبت كروتما من ذهولها بكلمة صدرت من صوت غريب:

—لا. بل يسأل عنك!

فها هو ذا بالاني واقف أمامهما. ونهضت كروتما واقفة وكذلك بنجامي واكتشف سر
كروتما نهائيا.

الفصل العشرون

لقد حدثت تحولات خطيرة في نظرة كروتما نحو الحياة. وبدأت آثار تطور كلي في عقليتها. وكأنها خاطت في ذهنها خيوط نظام جديد في حياتها الزوجية والعائلية. وما هو الدافع الرئيسي إلى هذا التحول الكلي المفاجئ؟ وقررت أن تواجه المشكلات بشجاعة وحزم. ولعلها كانت من قبل راغبة في الحياة أولم تكن لها إرادة قوية وثقة بنفسها!

وهل كان وصول بنجامي هو السبب الحقيقي لهذا التحول؟ إذ كان لاكتشاف أسرارها أثر في اتجاهها الذهني؟ فلم تعد خائفة بعد أن ظهرت بصورتها الحقيقية، وتكشفت خفاياها وخباياها أمام زوجها وأبيها؟ وهل تسرب اليأس من مواصلة حياة زوجية هادئة آمنة إلى قلبها؟ أو لأنها وجدت في بنجامي شريكة متاعبها ومشكلاتها؟

وكررت لزوجها في ذلك اليوم أيضا وعودها السابقة وتعهداتها. وصارحته بكل شيء. وسألها بالاني عن طبيعة العلاقة بينها وبين فريكوتي.

وهل كانت تتعدى حدود كونهما يلعبان ويمرحان في الشاطئ أيام طفولتهما؟ وأجابت كروتما بكل صراحة وجلاء: "أنها لم تفسد مطلقا". وسألها:

—هل كنت في حب معه؟

وأثار هذا السؤال ذكريات الأيام الطويلة العريضة في ذهنها، ومثلت أمام عينيها صورة فريكوتي التائهالذي فقد كل شيء لأجلها، ويمشي في شاطئ "نيركونام" مرددا أغنيته المشهورة. وجلجل في أذنها قوله عقب الزواج: إنني أوصل ترديد هذه الأغنية دائما لكي يصل صداها إلى شاطئ "تيركونا بوزا".

وتذكرت سؤاله الخالد:

"وعندما يأتي القارب والشبكة هل تبيعون لنا الأسماك؟". ولما تأخر جواب كروتما كرر بالاني سؤاله.

وسمعت صوتا مجهولا يقول لها: لماذا تستنكفين الآن فإنك لم ترتكبي خطأ، وقد أحببت شخصا قبل الزواج. وما الذنب في ذلك؟

وأجابت كروتما:

—نعم كنت أحبه.

وساد صمت عميق في تلك الغرفة، ولم يخرقه الا سؤال آخر:

—هل استأذنت منه قبل الرحيل؟

ولم ترد عليه بشئ. وأضاف إليه بالاني سؤال آخر:

—وهل حددت له موعدا للقاء؟

—لا. لم أفعل ذلك.

وبكت الطفلة من الداخل، وحملتها وأرضعتها فورا. وطوال ذلك اليوم كانت تكرر له تعذاتها بأن لا تعود إلى الماضي، وحاولت تهدئة خاطره بكل الوسائل، وكأنها تسأله: ماذا يريد أكثر من هذا؟

وأل تقطع له عهدا بأن لا تعيد الماضي أبدا؟

وفي صباح اليوم التالي خرج بالاني من البيت مبكرا، ولم يقل شيئا لأحد.

وسألت بنجامي أختها:

—وهل كان غاضبا معك؟

وأجابت كروتما:

—إننا وحيدتين في هذه الدنيا، وليس لنا أحد يرعى شئوننا!

وقالت بنجامي:

—إنك قد وجدت يا أختي ملاذا في هذه الحياة فمن لي في هذا العالم؟

—لا. يا أختي فإننا في الهم سواء، فلنعش سويا بقية حياتنا.

وأضافت كروتما:

—إننا بنات جنيان كنجي الشاطر! وما هو مصيرنا الآن؟

ولما عاد بالاني في الظهيرة قالت له كروتما:

—هل تسمح لي بأن أزور نير كونام؟

ثم شرحت له حال جنيان كنجي السيئة، ثم قالت:

—ليس هناك أحد ليعتني بوالدي.

ولم يقل بالاني شيئا. وفي مساء ذلك اليوم خرج بالاني من البيت إلى الشاطئ كالمعتاد وفي يده الصنارة والطعمة، ووراءها كروتما تحمل في إحدى يديها عشاء، وفي الأخرى طفلتها الرضيعة. ونزل بقاربه إلى البحر، وحيته طفلته بيديها كما تفعل كل يوم، ثم بقيت كروتما قليلا في الشاطئ ناظرة إلى عرض البحر، وقد حول الشفق الأحمر أفقه إلى قطعة من الذهب الخالص، وسطر الأفق البنفسجي خطا أسود في مياه البحر الزرقاء. ووراءه سر كامن.....وسر خطير.....يضممر في صدر الكائنات!

ورأت قارب بالاني يطير بجناح السرعة إلى عرض البحر الذي لا يري شاطئه الآخر. وهو واقف في دفته ويحرك مجدافه بقوة فائقة. ولأول مرة يستعيد بالاني نشاطه في تحريك المجداف بعد أن ترك العمل في القوارب. وها هي الآن تنهض قواه الكامنة وتنشط خواطره النائمة، ولكن عضلاته الآن قد وهنت بحيث لا تستطيع أن تتحملها، وأن مجدافه قصير

وقاربه صغير. ويتوجه بالاني صوب ذلك الخط الأسود، ولا يدري أن المياه تتدفق إلى قاربه، ويغوص أحيانا في تضاريس الأمواج الزاخرة.

ولم يسمع أحد فورا تلك القوى الثائرة في عرض البحر، وأن قاربه الصغير يطير بين السماء والماء في زئير وأنين.

وما هي تلك القوة التي أثارت كوامنه؟ وما هي تلك القوة التي تستطيع أن تعيدها إلى مكانها مرة أخرى بدون أن تثور وتنفجر؟ وانطلقت قوى عديدة من مرقدها! وهو مندفع في تيارها!

وتجمع حول قاربه عدد من أفيال البحر الهائجة. ورفع أحدها قارب بالاني على ظهره واندفع إلى الأم، وارتفع القارب عن سطح المياه، وظن بالاني أنه سيتحطم إلى شطرين، وطار الشرر من عينيه وصاح بأعلى صوته، وعض على نواجذه وحرك مجدافه بشدة فانطلق القارب من ظهر فيل البحر، ولم ينقلب ولم يتحطم، وغاص الفيل إلى قاع البحر. وواصل بالاني سيره في عرض البحر نحو الخط الأسود، بل إلى السر الكامن وراءه السر العميق!!

وكانت الطفلة تبكي في الشاطئ على خلاف عاداتها كأنها ترى أباه منطلقا نحو الهاوية كمن أصابه الجنون! ولم يسمع بالاني ذلك البكاء لأن مجرى الرياح في عرض البحر كان عكسيا، ولكن صرخته التي كسرت ظهر فيل البحر قد حملته الرياح إلى شاطئه. وهل سمعتها كروتما؟ لا. فلم تسمعها، ولم تدر بثاقب فكرها، فإن قلبها ليس بيريئ مثل قلب تلك الطفلة الطاهرة.

وواصل بالاني سيره إلى مكان السر الكامن وراء ذلك الخط الأسود، ورأى الهلال من أفق سطح البحر. ودخل في عالم جديد، عالم فوقه سماء زرقاء مليئة بسحب كثيفة وتحتة صفحات فضية منثورة على سطح البحر الأزرق.

وقد أخذه الخوف حينذاك، فإن الأفق قد أحاطه من كل الجوانب. وأين المفر؟ وضاق أمامه الفضاء! وليس أمامه إلا الانطلاق السريع حتى يحطم ذلك السور المقام حوله من الجهات الأربع!

وسعت أفاعي البحر إلى قاربه، تسعى في الصفحات الفضية المنثورة فوق المياه الزرقاء وتتلاعب في حافة قاربه بكل حرية وأمان. ورأى بالاني حيتان تتعانقان في قاع قاربه تحت قدميه. ورأى موجا هائجا يندفع نحوه من الأفق المواجه لدفة قاربه. وتمنى أن يخرقه بقاربه الصغير ولكن الموج قد حمل في رأسه ذلك القارب الصغير بابتسامة ثم قذف به وراءه، واستقر بقاربه في سطح البحر الهادئ، وليست هناك الأمواج، ورأى السكون في كل مكان، وخيل إليه أن لسانا طويلا يمتد إليه من جهة الجنوب الغربي من قاع البحر، ووجد قاربه ينساق نحوه رويدا رويدا. ولا تطاوع له دفته، ويفلت زمام المجداف من يديه. وإنه "دوّامة" مجرّافة. وتبتلع كل ما في سطح البحر إلى قاعه بقوة دافعة جبارة.

وهل تبتلع تلك الدوّامة قارب بالاني أيضا إلى قاع البحر؟ وحرك مجدفاه بكل ما أوتيته من قوة ضد تيارها. وضوء القمر يرسل أشعته الفضية في كل مكان، وكان سرب من غربان البحر يرقد في أرجوحة سطحه بهدوء وأمان. وهبت الغربان من مرقدتها وطارت إلى الفضاء، ولم تهب خوفا من قارب بالاني.

ولكنها سمعت ضجة في البحر. أنها ضجة أحدثها "قرش" كبير ابتلع صنارة بالاني، وأنه صياد ماهر، ويعرف كيف يمارس مهنته حتى في أحلك الأوقات.

وبدأت كروتما وبنجامي تتجاذبان أطراف الحديث. وكان الحديث يدور حول أبيهما، وأما أخبار جكي وفريكوتي فلا تعنيهما الآن كأنها صارت في خبر كان.

وتبحث اليوم ابنتا جنيان كنجي الشاطر عن مشاكل حياته وحياتهما، وقد أحاطتهما سوء الحظ من كل النواحي، وأصبحت حالة أبيهما مسألة حياة أو موت بالنسبة لهما. وفي أثناء الكلام قد غلب بنجامي النعاس وراحت في نوم عميق. ولم تتم كروتما، وكانت إلهام الباردة

تهب من الشاطئ بدون انقطاع، وأن صداها يهمس في أذنيها بشدة، وخيل إلى كروتما أن نغمات فريكوتي قد اختلطت بهبوبها، وأنصتت إليه متفتحة أذنيها حيناً فآخر. وهكذا انساقت دون أن تشعر إلى فريكوتي الذي هو موضوع حياتها وجزء من كيانها.

وقد سار زوجها وحيدا إلى عرض البحر ليصطاد، وأن مصيره في يد زوجته التي في الشاطئ، وعليها—حسب الأسطورة الشائعة، والتقاليد المتبعة—أن تدعو له وتحافظ على عفافها وورعها كما حقه، حتى يعود سالما غانما. وها هي الآن زوجة بالاني تفكر في فريكوتي. ولكن ليس عن عمد، بلى قد انساقت إليه انسياقا لا شعوريا، وهل يكفي هذا لخرق الأسطورة؟ ووضع حياة زوجها في كفة القدر، وأنها تعتقد أن فريكوتي رجل طيب سليم النية، وهو يحبها حبا خالصا من أعماق قلبها. وهذه هي حقائق ثابتة وواقعية—لا يتسرب إليها أدنى شك ولا تستطيع أن تنساه في هذه الحياة، ولن تنساه، وقد ملك فريكوتي قلبها، كما ملكت هي قلبه إلى الأبد.

ولا يؤنبها ضميرها على هذا الاعتقاد، ولا تجد أي تصارع في خلجات قلبها، وتنتظر وصول فريكوتي. وأنه سيصل إليها، وستسمع نداءه فتلتيه فورا. ولهذا لا تنام. ولهذا وحده ينبض قلب كروتما!

وتنبهت كروتما من غفوتها. وهل ناداها أحد من الخارج؟

—كروتما!

وهمس في أذنيها هذا الصوت مرة أخرى، كأنه يأتي من بعيد. وهل سمعت نداء في الواقع؟ أم كان من أحلام اليقظة؟ وها هي الآن تسمع مرة ثالثة:

—كروتما!

وما كان يدعوها في الليالي من باب البيت بهذا الاسم إلا شخص واحد، ويدعوها بالاني يوميا عند عودته من البحر. وقد حان وقت عودته.

—كروتما!

وهل هذا صوت بالاني نفسه؟ ثم من يأتي إليها في هذا الوقت يدعوها؟

ولبت النداء:

—نعم.

ولم يطلب منها فتح الباب كالمعتاد، ولكنها قامت من مكانها وفتحت الباب وكانت الرياح تهب بسرعة فائقة، وتتلاعب بأوراق أشجار الجوز الهندي فتحدث دويًا رهيبًا ومخيفًا. وأن أشعة ضوء القمر قد ألبست حلا قشبية لتلك الأشجار، فلم تر أحدا في فناء الدار. ومشت نحو الشاطئ لتتنظر إلى البحر.

ورأت شخصا يقف على مقربة منها صامتا، وكان فريكوتي: ولم تخف ولم تصرخ، ووقفت أمامه كأنها فتحت الباب وخرجت تلبى نداءه ومشى فريكوتي نحوها في هدوء وتؤدة.

فنظرت كروتما بدقة الى صورته، فلم يعد الآن "كوشومودالي" السابق وقد نحف جسمه وذبل زهره وتغير لونه. وهل تخاف من قربه منها؟ وهل ينظر إلى صدرها وجسمها؟ لا. وقد زال عنها اليوم ذلك الخوف مطلقا، وليس في صدرها الآن النهد الفاتن، وقد أصبحت أما وزوجة. ولكن هل من حقها أن تنفرد برجل وتتحدث اليه، وأن زوجها في البحر؟ وهل هي الآن خائفة من هذا؟ أولم تنفرد به من قبل في الليالي المقمرة؟ وأليس لها حق إنساني لإدخال السرور ولو لحظة في قلب محطم؟

ووقف كل منهما في مكانه لحظات يتبادلان نظرات عابرة بل وعميقة ذات معاني كبيرة. وأمامها رجل تحطمت بسببها حياته. وضاعت لأجلها تجارته وممتلكاته! ولكنها لعل يقين تام بأنه يجبها من أعماق قلبه في جميع الظروف، ويعفو عنها دائما. ويتحمل لأجلها كل شيء.

ونسيت كروتما خلال تلك اللحظات القليلة كل فشلها في حياتها. ولم تعتبر نفسها فاشلة وأنها صاحبة ثروة خالدة لم تحظ بها امرأة أخرى. وهي تحت رعاية رجل قوي وأن حياتها

في أمان، وأصبحت حياتها ذات معنى وقيمة. ولا تتعرض للجوع ولا تخاف ضررا من الخارج. وأن زوجها بالاني ذو عزم وإرادة. وكذلك تجد أمامها رجلا يحبها.....ويحبها دائما وهي محبوبة إلى الأبد.....

وانضمت كروتما من خلال يدي فريكوتي الممتدتين إلى صدره.....وتلاصق الوجهان، وهمس فريكوتي في أذنها:

—كروتما!

نعم!

وامتدت راحتاه في جسدها. ودعاها فريكوتي:

—كروتما!

ولبت مرة أخرى ندائه طاعة وخضوعا.

—نعم!

—تظنين من أكون أنا لك؟

وأخذت وجهه يديها، وحملت فيه ثم سألت بكل صراحة وحزم:

—من تكون أنت لي؟ أنت حياتي!

واتحدا مرة أخرى وبدأت تصب في أذنيه وابلا من الهمسات وهما في عناق شديد، ولا يعرفان كيف يفترقان.

وما زال بالاني يواصل عراكه مع القرش الضخم الذي صاده بصنارته عرض البحر، ولم يصد أحد قرشا كبيرا مثله من قبل في ذلك الساحل. وضرب القرش عقب ابتلاعه الشص ضربا شديدا، وهاج المكان كله بضربته، ثم ركض إلى الأمام فرأه بالاني فوق سطح الماء،

وفي فمه الشص. وأن بالاني أول صياد اصطاد أكبر سمكة في ذلك الساحل. وصرخ بأعلى صوته فرحا وسرورا. وعليه الآن أن يتخذ قرار انهائيا. وهل يحاول جذب الصنارة وإيقاف اندفاع السمكة. أويسمح لها لأن تجري في طريقها قليلا؟ وإذا استقر الشص في فمها جيدا فيقف بمجرد جذب الصنارة بقوة، ولكن ربما يضرب القارب بذنبه بشدة فيكسر، وإذا تركت لحريتها فالى أين تتجه، وإلى أي مدى تجري؟

وقد وصل بالاني فعلا إلى اعماق البحر، بحيث لا يرى الشاطئ، ولا يتمكن من تحديد جهته، ونظر بالاني إلى السماء، قد أمسك بإحدى يديه الصنارة، وبأخرى المجداف، لكي يعرف الجهات بواسطة النجوم. ولم يجد النجم الذي يريده باديا في السماء، وقد غطتها السحب المتقطعة.

ومازال القارب يجري باندفاع شديد، ويشق سطح المياه برفق، فليست هناك أمواج ولا أعاصير هوجاء. وقد بدا لون البحر حالكا ومخيفا، ونظر إلى المياه ليحدد جهة الشاطئ من مجراها. ولكن بدون جدوى.

وأن القرش يجر قاربه بسرعة البرق إلى الأمام، وإلى أين؟ وإلى متى؟ وعض بالاني على نواجذه وصاح:

—قف هنا. ولا تستعجل لأن تذهب بي إلى مملكة إله البحر!

وجذب حبل الصنارة بقوة. وتوقف سير القارب.

وقهقه بالاني صائحا:

—قف هناك هكذا.....قف!

وضرب القرش بذنبه ضربة الموت وهو على قرب من قاربه. وجذب بالاني حبله مرة أخرى فقفزت السمكة فوق الماء ثم سقطت على سطحه.

ورأى بالاني أن قاربه وقع في تيار جارف يرسم دائرة واسعة في سطح البحر. ولما نظر بالاني باهتمام إلى مجراه، فوجد نفسه على حافة دوامة رهيبية، وأن قاربه ترسم دائرة أخرى أوسع، وما زال ممسكا بحبل صنارته بشدة. فنظر مرة أخرى إلى السماء فوجد نجومها خافية عن عينيه وراء السحب الكثيفة.

ولما أرجع بالاني مرة أخرى بصره حواليه من دفة قاربه رأى كأن جبالا قد أحاطت به، وينزل هو وقاربه إلى هوة عميقة، وأن دفته إلى السماء!

وقد اتخذ إله البحر عرش مملكته في الدرك الأسفل من قاع البحر. وسمع بالاني كثيرا عن أسطورة مملكة إله البحر وقصره، وأن الطريق إليها دوامة كبيرة تستطيع أن تبتلع البحر كله.

وخيل إلى بالاني أن ارتفاع الجبال المحيطة به يزداد شيئا فشيئا، وأرعى قليلا حبل الصنارة ولكن القارب يندفع إلى الهوة السحيقة بسرعة فائقة. وهل غاص بالاني في تلك الدوامة؟ وهل خرق حدود تلك الجبال؟ وسمع دويا جبارا لم يسمع مثله في حياته في البحر. ولا يدري مصدر ذلك الدوي وجهته. وكانت عاصفة هوجاء تتوجه صوبه. وارتفعت الأمواج مثل الجبال الشامخة وزخرت المياه بحيث لم يمر بتجربة مثلها حتى في أحلك أيام العواصف والزوابع. واستدارت تلك الأمواج حوله حتى وقع في دائرة محكمة لا يمكن الإفلات منها.

وكان بالاني يواجه العواصف الهوجاء، ويخرق الأمواج الزاخرة بقواربه ليلا ونهارا، وأبرقت السماء وأرعدت، وأطلق بالاني عنان حبل الصنارة وإذا جذبه يقف القارب، فتكسره الأمواج، وسمح لسمكة البحر لتجر قاربه إلى حيث شاءت!

وكلما ترتفع دفة القارب فوق رأس موجة هائجة يقفز بالاني إلى فوق ليخفف وطأة القارب وعند ما يستقر القارب فوق قمة الموجة يثبت قدميه في قاعه، والبحر يبرزخ في وجه الصياد المسكين!

ويرغو في وجهه سخطا وغيظا، وتزيد هذا الصراخ شدة وضجة تلك الرياح العاصفة، ويصفق له الرعد. ويا للهول لهذا المشهد الرهيب! وهل أطلق البحر هذه القوى الصارمة كلها

للانتقام من هذا الإنسان الضعيف؟ أليس في إمكانه أن يجلبه إلى هوته السحيقة بطريق أقرب
ووسيلة أسهل؟

وربما وصلت هذه الأمواج الزاخرة إلى الساحل واكتسحت منازلهم، وأهلك أهاليه، ولعلّ
حيات البحر السامة قد سعت في الشاطئ، ورأى بالاني شبعا مخيفا يتوجه نحوه من بعيد،
وهل هو قمة موجة أخرى؟ أم هو رأس حيوان بحري مفترس يفتح فاه ليبتلعه؟ وهل خارت
قوى ذلك الصياد المحنك؟ وقفز، خائفاً، إلى فوق عند ما قربت إليه موجة هائجة. ولكن
جسمه قد تثاقل، وأظلمت في عينيه السماء، وتجمدت المياه حوله، وصرخت في أذنيه
العواصف وأنذرت بحرب شعواء، وارتفع قاربه فوق موجة زاخرة فانقلب على ظهره،
وعلق بالاني بظهر القارب المقلوب، وأنشبت أظافره عليه لئلا يترامي في أحضان البحر،
وتنفس بالاني بشدة، فصاح.

—كروتما!

وتغلب على صياحه ثورة تلك العاصفة الهوجاء، وكان لصوته دويًا جبارًا يشق عنان
السماء.

ولماذا نادى بالاني كروتما في تلك اللحظة الرهيبة؟ أليس فيه سر؟ ألم تكن حياة الصياد
الذي يقاوم الأمواج والعواصف في عرض البحر وديعة في يد امرأته التي في البيت؟

وأنه يطلب منها أن تعمل لإنقاذه، وتدعو لأجله كما كانت تفعل سيده الأسطورة! أو لم
يعد صياد الأسطورة سالماً بعباً أن وقع في زوبعة مثلها بفضل عفاف زوجته ودعائها في
الساحل؟ أو ليس لبالاني أيضاً حق الإيمان بهذه الأسطورة؟ فان زوجته أيضاً تدعو له في
الشاطئ، وقد أكدت له حتى قبيل خروجه إلى البحر أنها لم تقسد، وتعهدت بالمحافظة على
عفافها وشرفها! فلماذا اليأس إذن؟ ولماذا يشك في وافتائها بعودها؟

واشدت وطأة العاصفة، وتغلب عليها بالاني وقدمت موجة أخرى تهوج وترزح. ونطق
بالاني إلى "كرو....." فهاجمته تلك الموجة هجوماً عنيفاً. وقد تحالفت العاصفة والرع

والبرف معها لتحطيمه، وجخل في جولة نهائية للمعركة، وأطلق جميع قواه ضد هذه الطاقات المتحالفة، وجخل في جولة نهائية للمعركة، وأطلق جميع قواه ضد هذه الطاقات المتحالفة القاسية التي لا تعرف الرحمة ولا الرأفة، وصعدت المياه الى عنان السماء، وصار البحر كله غارا رهيبا، وتجسدت الأعاصير، أمام عينيه، وارتع القارب مرة أخرى على رأس احدى الموجات الهائجة. وباللاني منبطح على ظهره، وهل يرفع رأسه مرة أخرى؟ وهل انتهى كل شيء؟ وهل أسد الستار على المشهد الأخير لهذه المهزلة؟ وما هو ذا قارب باللاني ينزل رويدا رويدا كعمد ممددة الى قاع البحر السحيق!

وصحت السماء قليلا، لمع فيها نجم واحد. وهو النجم الذي يدل الطريق أما الصيادين في عرض البحار، ولكن نوره كان خافتا.

واستيقظ البحر في صباح اليوم التالي كالمعتاد، ودب النشاط اليومي في كل مكان بسواحله كأنه لم يحدث شيء.

وقال بعض الصيادين المعمرين الذين استيقظوا في أوقات الليل أنهم لاحظوا آثار الأعاصير الشديدة في عرض البحر، ووصلت الأمواج الى ساحات بعض البيوت في الساحل، ورأوا حيات البحر تسعى في رمال الشاطئ.

وفي الشاطئ وقفت بنجامي تبحث عن زوج أختها باللاني الذي لم يعد إلى الآن بعد أن خرج للصيد في الليلة البارحة، وكذلك لم تجد أختها "كروتما" في الصباح على فراشها، وصارت بنجامي تغدو وتروح في الشاطئ، شاردة الفكر، وسارحة النظر، وهي تبكي وتهدئ طفلة كروتما الرضيعة التي تهفو إلى أمها وأبيها.

وبعد يومين قذف البحر على الشاطئ جثتي رجل وامرأة متعانقتين..... وهما جثتنا فريكوتي وكروتما!

وفي نفس اليوم قذفت الأمواج هناك على شاطئ "جيريا أبيكال" قرشا ضخما، وفي فمه
صنارة!

نيو دلهي

١ / ١ / ١٩٦٧ م

مراجعة

الدكتور طه عبد الحميد طه

كلية الآداب، جامعة عين شمس، بالقاهرة

